

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة يوسف عليه السلام

وهي مكيةٌ كلها. وقال ابن عباس وقتادة: إلاً أربع آيات منها^(١). ورُوي أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن قصة يوسف، فنزلت السورة، وسيأتي^(٢).

وقال سعد بن أبي وقاص: أنزل القرآن على رسول الله ﷺ، فتلاه عليهم زماناً، فقالوا: لو قصصت علينا، فنزل: ﴿الَّذِي تَلَكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ إلى قوله: ﴿تَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ فتلاه عليهم زماناً فقالوا: لو حدثتنا، فنزل: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣]^(٣).

قال العلماء: وذكر الله أقاصيص الأنبياء في القرآن وكررها بمعنى واحد في وجوه مختلفة، بالفاظ متباينة على درجات البلاغة، وقد ذكر قصة يوسف ولم يكررها، فلم يُقدِّر مخالفتاً على معارضة ما تكرر، ولا على معارضة غير المتكرر، والإعجاز لمن تأمل.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي تَلَكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ ①

قوله تعالى: ﴿الَّذِي تَلَكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾، والتقدير هنا: «تلك آيات الكتاب» على

(١) النكت والعيون ٥/٣.

(٢) ص ٢٤٢ و ٢٥٩ من هذا الجزء.

(٣) أخرجه البزار (١١٥٢) و (١١٥٣)، وأبو يعلى (٧٤٠)، والطبري ٨/١٣، وابن حبان (٦٢٠٩)،

والواحد في أسباب النزول ص ٢٧٣، وما بين حاصرتين من المصادر.

(٤) ٢٣٧/١ وما بعدها، و ٤٤٥/١٠ - ٤٤٦.

الابتداء والخبر^(١). وقيل: «الر» اسمُ السورة، أي: هذه السورةُ المسماة «الر». ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني بالكتاب المبين: القرآن المبين، أي: المبيِّن حلاله وحرامه، وحدوده وأحكامه، وهُداه وبركته^(٢).
وقيل: أي: هذه تلك الآياتُ التي كنتم توعدون بها في التوراة^(٣).

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿١﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ يجوز أن يكون المعنى: إِنَّا أَنزَلْنَا الْقُرْآنَ عَرَبِيًّا^(٤)، نصب «قرآنًا» على الحال، أي: مجموعاً، و«عربياً» نعتٌ لقوله «قرآنًا». ويجوز أن يكون توطئةٌ للحال، كما تقول: مررتُ بزيدٍ رجلاً صالحاً، و«عربياً» على الحال، أي: يُقرأ بلغتكم يا معشر العرب. [ومعنى] أَغْرَبَ: بَيَّنَّ، ومنه: «الشَّيْبُ تُعْرَبُ عن نفسها»^(٥).

﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي: لكي تعلموا معانيه، وتفهموا ما فيه^(٦). وبعضُ العرب يأتي بأن مع «لعل» تشبيهاً بعسى. واللام في «لعل» زائدةٌ للتوكيد، كما قال الشاعر:
يَا أَبَتَا عَلِّكَ أَوْ عَسَاكَ^(٧)

وقيل: «لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» أي: لتكونوا على رجاءٍ من تدبُّره، فيعود معنى الشكِّ إليهم لا إلى الكتاب، ولا إلى الله عزَّ وجلَّ.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣٠٩/٢.

(٢) تفسير البغوي ٤٠٨/٢.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٨٧/٣، وللنحاس ٣٩٥/٣.

(٤) معاني القرآن للنحاس ٣٩٥/٣.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣٠٩/٢، وما سلف بين حاصرتين منه. وقوله: «الشَّيْبُ تُعْرَبُ...» قطعة من حديث أخرجه أحمد (١٧٧٢٢)، وابن ماجه (١٨٧٢) من طريق عدي بن عدي الكندي عن أبيه.

(٦) تفسير البغوي ٤٠٨/٢.

(٧) الرجز للعجاج، وهو في ديوانه ص ١٨١، والكتاب ٣٧٥/٢، والخزانة ٣٦٢/٥، وإعراب القرآن للنحاس ٣٠٩/٢، والكلام منه.

وقيل: معنى «أَنْزَلْنَاهُ»، أي: أنزلنا خبر يوسف؛ قال النحاس^(١): وهذا أشبه بالمعنى؛ لأنه يُروى أن اليهود قالوا: سَلُوهُ لِمَ انتقل آل يعقوب من الشَّام إلى مصر، وعن خبر يوسف. فأنزل الله عزَّ وجلَّ هذا بمكة موافقاً لما في التوراة، وفيه زيادة ليست عندهم. فكان هذا للنبي ﷺ - إذ أخبرهم ولم يكن يقرأ كتاباً قط ولا هو في موضع كتاب - بمنزلة إحياء عيسى عليه السلام الميِّت، على ما يأتي فيه^(٢).

قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْعَافِي﴾ ﴿٣﴾

قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ ابتداءً وخبر. ﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ بمعنى المصدر، والتقدير: قصصاً^(٣) أحسن القصص.

وأصل القصص: تتبُّع الشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾ [القصص: ١١] أي: تتبَّعي أثره، فالقاصُّ يتبَّع^(٤) الآثار فيُخبرُ بها. والحُسنُ يعود إلى القصص لا إلى القصة. يقال: فلانٌ حَسَنُ الاقتصاص للحديث؛ أي: جيّد السِّياقة له. وقيل: القصص ليس مصدراً، بل هو في معنى الاسم، كما يقال: الله رجاؤنا، أي: مرجؤنا، فالمعنى على هذا: نحن نخبرك بأحسن الأخبار^(٥).

﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أي: بوحينا، ف«ما» مع الفعل بمنزلة المصدر. ﴿هَذَا الْقُرْآنَ﴾ نصب القرآن على أنه نعتٌ لـ «هذا»، أو بدلٌ منه، أو عطف بيان^(٦).

(١) في معاني القرآن ٣/٣٩٦.

(٢) ص ٢٥٩ من هذا الجزء.

(٣) في (د) و(ز) و(م): قصصنا، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في إعراب القرآن للنحاس ٣١٠/٢، والكلام منه.

(٤) في (ظ): فالقصاص يتبَّع.

(٥) ينظر تفسير الرازي ١٨/٨٥.

(٦) المحرر الوجيز ٣/٢١٩، وضَعَّف ابن عطية كونه عطف بيان.

وأجاز الفراء الخفض؛ قال: على التكرير^(١). وهو عند البصريين على البدل من «ما»^(٢). وأجاز أبو إسحاق^(٣) الرفع على إضمار مبتدأ؛ كأن سائلاً سأل عن الوحي ف قيل له: هو هذا القرآن^(٤). ﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَفِيلِينَ﴾ أي: من الغافلين عما عرفناكه^(٥).

مسألة: واختلف العلماء لِمَ سُمِّيَتْ هذه السورة أحسن القصص من بين سائر الأَقاصيص؟

فقيل: لأنه ليست قصة في القرآن تتضمَّن من العبر والحكم ما تتضمَّن هذه القصة، وبيانه قوله في آخرها: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الآية: ١١١].

وقيل: سمَّاها أحسن القصص لحسن مجازاة^(٦) يوسف إخوته^(٧)، وصبره على أذاهم، وعفوه عنهم - بعد الالتقاء بهم - عن ذكر ما تعاطوه [معه]، وكرمه في العفو عنهم، حتى قال: ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ [يوسف: ٩٢].

وقيل: لأن فيها ذكْر الأنبياء والصالحين، والملائكة والشياطين، والجن والإنس، والأنعام والطير، وسير الملوك والممالك^(٨) والتجار، والعلماء والجُهَّال،

(١) معاني القرآن للفراء ٣٢/٢، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٣١٠/٢.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣١٠/٢، وقال الزجاج في معاني القرآن ٨٨/٣: فيكون المعنى: نحن نقص عليك أحسن القصص بهذا القرآن. ولا تقرأ بها.

(٣) في معاني القرآن ٨٨/٣.

(٤) في (د) و(ز) و(ظ): هو القرآن، وفي (ف) ومعاني القرآن للزجاج: هذا القرآن، والمثبت من (م).

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣١٠/٢.

(٦) في النسخ الخطية: محاذرة، وفي (م): مجاوزة، والمثبت من عرائس المجالس ص ١١٠، والكلام وما سيأتي بين حاصرتين منه.

(٧) في (م): عن إخوته.

(٨) في (م): الممالك.

والرجال والنساء وحيلهنَّ ومكرهنَّ، وفيها ذكر التوحيد والفقه^(١) والسَّير، وتعبير الرؤيا، والسياسة والمعاشرة وتدبير المعاش، وجُمَل الفوائد التي تصلح للدين والدنيا.

وقيل: لأنَّ فيها ذكرَ الحبيب والمحبوب وسيرهما. وقيل: «أَحْسَنَ» هنا بمعنى: أعجبَ.

وقال بعضُ أهل المعاني: إنَّما كانت أحسنَ القصص لأنَّ كلَّ مَنْ ذُكر فيها كان مآله السعادة؛ انظر إلى يوسف وأبيه وإخوته، وامرأة العزيز: قيل: والمَلِكُ أيضاً أسلمَ بيوسفَ وحسُن إسلامه، ومُستعبرُ الرؤيا الساقى، والشاهدُ فيما يقال^(٢)، فما كان أمرُ الجميع إلا إلى خير.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ﴾ «إِذْ» في موضع نصبٍ على الظرف، أي: اذكر لهم حين قال يوسف. وقراءة العامة بضم السين. وقرأ طلحة بن مُصَرِّف: «يُؤْسِف» بالهمز وكسر السين. وحكى أبو زيد: «يُؤْسَف» بالهمز وفتح السين. ولم ينصرف لأنَّه أعجمي^(٣). وقيل: هو عربي^(٤).

وسئل أبو الحسن الأقطع - وكان حكيماً - عن «يوسف» فقال: الأسفُ في اللغة الحزن؛ والأسيف: العبد، وقد اجتمعا في يوسف؛ فلذلك سُمِّي يوسف^(٥).

(١) في عرائس المجالس: والعفة.

(٢) وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [يوسف: ٢٦].

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣١٠/٢، وينظر القراءات الشاذة ص ٦٢.

(٤) ذكره الزمخشري ٣٠١/٢ وقال: وليس بصحيح؛ لأنه لو كان عربياً لانصرف، لخلَّوهُ عن سبب آخر سوى التعريف.

(٥) عرائس المجالس ص ١١٠، وتفسير البغوي ٤٠٩/٢.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا يَأْتِي﴾ بكسر التاء، قراءة أبي عمرو وعاصم ونافع وحزمة والكسائي^(١)، وهي عند البصريين علامة التانيث؛ أدخلت على الأب في النداء خاصة بدلاً من ياء الإضافة، وقد تدخل علامة التانيث على المذكر فيقال: رجل نُكَّحَ وَهُزَاةٌ^(٢)؛ قال النحاس^(٣): إذا قلت: «يَا أَبَتِ» بكسر التاء، فالتاء عند سيبويه^(٤) بدلٌ من ياء الإضافة؛ ولا يجوز على قوله الوقفُ إلّا بالهاء، وله على قوله دلائلٌ؛ منها: أنَّ قولك: «يا أبه» يؤدّي عن معنى «يا أبي»، وأنّه لا يقال: «يا أبه»^(٥) إلّا في المعرفة، ولا يقال: جاءني أبةٌ، ولا تستعمل العربُ هذا إلّا في النداء خاصة، ولا يقال: «يا أبتى»؛ لأنّ التاء بدلٌ من الياء فلا يُجمع بينهما.

وزعم الفراء^(٦) أنّه إذا قال: يَا أَبَتِ - فَكَسَرَ - وَقَفَّ على التاء^(٧) لا غير؛ لأنّ الياء في النية. وزعم أبو إسحاق^(٨) أنّ هذا خطأ، والحقُّ ما قال؛ كيف تكون الياء في النية وليس يقال: يا أبتى؟!

وقرأ أبو جعفر والأعرج وعبدُ الله بن عامر: «يَا أَبَتِ» بفتح التاء^(٩)؛ قال البصريون: أرادوا: يا أبتى بالياء، ثم أبدلت الياء ألفاً فصارت: يا أبتا، فحُذفت الألف وبقيت الفتحة على التاء^(١٠).

(١) وقرأ بها أيضاً ابن كثير. السبعة ص ٣٤٤، والتيسير ص ٦٠ و ١٢٧.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٨٩/٣ بنحوه.

(٣) في إعراب القرآن ٣١٠/٢.

(٤) ينظر الكتاب ٢١٠/٢ - ٢١١.

(٥) في (م): يا أبت، وكذا اللفظة بعدها، والمثبت من النسخ الخطية وإعراب القرآن للنحاس.

(٦) في معاني القرآن ٣٢/٢.

(٧) في (م): دل على الياء.

(٨) هو الزجاج، وكلامه في معاني القرآن ٨٩/٣.

(٩) السبعة ص ٣٤٤، والتيسير ص ١٢٧ عن ابن عامر، والنشر ٢٩٣/٢ عن ابن عامر وأبي جعفر، وذكرها عنهم جميعاً النحاس في إعراب القرآن ٣١٠/٢.

(١٠) معاني القرآن للزجاج ٩٠/٣.

وقيل: الأصلُ الكسر، ثم أبدل من الكسرة فتحةً، كما يُبدل من الياء ألف؛ فيقال [في: يا غلامي أَقْبِلْ]: يا غلاماً أَقْبِلْ^(١). وأجاز الفراء^(٢): «يا أَبْتُ» بضمّ التاء.

﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ ليس بين النحويين اختلافٌ أنّه يقال: جاءني أحدُ عَشَرَ، ومررتُ بأحدِ عَشَرَ، وكذلك ثلاثةَ عَشَرَ وتسعةَ عَشَرَ وما بينهما؛ جعلوا الاسمين اسماً واحداً وأعربوهما بأخفّ الحركات^(٣).

قال السُّهيلي^(٤): أسماءُ هذه الكواكب جاء ذكرُها مُسنَداً؛ رواه الحارث بن أبي أسامة قال: جاء بستانة^(٥) - وهو رجلٌ من أهل الكتاب - فسأل النبي ﷺ عن الأَحَدِ عَشَرَ كوكباً الذي رأى يوسفُ، فقال: «الحرثان وطارق والذِيال وقابس والنطح والطروح وذو الكفنان وذو الفرع والفَيْلق وَوَنَّاب والعُمودان، رآها يوسف عليه السلام تسجد له»^(٦).

قال ابن عباس وقَتادة وابن جريج^(٧): الكواكبُ إخوته، والشمس أمُّه، والقمر أبوه.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣١٢/٢، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٢) معاني القرآن للفراء ٣٢/٢، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٣١٠/٢.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣١٢/٢.

(٤) في التعريف والإعلام ص ٧٩.

(٥) في النسخ الخطية: بستان، والمثبت من (م) وهو الموافق لبعض مصادر التخرّيج على ما يأتي، ووقع في التعريف والإعلام وبعض المصادر: بستانِي.

(٦) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (١١١١ - تفسير)، والبزار (٢٢٢٠ - كشف)، والطبري ١٠/١٣، وابن حبان في المجروحين ٢٥٠/١ - ٢٥١، والعقيلي في الضعفاء ٢٥٩/١، والبيهقي في الدلائل ٢٧٧/٦، وابن الجوزي في الموضوعات (٧٠) واختلفت أسماء الكواكب في المصادر اختلافاً كثيراً، وقد أثبتنا ما اتفقت عليه غالب نسخنا وكان موافقاً للتعريف والإعلام وبعض مصادر التخرّيج.

قال البزار: لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد. وقال ابن حبان: هذا حديث لا أصل له من حديث رسول الله ﷺ. وقال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ. قال العقيلي: لا يصح من هذا المتن عن النبي ﷺ شيء من وجه يثبت. وينظر الفوائد المجموعة ص ٤٦٤.

(٧) قوله: وابن جريج، من (ظ)، وقد أخرج قولهم الطبري ١٢/١٣ - ١٣.

وقال قتادة أيضاً: الشمسُ خالته؛ لأنَّ أمَّهُ كانت قد ماتت، وكانت خالته تحت أبيه^(١).

﴿رَأَيْتُهُمْ﴾ توكيد. وقال: «رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ» فجاء مذكراً، فالقولُ عند الخليل وسيويه أَنَّهُ لَمَّا أَخْبَرَ عَنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ بِالطَّاعَةِ وَالسَّجُودِ وَهُمَا مِنْ أَعْمَالٍ مَنْ يَعْقِلُ أَخْبَرَ عَنْهَا كَمَا يَخْبِرُ عَمَّنْ يَعْقِلُ^(٢). وقد تقدَّم هذا المعنى في قوله: ﴿وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ إِلَيْكَ [الأعراف: ١٩٨]. والعربُ تجمع ما لا يعقلُ جَمْعَ مَنْ يَعْقِلُ إذا أنزلوه منزلته، وإنَّ كان خارجاً عن الأصل.

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَبْنَى لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ⑤

فيه إحدى عشرة مسألة:

الأولى: قوله تعالى: ﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ أي: يحتالوا في هلاكك؛ لأنَّ تأويلها ظاهر، فربما يحملهم الشيطان على قَصْدِكَ بسوءٍ حينئذٍ. واللامُ في «لك» تأكيدٌ، كقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾^(٣).

الثانية: الرؤيا حالة شريفة، ومنزلة رفيعة؛ قال ﷺ: «لَمْ يَبْقَ بَعْدِي مِنَ الْمُبَشِّرَاتِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ الصَّادِقَةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ، أَوْ تُرَى لَهُ»^(٤). وقال «أَصْدُقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدُقُكُمْ حَدِيثًا»^(٥). وحَكَمَ ﷺ بأنَّها: «جزءٌ من ستة وأربعين جزءاً من النبوة»^(٦).

(١) ذكره البغوي ٤٠٩/٢.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣١٣/٢، وينظر البيان لابن الأنباري ٣٣/٢.

(٣) ينظر تفسير الطبري ١٤/١٣ - ١٥. وينظر أيضاً ما سلف ص ١١٩ من هذا الجزء.

(٤) قطعة من حديث أخرجه أحمد (١٩٠٠)، ومسلم (٤٧٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) قطعة من حديث أخرجه أحمد (٧٦٤٢)، ومسلم (٢٢٦٣): (٦) عن أبي هريرة.

(٦) قطعة من الحديث الذي قبله. وأخرجه أيضاً أحمد (١٢٠٣٧)، والبخاري (٦٩٨٣)، ومسلم (٢٢٦٤)

من حديث أنس. وأخرجه أحمد (٢٢٦٩٧)، والبخاري (٦٩٨٧)، ومسلم (٢٢٦٤) من حديث عبادة

ابن الصامت. وأخرجه البخاري (٦٩٨٨) عن أبي هريرة، و(٦٩٨٩) عن أبي سعيد الخدري.

وينظر التمهيد لابن عبد البر ٢٨٠/١.

وَرُوي: «من سبعين جزءاً من النبوة»^(١). وَرُوي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «جزءٌ من أربعين جزءاً من النبوة»^(٢). ومن حديث ابن عمرو^(٣): «جزءٌ من تسعة وأربعين جزءاً». ومن حديث العباس: «جزءٌ من خمسين جزءاً من النبوة»^(٤). ومن حديث أنس: «من ستة وعشرين»^(٥) وعن عبادة بن الصّامت: «من أربعة وأربعين من النبوة»^(٦).

والصحيحُ منها حديثُ الستة والأربعين، ويتلوه في الصحة حديثُ السبعين؛ ولم يُخرَج مسلمٌ في صحيحه غيرَ هذين الحديثين، أمّا سائرُها فَمِنَ أحاديثِ الشيوخ؛ قاله ابنُ بَطّال^(٧).

قال أبو عبد الله المازريُّ: والأكثر والأصحُّ عند أهل الحديث: «من ستة وأربعين»^(٨).

قال الطَّبْريُّ: والصواب أن يُقال: إِنَّ عَامَّةَ هذه الأحاديث أو أكثرَها صحاحٌ، ولكلُّ حديثٍ منها مخرَجٌ معقول؛ فأما قوله: «إنَّها جزءٌ من سبعين جزءاً من النبوة»

(١) أخرجه أحمد (٤٦٧٨)، ومسلم (٢٢٦٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وأخرجه أحمد (٢٨٩٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) ذكره عن ابن عباس القاضي عياض في إكمال المعلم ٢١١/٧، وأبو العباس في المفهم ١٢/٦، وابن حجر في الفتح ٣٦٣/١٢، وعزاه ابن حجر للطبري، وأخرجه أحمد (١٦١٨٣)، والترمذي (٢٢٧٨) وابن عبد البر في التمهيد ٢٨٣/١ من حديث أبي رزين العُقَلي ؓ.

(٣) في النسخ: ابن عمر، والمثبت من إكمال المعلم ٢١١/٧، وكذلك أخرجه أحمد (٧٠٤٤)، والطبري ٢١٨/١٢ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه مطولاً البزار (٢١٢٤ - كشف)، وابن عبد البر في التمهيد ٢٨١/١. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٧٢/٧ - ١٧٣: فيه ابن إسحاق، وهو مدلس، وبقيّة رجاله ثقات.

(٥) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد ٢٨٢/١ وقال: حسن الإسناد.

(٦) أخرجه الطبري ٢١٨/١٢، وضعّف إسناده ابن عبد البر في التمهيد ٢٨١/١.

(٧) ذكر قول ابن بطلال أيضاً ابن حجر في الفتح ٣٦٥/١٢.

(٨) المفهم ١٢/٦، وينظر المعلم للمازري ١١٧/٣ - ١١٨.

فإنَّ ذلك قولٌ عامٌّ في كلِّ رؤيا صالحة صادقة، ولكلِّ مسلم رآها في منامه على أي أحواله كان. وأما قوله: إنَّها من أربعين أو ستين وأربعين؛ فإنَّه يريد بذلك مَنْ كان صاحبُها بالحال التي ذُكرت عن الصديق - ﷺ - أنه كان بها؛ فَمَنْ كان من أهلِ إسباغ الوضوء في السَّبرات^(١)، والصبر في الله على المكروهات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فروياه الصالحة - إن شاء الله - جزءٌ من أربعين جزءاً من النبوة، ومَنْ كانت حاله في ذاته بين ذلك فروياه الصادقة بين الجزئين؛ ما بين الأربعين إلى الستين^(٢)، لا تنقص عن سبعين، وتزيد على الأربعين.

وإلى هذا المعنى أشار أبو عمر بن عبد البر^(٣) فقال: اختلاف الآثار في هذا الباب في عدد أجزاء الرؤيا ليس ذلك عندي اختلاف تضادٍّ وتدافعٍ والله أعلم؛ لأنَّه يحتمل أن تكون الرؤيا الصالحة من بعض مَنْ يراها على حَسَب ما يكون من صدق الحديث، وأداء الأمانة، والدين المتين، وحسن اليقين؛ فعلى قدر اختلاف النَّاس فيما وَصَفْنَا تكون الرؤيا منهم على الأجزاء المختلفة العدد، فمن خَلَصَتْ^(٤) له نيَّته في عبادة ربِّه وبقينه وصدق حديثه، كانت رؤياه أصدق، وإلى النبوة أقرب، كما أنَّ الأنبياء يتفاضلون [والنبوة كذلك]؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥].

قلت: فهذا التأويل يجمع شتات الأحاديث، وهو أولى من تفسير بعضها دون بعض وطَّرحه.

ذكر أبو سعيد الأسفأقيسي^(٥) عن بعض أهل العلم قال: معنى قوله: «جزءٌ من ستين

(١) جمع سَبْرَة بسكون الباء، وهي شدة البرد. النهاية (سير).

(٢) كذا وقع، ولعل الصواب: السبعين وقد نقل كلام الطبري بنحوه المازري في المعلم ١١٨/٣، وأبو العباس في المفهم ١٥/٦ - ١٦ وابن حجر في الفتح ٣٦٥/١٢.

(٣) في التمهيد ٢٨٣/١، وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٤) في (د) و(ظ) و(ف): حصلت.

(٥) ذكره ابن حجر في الفتح ٣٦٤/١٢ بلفظ: السفأقيسي، ونقل كلامه عن ابن بطلال، وما سيرد بين حاصرتين منه.

وأربعين جزءاً من النبوة» فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ [فِي الْمَنَامِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، ثُمَّ أَوْحَى إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ] فِي النَّبُوءَةِ ثَلَاثَةَ وَعَشْرِينَ عَاماً - فِيمَا رَوَاهُ عِكْرَمَةُ وَعَمْرُو بْنُ دِينَارٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا^(١) - فَإِذَا نَسَبْنَا سِتَّةَ أَشْهُرٍ مِنْ ثَلَاثَةِ وَعَشْرِينَ عَاماً، وَجَدْنَا ذَلِكَ جُزْءاً مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءاً.

وإلى هذا القول أشار المازريُّ في كتابه «المعلم»^(٢)، واختاره الغزنويُّ^(٣) في تفسيره من سورة يونس، عند قوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الآية: ٦٤]. وهو فاسدٌ من وجهين:

أحدهما: ما رواه أبو سلمة عن ابن عباس وعائشة: بأنَّ مدَّةَ الوحي كانت عشرين سنة^(٤)، وأنَّ النَّبِيَّ ﷺ بُعِثَ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ، فَأَقَامَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ؛ وهو قول عروة والشَّعْبِيِّ وابنِ شَهَابٍ والحسن وعطاءِ الخراسانيِّ، وسعيد بن المسيَّب على اختلافٍ عنه، وهي روايةٌ ربيعة وأبي غالب عن أنس^(٥)، وإذا ثبت هذا الاختلافُ^(٦) بطل ذلك التأويل.

الثاني: أنَّ سائر الأحاديث في الأجزاء المختلفة تبقى بغير معنى.

الثالثة: إنَّما كانت الرؤيا جزءاً من النبوة؛ لأنَّ فيها ما يُعْجَزُ وَيَمْتَنَعُ، كالطيران وقلب الأعيان، والاطِّلاع على شيءٍ من علم الغيب، كما قال عليه الصلاة والسلام:

(١) رواية عكرمة عن ابن عباس عند أحمد (٢٢٤٢) والبخاري (٣٨٥١). ورواية عمرو بن دينار عن ابن عباس عند مسلم (٢٣٥١).

(٢) ١١٧/٣.

(٣) في (م): القونوي، وفي (د): القرونوي، وفي (ظ): العزيزي، والمثبت من باقي النسخ.

(٤) أخرجه أحمد (٢٦٩٦)، والبخاري (٤٤٦٤، ٤٤٦٥) بلفظ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَبِثَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ، وبالمدينة عشراً.

(٥) التمهيد ١٦/٣، ورواية ربيعة (وهو ابن أبي عبد الرحمن) عن أنس عند أحمد (١٣٥١٩)، والبخاري (٣٥٤٧) ومسلم (٢٣٤٧). ورواية أبي غالب عن أنس عند أحمد (١٢٥٢٩)، وينظر التمهيد ٩/٣-١٢.

(٦) في (م): الحديث، وفي (د) و(ف): الخلاف.

«إنَّه لم يبقَ من مبشِّرات النبوة إلا الرؤيا الصَّادقة في النوم» الحديث^(١). وعلى الجملة فإن الرؤيا الصادقة من الله، وإنَّها من النبوة؛ قال ﷺ: «الرؤيا من الله، والحُلُم من الشيطان»^(٢). وإنَّ التصديق بها حقٌّ، ولها التأويلُ الحَسَنُ، وربَّما أغنى بعضها عن التأويل، وفيها من بديع [حكمة] الله ولُطفِهِ ما يزيد المؤمن في إيمانه؛ ولا خلاف في هذا بين أهل الدين والحقِّ من أهل الرأي والأثر، ولا يُنكر الرؤيا إلَّا أهلُ الإلحاد، وشِرذمةٌ من المعتزلة^(٣).

الرابعة: إن قيل: إذا كانت الرؤيا الصادقة جزءاً من النبوة؛ فكيف يكون الكافر والكاذب والمُخلطُ أهلاً لها؟ وقد وقعت من بعض الكفَّار وغيرهم ممن لا يُرضى دينُهُ مناماتٌ صحيحةٌ صادقة؛ كمنام رؤيا الملك الذي رأى سُبُعَ بقرات، ومنامِ الفَتَيْنِ في السجن، ورؤيا بُخْتَنَصْرَ، التي فسَّرها دانيال في ذهاب مُلكه، ورؤيا كسرى في ظهور النبي ﷺ^(٤)، ومنامِ عاتكةَ عَمَّةِ رسول الله ﷺ في أمره وهي كافرة^(٥). وقد ترجم البخاريُّ: باب رؤيا أهل السجن^(٦).

فالجواب: أنَّ الكافرَ والفاجرَ والفاسق والكاذب، وإنَّ صدقت رؤياهم في بعض الأوقات، لا تكون من الوحي ولا من النبوة؛ إذ ليس كلُّ مَنْ صَدَقَ في حديث عن غيبٍ يكون خبرُهُ ذلك نبوةً؛ وقد تقدَّم في «الأنعام»^(٧) أنَّ الكاهن وغيره قد يخبر

(١) سلف في المسألة الثانية.

(٢) قطعة من حديث أخرجه أحمد (٢٢٥٢٥)، والبخاري (٣٢٩٢)، ومسلم (٢٢٦١) عن أبي قتادة ؓ.

(٣) التمهيد ٢٨٥/١، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٤) التمهيد ٢٨٥/١، وينظر خبر هذه الرؤيا في تاريخ الطبري ١٦٦/٢، ودلائل النبوة لليهقي ١٢٦/١-١٢٩، والبداية والنهاية ٣/٣٩٥.

(٥) التمهيد ٢٨٥/١، وخبر رؤيا عاتكة في سيرة ابن هشام ٢٠٧/١ عن ابن إسحاق قال: أخبرني مَنْ لا أتُّهم عن عكرمة مولى ابن عباس، عن ابن عباس. ويزيد بن رومان، عن عروة قال: وقد رأت عاتكة، وذكر الخبر مطولاً.

(٦) صحيح البخاري، قبل الحديث (٦٩٩٢) بلفظ: باب رؤيا أهل السجن والفساد والشرك.

(٧) ٤٠٥/٨.

بكلمة الحق فيصدق، لكن ذلك على الدور والقلّة، فكذلك رؤيا هؤلاء^(١).

قال المهلب: إنّما ترجم البخاري بهذا لجواز أن تكون رؤيا أهل الشرك رؤيا صادقة، كما كانت رؤيا الفتيين صادقة، إلا أنه لا يجوز أن تُضاف إلى النبوة إضافة رؤيا المؤمن إليها؛ إذ ليس كل ما يصح له تأويل من الرؤيا حقيقة يكون جزءاً من النبوة.

الخامسة: الرؤيا المضافة إلى الله تعالى هي التي خلصت من الأضغاث والأوهام، وكان تأويلها موافقاً لما في اللوح المحفوظ. والتي هي من حيز^(٢) الأضغاث هي الحلم، وهي المضافة إلى الشيطان، وإنما سُميت ضغثاً لأن فيها أشياء متضادة؛ قال معناه المهلب.

وقد قسم رسول الله ﷺ الرؤيا أقساماً تغني عن قول كل قائل؛ روى عوف بن مالك عن رسول الله ﷺ قال: «الرؤيا ثلاثة؛ منها أهوّل الشيطان ليحزن ابن آدم، ومنها ما يهّم^(٣) به في يقظته، فيراه في منامه، ومنها جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة». قال: قلت: سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم! سمعته من رسول الله ﷺ^(٤).

السادسة: قوله تعالى: ﴿قَالَ يَبْنَؤُ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ﴾ الآية. الرؤيا مصدر: رأى في المنام رؤيا، على وزن فعلى، كالسُّقيا والبُشرى، وألفه للتأنيث؛ ولذلك لم ينصرف^(٥).

وقد اختلف العلماء في حقيقة الرؤيا؛ فقليل: هي إدراك في أجزاء لم تحلها آفة،

(١) المفهم ١٣/٦.

(٢) في النسخ عدا (ز): خبر، والمثبت من (ز).

(٣) في (ظ) و(م): يهتّم، وفي (ف): هم، والمثبت من (د) و(ز) والمصادر على ما يأتي.

(٤) التمهيد ١/٢٨٥ - ٢٨٦، والحديث أخرجه ابن ماجه (٣٩٠٧)، وابن حبان (٦٠٤٢). والسائل في

آخر الحديث هو مسلم بن مشكم، وهو الذي رواه عن عوف.

(٥) المفهم ٥/٦.

كالنوم المستغرق وغيره، ولهذا أكثر ما تكون الرؤيا في آخر الليل؛ لقلة غلبة النوم، فيخلق الله تعالى للرائي علماً ناشئاً، ويخلق له الذي يراه على ما يراه ليصح الإدراك. قال ابن العربي^(١): ولا يرى في المنام إلا ما يصح إدراكه في اليقظة؛ ولذلك لا يرى في المنام شخصاً قائماً قاعداً بحال، وإنما يرى الجائزات [الخارقة للعادات، أو الأشياء المعتادات].

وقيل: إنَّ لله ملكاً يعرضُ المراثيات على المحلِّ المدرك من النائم، فيمثل له صوراً محسوسة، فتارة تكون تلك الصور أمثلةً مُوافقةً لما يقع في الوجود، وتارة تكون [أمثلة] لمعانٍ^(٢) معقولة غير محسوسة، وفي الحالتين تكون مُبشرة أو مُنذرة؛ قال ﷺ في «صحيح» مسلم وغيره: «رأيتُ سوداءَ نائرة الرأسِ تخرجُ من المدينة إلى مَهْيعةَ، فأولَّتُها الحمى»^(٣). و«رأيتُ سيفي قد انقطع صدره، وبقرًا تُنحر. فأولَّتُهما: رجلٌ من أهل بيتي يُقتل، والبقرُ نَفَرٌ من أصحابي يُقتلون»^(٤). و«رأيتُ أني أدخلتُ يدي في درع حصينة؛ فأولَّتُها المدينة»^(٥). و«رأيتُ في يدي سوارين؛ فأولَّتُهما كذاً بين يَخْرُجان بعدي»^(٦). إلى غير ذلك مما ضُربَتْ له الأمثال؛ ومنها ما يظهر معناه أولاً^(٧)، ومنها

(١) في أحكام القرآن ٣/ ١٠٦١، وما قبله وما سird بين حاصرتين منه.

(٢) في (د): المعاني، وفي (ز): معاني، وفي (ظ) و(ف) و(م): لمعاني، والمثبت من المفهم ٧/٦ والكلام وما بين حاصرتين منه.

(٣) لم نقف عليه عند مسلم، وأخرجه أحمد (٥٨٤٩)، والبخاري (٧٠٣٨) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ومهية: اسم الجحفة، وهي ميقات أهل الشام. النهاية (مهيح).

(٤) ذكر المصنف لفظ هذا الحديث والذي قبله نقلاً عن ابن العربي في أحكام القرآن ٣/ ١٠٦٢ وقد أخرجه بمعناه البخاري (٣٦٢٢) ومسلم (٧٢٧٢) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ مطولاً. وأخرجه أحمد (١٣٨٢٥)، والزار (٢١٣١ - كشف) من حديث أنس ﷺ. وأخرجه أحمد (١٤٧٨٧) من حديث جابر ﷺ.

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٠٦٢، وأخرجه مطولاً دون قوله: «أدخلت يدي» أحمد (٢٤٤٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، و(١٤٧٨٧) من حديث جابر ﷺ.

(٦) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٠٦٢، وأخرجه بأطول مما هنا البخاري (٣٦٢١)، ومسلم (٢٢٧٤) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٧) بعدها في النسخ عدا (ظ): فأولاً، والمثبت من (ظ) وأحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٠٦٢، والكلام منه.

ما لا يظهر إلّا بعد الفِكر. وقد رأى النائم في زمن يوسف عليه السلام بقرأ فأولها يوسف السنين، ورأى أَحَدَ عَشَرَ كوكباً والشمس والقمر فأولها بإخوته وأبويه.

السابعة: إن قيل: إن يوسف عليه السلام كان صغيراً وَفَتَ رؤياه، والصغير لا حُكْمَ لِفَعْلِهِ، فكيف تكون له رؤيا لها حُكْمٌ حتى يقول له أبوه: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ﴾؟

فالجواب: أنَّ الرؤيا إدراكٌ حقيقةً على ما قدَّمناه، فتكون من الصغير كما يكون منه الإدراك الحقيقي في اليقظة، وإذا أخبر عما رأى صُدِّقَ، فكذلك إذا أخبر عما يرى في المنام^(١). وقد أخبر الله سبحانه عن رؤياه وأنها وُجِدَتْ كما رأى، فلا اعتراض. رُوي أنَّ يوسف عليه السلام كان ابن اثنتي عشرة سنة^(٢).

الثامنة: هذه الآية أصلٌ في ألا تُقَصَّ الرؤيا على غير شفيقٍ ولا ناصح، ولا على مَنْ لا يُحَسِّنُ التأويل فيها؛ روى أبو رَزِين العُقَيْلِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «الرؤيا جزءٌ من أربعين جزءاً من النبوة، والرؤيا معلقةٌ برجلٍ طائرٍ ما لم يحدث بها صاحبُها، فإذا حَدَّثَ بها وقعت، فلا تُحَدِّثُوا بها إلّا عاقلاً أو مُجِبّاً أو ناصحاً» أخرجه الترمذي وقال فيه: حديثٌ حسنٌ صحيح، وأبو رَزِين اسمه لَقِيط بنُ عامر^(٣).

وقيل لمالك: أيعبر الرؤيا كلُّ أحد؟ فقال: أيا النبوة يُلعب؟ وقال مالك: لا يعبر الرؤيا إلّا مَنْ يُحَسِّنُهَا، فإن رأى خيراً أخبر به، وإن رأى مكروهاً فليقل خيراً أو ليصمت. قيل: فهل يعبرها على الخير وهي عنده على المكروه لقول مَنْ قال: إنَّها على ما أولت^(٤) عليه؟ فقال: لا! ثم قال: الرؤيا جزءٌ من النبوة فلا يُتَلَعَبُ بالنبوة.

(١) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٦٢/٣ - ١٠٦٣.

(٢) عرائس المجالس ص ١١٢ عن ابن وهب.

(٣) سنن الترمذي (٢٢٧٨)، وأخرجه أحمد (١٦١٨٣)، وابن عبد البر في التمهيد ٢٨٣/١ واللفظ له.

(٤) في (د) و(ز) و(م): تأولت، وفي (ظ): تأول، وفي (ف): توليت، والمثبت من التمهيد ٢٨٨/١، والكلام منه.

التاسعة: وفي هذه الآية دليلٌ على أنَّ مباحاً^(١) أن يُحذَّر المسلم أخاه المسلم ممن يخافه عليه، ولا يكون داخلياً في معنى الغيبة؛ لأنَّ يعقوبَ عليه السلام قد حذَّر يوسف أن يقصَّ رؤياه على إخوته فيكيدوا له كيداً.

وفيها أيضاً ما يدلُّ على جواز ترك إظهار النعمة عند مَنْ تُخشى غائلته حسداً وكيداً؛ وقال النبي ﷺ: «استعينوا على حوائجكم بالكتمان؛ فإنَّ كلَّ ذي نعمة محسود»^(٢).

وفيها أيضاً دليلٌ واضحٌ على معرفة يعقوبَ عليه السلام بتأويل الرؤيا؛ فإنَّه علِم من تأويلها أنَّه سيظهرُ عليهم، ولم يبالِ بذلك من نفسه؛ فإنَّ الرجل يودُّ أن يكون ولده خيراً منه، والأخ لا يودُّ ذلك لأخيه^(٣).

ويدلُّ أيضاً على أنَّ يعقوبَ عليه السلام كان أحسنَّ من بنيه حسداً يوسف وبُغضته، فنهاه عن قصص الرؤيا عليهم خوف أن تغلَّ بذلك صدورهم، فيعملوا الحيلة في هلاكه، ومن هنا ومن فعلهم بيوسف يدلُّ على أنَّهم كانوا غير أنبياء في ذلك الوقت، ووقع في كتاب الطبري لابن زيد أنَّهم كانوا أنبياء، وهذا يرُدُّه القطع بعصمة الأنبياء عن الحسد الدنياوي، وعن عقوب الآباء، وتعريض مؤمنٍ للهلاك، والتأمر في قتله^(٤)، ولا التفات لقول مَنْ قال: إنَّهم كانوا أنبياء، ولا يستحيلُ في العقل زلَّة نبيٍّ، إلَّا أنَّ هذه الزلَّة قد جمعت أنواعاً من الكبائر، وقد أجمع المسلمون على عصمتهم

(١) في (ظ): على أنه يباح.

(٢) أحكام القرآن للكلبي الطبري ٢٢٩/٣، والحديث أخرجه ابن حبان في روضة العقلاء ص ١٨٧، والسهمي في تاريخ جرجان ص ٢٢٣ من حديث أبي هريرة روي الحديث أيضاً عن معاذ روي في الضعفاء للعقيلي ١٠٨/٢، والكامل لابن عدي ٧٧٠/٢ - ٧٧١ و ١٢٤٠/٣، وأخبار أصبهان لأبي نعيم ٢١٧/٢ والموضوعات لابن الجوزي (٨٨٩) و (٨٩٠). وعن ابن عباس كما في المجروحين لابن حبان ٣٨٤/١ - ٣٨٥، والموضوعات (٨٩١) و (٨٩٢). قال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٦٣/٣.

(٤) المحرر الوجيز ٢٢٠/٣، وخبر ابن زيد في تفسير الطبري ١٣/١٣.

منها، وإنما اختلفوا في الصغائر على ما تقدّم ويأتي^(١).

العاشرة: روى البخاري^(٢) عن أبي هريرة قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لم يبقَ من النبوة إلا المبشرات» قالوا: وما المبشرات؟ قال: «الرؤيا الصالحة». وهذا الحديث بظاهره يدلُّ على أنَّ الرؤيا بشرى على الإطلاق، وليس كذلك؛ فإنَّ الرؤيا الصادقة قد تكون منذرةً من قِبَل الله تعالى لا تُسرُّ رائيتها، وإنَّما يُريها الله تعالى المؤمنَ رفقاً به ورحمة، ليستعدَّ لنزول البلاء قبل وقوعه^(٣)؛ فإنَّ أدرك تأويلها بنفسه، وإلاَّ سأل عنها مَنْ له أهليَّة ذلك. وقد رأى الشافعيُّ رحمه الله وهو بمصرَ رؤيا لأحمد بن حنبل تدلُّ على محتته، فكتبَ إليه بذلك ليستعدَّ لذلك^(٤).

وقد تقدّم في «يونس» في تفسير قوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الآية: ٦٤] أنَّها الرؤيا الصالحة. وهذا وحديث البخاري مخرجه على الأغلب^(٥)، والله أعلم.

الحادية عشرة: روى البخاري^(٦) عن أبي سلمة قال: لقد كنتُ أرى الرؤيا فتُمرُّضني، حتى سمعتُ أبا قتادة يقول: وأنا كنتُ لأرى الرؤيا فتُمرِّضني حتى سمعتُ رسول الله يقول: «الرؤيا الحسنة من الله؛ فإذا رأى أحدكم ما يحبُّ فلا يحدث به إلاَّ مَنْ يحبُّ، وإذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شرِّها، وليتقلَّ ثلاثاً^(٧)، ولا يحدث بها أحداً، فإنَّها لن تُضرَّه».

(١) تقدم ٤٥٩/١ - ٤٦٠ ، وسيأتي ص ٢٦٥ من هذا الجزء.

(٢) في صحيحه (٦٩٩٠).

(٣) ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح ٣٧٥/١٢ - ٣٧٦ نحو هذا الكلام عن المهلب.

(٤) روى الخبر مطولاً ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد ص ٥٥١ ، والمقدسي في محنة الإمام أحمد ص ٨ - ١٠ .

(٥) أي أن التعبير بالمبشرات والبشرى خرج على الأغلب. ينظر الفتح ٣٧٥/١٢ .

(٦) في صحيحه (٧٠٤٤) ، وهو عند أحمد (٢٢٦٤٤) ، ومسلم (٢٢٦١) : (٤).

(٧) في (م) : ثلاث مرات .

قال علماؤنا: فجعل الله الاستعاذة منها ممّا يرفع أذاها؛ ألا ترى قول أبي سلمة^(١): «إني كنت لأرى الرؤيا هي أثقل عليّ من الجبل، فلما سمعتُ بهذا الحديث كنت لا أعدها شيئاً. وزاد مسلم^(٢) من حديث جابر عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثاً، وليتعوّذ بالله من الشيطان ثلاثاً، وليتحوّل عن جنبه الذي كان عليه». وفي حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إذا رأى أحدكم ما يكره فليقم فليصل»^(٣).

قال علماؤنا: وهذا كلّ ليس بمتعارض، وإنّما هذا الأمر بالتحوّل والصلاة زيادة، فعلى الرائي أن يفعل الجميع، والقيام إلى الصلاة يشمل الجميع؛ لأنّه إذا صلى تضمّن فعله للصلاة جميع تلك الأمور؛ لأنّه إذا قام إلى الصلاة تحوّل عن جنبه، وإذا تمضمض نفث^(٤) وبصق، وإذا قام إلى الصلاة تعوّد ودعا وتضرّع لله تعالى في أن يكفيه شرّها في حال هي أقرب الأحوال إجابة، وذلك السحر من الليل.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُرِيكَ نِعَمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ①﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ الكاف في موضع نصب؛ لأنها نعت لمصدر محذوف، وكذلك الكاف في قوله: ﴿كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ و«ما» كافة^(٥).

(١) في النسخ الخطية: قول قتادة، وفي (م): قول أبي قتادة، والمثبت من صحيح البخاري (٥٧٤٧) وصحيح مسلم (٢٢٦١): (٢).

(٢) برقم (٢٢٦٢)، وهو عند أحمد (١٤٧٨٠).

(٣) أخرجه مطولاً أحمد (٧٦٢٢)، ومسلم (٢٢٦٣).

(٤) في (د) و(ظ) و(م): تفل، والمثبت من باقي النسخ والمفهم ١٩/٦، والكلام منه.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣١٤/٢، والتقدير في الكاف الأولى: ومثّل ذلك الاجتهاد العظيم يجتبيك. ويجوز فيها الرفع على خبر ابتداء مضمّر، أي: الأمر كذلك. الدر المصون ٦/٤٤٠.

وقيل: «وَكَذَلِكَ» أي: كما أكرمك بالرؤيا فكذلك يجتبيك، ويُحسن إليك بتحقيق الرؤيا. مقاتل: بالسجود لك. الحسن: بالنبوة^(١).

والاجتباء: اختيارُ معالي الأمورِ للمجتبى، وأصله من جَبَيْتُ الشيء، أي: حَصَلْتُهُ، ومنه: جَبَيْتُ الماءَ في الحوض؛ قاله النحاس^(٢). وهذا ثناءٌ من الله تعالى على يوسف عليه السلام، وتعديدٌ فيما عدّه عليه من النعم التي آتاه الله تعالى، من التمكين في الأرض، وتعليم تأويل الأحاديث؛ وأجمعوا أنَّ ذلك في تأويل الرؤيا^(٣). قال عبد الله بن شدّاد بن الهاد: كان تفسير رؤيا يوسف ﷺ بعد أربعين سنة، وذلك منتهى الرؤيا^(٤).

وعنى بالأحاديث ما يراه الناس في المنام، وهي معجزةٌ له؛ فإنه لم يَلْحَقْهُ فيها خطأ. وكان يوسف عليه السلام أعلم الناس بتأويلها، وكان نبياً ﷺ نحو ذلك، وكان الصديق ﷺ من أغبر الناس لها، وحَصَلَ لابن سيرين فيها التقدّم العظيم، والطبع والإحسان، ونحوه أو قريبٌ منه كان سعيد بن المسيّب فيما ذكروا^(٥).

وقد قيل: في تأويل قوله: ﴿وَيَعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ أي: أحاديث الأمم والكتب ودلائل التوحيد^(٦)، فهو إشارةٌ إلى النبوة، وهو المقصودُ بقوله: ﴿وَيُنَزِّلُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ أي: بالنبوة. وقيل: بإحواج^(٧) إخوانك إليك. وقيل: بإنجائك من كُلِّ مكروه.

(١) قول الحسن في النكت والعيون ٨/٣. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ١٨١/٤ عن ابن عباس.

(٢) في معاني القرآن ٣٩٨/٣.

(٣) التمهيد ٣١٣/١.

(٤) معاني القرآن للنحاس ٣٩٧/٣، وأخرجه ابن أبي شيبة ٨٢/١١، والطبري ٣٥٨/١٣.

(٥) التمهيد ٣١٤/١.

(٦) ذكر نحوه الزجاج في معاني القرآن ٩٢/٣.

(٧) في (ظ) و(م): بإخراج، وهو موافق لما ورد في المطبوع من النكت والعيون ٨/٣، والمثبت من باقي

النسخ، وهو موافق لما في زاد المسير ١٨١/٤ وقد نقله ابن الجوزي عن الماوردي.

﴿كَمَا أَنتَمَهَا عَلَىٰ أَوْنِكَ مِن قَبْلُ إِزْرِهِمْ﴾ بالخَلَّة، وإنجائه من النار ﴿وَأَسْحَقَ﴾ بالنبوة. وقيل: إنجائه^(١) من الذبح؛ قاله عكرمة^(٢). وأعلمه الله تعالى بقوله: ﴿وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ﴾ أنه سيعطي بني يعقوب كلهم النبوة؛ قاله جماعة من المفسرين^(٣). ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ بما يعطيك ﴿حَكِيمٌ﴾ في فعله بك.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٍ لِّلْسَائِلِينَ﴾ ٧ ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ غَصَبُهُ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ٨ ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَيْكُمُ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ ٩

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٍ لِّلْسَائِلِينَ﴾ يعني: مَنْ سأل عن حديثهم. وقرأ أهل مكة: ﴿آيَةً﴾ على التوحيد^(٤)؛ واختار أبو عبيد: «آيَات» على الجمع؛ قال: لأنها خير كثير. قال النحاس^(٥): و«آيَةً» هنا قراءة حسنة، أي: لقد كان للذين سألوا عن خبر يوسف آية فيما خُبروا به؛ لأنهم سألوا النبي ﷺ وهو بمكة فقالوا: أخبرنا عن رجلٍ من الأنبياء كان بالشام أخرج ابنه إلى مصر، فبكى عليه حتى عمي - ولم يكن بمكة أحدٌ من أهل الكتاب، ولا مَنْ يعرف خبر الأنبياء؛ وإنما وَجَّه اليهودُ إليه^(٦) من المدينة يسألونه عن هذا - فأنزل الله عزَّ وجلَّ سورة يوسف جملةً واحدة؛ فيها كلُّ ما في التوراة من خبرٍ وزيادة. فكان ذلك آيةً للنبي ﷺ؛ بمنزلة إحياء عيسى ابن مريم عليه السلام الميت.

(١) قوله: إنجائه، من (ظ).

(٢) أخرجه الطبري ١٦/١٣. وقد سلف التنبيه ٤٠٩/٢ على أن الصحيح هو أن الذبيح إسماعيل عليه السلام.

(٣) ينظر معاني القرآن للزجاج ٩٢/٣، والنكت والعيون ٨/٣، وتفسير البغوي ٤١٠/٢، والمحرو الوجيز ٢٢١/٣.

(٤) هي قراءة ابن كثير المكي والباقون على الجمع. السبعة ص ٣٤٤، والتيسير ص ١٢٧.

(٥) في إعراب القرآن ٣١٤/٢، وما قبله منه، إلا أنه وقع فيه: عبر كثيرة، بدل: خير كثير.

(٦) في (ز) و(ف) و(م): إليهم، وليست في (د)، والمثبت من (ظ) وإعراب القرآن.

«آية»^(١): موعظة. وقيل: عبرة. ورُوي أنها في بعض المصاحف: «عبرة». وقيل: بصيرة^(٢). وقيل: عَجَب؛ تقول: فلان آية في العلم والحُسن؛ أي: عَجَب.

قال الثعلبي في «تفسيره»: لَمَّا بلغت الرؤيا إخوة يوسف حسدوه؛ قال ابن زيد: كانوا أنبياء، وقالوا: ما يرضى أن يسجد له إخوته حتى يسجد له أبواه! فبَغَوْهُ بالعداوة. وقد تقدّم ردُّ هذا القول^(٣).

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ﴾ وأسماءهم: روبيل وهو أكبرهم، وشمعون ولاوى ويهوذا وزيا لون ويشجر، وأمهم ليا بنت ليان، وهي بنتُ خال يعقوب، ووُلِدَ له من سُرِّيَّتَيْنِ أربعة نفر؛ دان ونفتالي وجاد وآشر، ثم توفيت ليا فتزوَّج يعقوبُ أختها راحيل، فولدت له يوسف وبنيامين، فكان بنو يعقوب اثني عشر رجلاً^(٤).

قال السهيلي^(٥): وأمُّ يعقوب اسمها رفقا، وراحيل ماتت في نفاس بنيامين، وليان بن ناهر بن آزر هو خال يعقوب.

وقيل في اسم الأمتين: ليا وتلتا، كانت إحداهما لراحيل، والأخرى لأختها ليا، وكانتا قد وهَبَتَاهُمَا ليعقوب^(٦)، وكان يعقوب قد جمع بينهما، ولم يَحِلَّ لأحدٍ بعده^(٧)؛ لقول الله تعالى: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٣]. وقد تقدّم الردُّ على ما قاله ابن زيد^(٨)، والحمد لله.

(١) في (م): آيات.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٩٢/٣، ومعاني القرآن للنحاس ٣/٣٩٩.

(٣) ص ٢٥٥ من هذا الجزء.

(٤) تفسير البغوي ٢/٤١٠ - ٤١١، ووقع فيه: آشر، بدل: يشجر. وأشير، بدل: آشر.

(٥) في التعريف والإعلام ص ٧٩ - ٨٠.

(٦) التعريف والإعلام ص ٨٢.

(٧) ينظر تفسير أبي الليث ٢/١٥١، وقد ذكر أبو الليث أن يعقوب جمع بين راحيل وأختها ليا، قال: وكان الناس يجمعون بين الأختين إلى أن بعث الله موسى عليه السلام.

(٨) قوله: وقد تقدم الرد...، قد ذكره المصنف قبل، ولا محل له هنا.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ﴾ «يوسف» رفع بالابتداء؛ واللام للتأكيد، وهي التي يُتلقى بها القسم، أي: والله لَيُوسُفُ. ﴿وَأَخُوهُ﴾ عطف عليه. ﴿لَحَبَّ إِلَيْنَا مِنَّا﴾ خبره، ولا يثنى ولا يُجمع لأنّه بمعنى الفعل^(١)؛ وإنّما قالوا هذا لأنّ خبر المنام بلغهم فتأمروا في كيده.

﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ أي: جماعة، وكانوا عشرة. والعُصْبَةُ ما بين الواحد إلى العشرة، وقيل: إلى الخمسة عشر. وقيل: ما بين الأربعين إلى العشرة. ولا واحد لها من لفظها، كالنَّفَر والرَّهْط^(٢).

﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ لم يريدوا ضلالَ الدّين؛ إذ لو أرادوه لكانوا كفّاراً، بل أرادوا: لفِي ذهابٍ عن وجه التدبير، في إيثار اثنين على عشرة مع استوائهم في الانتساب إليه. وقيل: لفِي خطأ بين بإيثاره يوسف وأخاه علينا^(٣).

قوله تعالى: ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ في الكلام حذف، أي: قال قائلٌ منهم: ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ ليكون أحسم لمادة الأمر. ﴿أَوْ أَطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ أي: في أرض، فأسقط الخافض، وانتصب الأرض؛ وأنشد سيبويه^(٤) فيما حذف منه «في»:

لَذَنْ بِهِزْ الْكَفِّ يَغْسِلُ مَثْنُهُ فيه كما عَسَلَ الطَّرِيقَ الثَّغْلَبُ^(٥)

قال النحاس^(٦): إلّا أنّه في الآية حَسَنٌ كثير؛ لأنّه يتعدّى إلى مفعولين؛ أحدهما بحرف، فإذا حذفت الحرف تعدّى الفعل إليه.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣١٥/٢.

(٢) تفسير البغوي ٤١١/٢.

(٣) تفسير البغوي ٤١١/٢. قال الألوسي ١٩٠/١٢: والذي ينبغي أن يعول عليه أنه عليه السلام إنما أحبه أكثر منهم لما رأى فيه من مخايل الخير ما لم يَرِ فيهم، وزاد ذلك الحب بعد الرؤيا لتأكيد تلك الأمارات عنده.

(٤) في الكتاب ٣٦/١ و ٢١٤.

(٥) أي: في الطريق، والبيت لساعدة بن جؤية، وهو في شرح ديوان الهذليين ١١٢٠/٣، وسلف ١٧٢/٩.

(٦) في إعراب القرآن ٣١٥/٢، وما قبله منه.

والقاتل قيل: هو شمعون؛ قاله وهب بن منبه. وقال كعب الأحبار: دان. وقال مقاتل: روبيل^(١). قاله أعلم. والمعنى: أرضاً تبعد عن أبيه. فلا بد من هذا الإضمار؛ لأنه كان عند أبيه في أرض^(٢).

﴿يَحْلُلْ﴾ جزم؛ لأنه جواب الأمر؛ معناه: يخلص ويصفو ﴿لَكُمْ وَبَهُ أَيْكُمْ﴾ فيقبل عليكم بكلية ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: من بعد الذنب، وقيل: من بعد يوسف ﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ أي: تائبين، أي: تحدثوا توبة بعد ذلك فيقبلها الله منكم^(٣)؛ وفي هذا دليل على أن توبة القاتل مقبولة، لأن الله تعالى لم ينكر هذا القول منهم. وقيل: «صَالِحِينَ» أي: يصلح شأنكم عند أبيكم من غير أثر ولا تفضيل^(٤).

قوله تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ﴿١٠﴾

فيه ثلاث عشرة مسألة:

الأولى: قوله تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ﴾ القائل هو يهوذا، وهو أكبر ولد يعقوب؛ قاله ابن عباس^(٥). وقيل: روبيل، وهو ابن خالته، وهو الذي قال: ﴿فَلَنَ أَتِيَنَّ الْأَرْضَ﴾ الآية [يوسف: ٨٠]. وقيل: شمعون^(٦).

﴿وَالْقَوْهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ﴾ قرأ أهل مكة وأهل البصرة وأهل الكوفة: ﴿فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ﴾. وقرأ أهل المدينة: ﴿فِي غَيَابَاتِ الْجُبِّ﴾^(٧) واختار أبو عبيد التوحيد؛ لأنه

(١) ذكر أقوالهم البغوي ٤١١/٢.

(٢) ينظر معاني القرآن للزجاج ٩٣/٣، وللنحاس ٣٩٩/٣ - ٤٠٠.

(٣) الوسيط ٦٠١/٢، وقد ذكره الواحدي عن ابن عباس.

(٤) النكت والعيون ١١/٣.

(٥) ذكره ابن الجوزي ١٨٤/٤ من طريق أبي صالح عنه.

(٦) أخرج القولين الأخيرين الطبري ٢٠/١٣ - ٢١؛ الأول عن قتادة وابن إسحاق، والثاني عن مجاهد.

(٧) وهي قراءة نافع وأبي جعفر. السبعة ص ٣٤٥، والتيسير ص ١٢٧، والنشر ٢٩٣/٢.

على موضع واحد ألقوه فيه، وأنكر الجمع لهذا. قال النحاس^(١): وهذا تضيق في اللغة، «وغيابات» على الجمع يجوز [من وجهين]: حكى سيويه: سيرَ عليه عُشَيَّاتٍ وأَصِيلَاتٍ، يريد: عُشِيَّةً وأَصِيلًا، فجعل كلَّ وقتٍ منها عُشِيَّةً وأَصِيلًا^(٢). فكذا جعل كلَّ موضعٍ مما يُغَيَّبُ غَيَابَةً. والآخر: أن يكون في الجبِّ غَيَابَاتٌ جماعة. ويقال: غاب يَغِيْبُ^(٣) غَيْبًا وَغَيَابَةً وَغَيَابًا؛ كما قال الشاعر:

أَلَا فَالْبَثَا شَهْرَيْنِ أَوْ نَصَفَ ثَالِثٍ إِلَى ذَاكُمَا مَا^(٤) غَيَّبْتَنِي غَيَابِيَا^(٥)
قال الهروي^(٦): والغَيَابَةُ شبه لَجَفٍ^(٧)، أو طاقٍ في البئر فَوَيْقَ الماء، يَغِيْبُ الشيء عن العين. وقال ابن عُرَيْزٍ^(٨): كلُّ شيء غَيَّبَ عنك شيئاً فهو غَيَابَةٌ. قلت: ومنه قيل: للقبر: غَيَابَةٌ^(٩)؛ قال الشاعر:

فإِنْ أَنَا يَوْمًا غَيَّبْتَنِي غَيَابَتِي فَسَيَرُوا بِسَيْرِي فِي الْعَشِيرَةِ وَالْأَهْلِ^(١٠)
وَالْجُبِّ: الرِّكِيَّةُ التي لم تُطَوَّ، فإذا طُوِّت فهي بئر^(١١)؛ قال الأعشى^(١٢):

-
- (١) في إعراب القرآن ٣١٥/٢، وما قبله وما سيرد بين حاصرتين منه.
(٢) الكتاب ٤٨٤/٣. قال سيويه: قالوا: عُشَيَّات، كأنهم سَمَوْا كلَّ جزءٍ منه عَشِيَّةً.
(٣) من قوله: غَيَابَةٌ والآخر...، إلى هذا الموضع من (م) وإعراب القرآن.
(٤) في (م): أَنَا ذَاكُمَا قَدْ، وفي باقي النسخ: إِلَى ذَاكُمَا قَدْ، والمثبت من إعراب القرآن وباقي المصادر على ما يَأْتِي.
(٥) قائله ابن أحمر، كما في معاني القرآن للأخفش ١٨٧/١، والأزمنة والأمكنة للمرزوقي ٣٧٧/٢ وأمالى ابن السجري ٧٥/٣، وهو بلا نسبة في المحاسب ٢٢٧/٢، والخزانة ٧١/١١.
قال المرزقي: أراد بالغياب: الغَيَابَةُ؛ لذلك أثَّ. اهـ أي: أثَّ الفعل غَيَّبْتَنِي.
(٦) في (ظ): المهدوي.
(٧) حفر في جانب البئر. القاموس (لجف).
(٨) في شرح غريب القرآن ص ٣٤٣.
(٩) ينظر الوسيط ٦٠١/٢ - ٦٠٢، واللسان (غيب).
(١٠) قائله المنخَّل بن سُبَيْع العبدي، كما في مجاز القرآن ٣٠٢/١، وزاد الميسر ١٨٥/٤. وهو في معاني القرآن للزجاج ٩٤/٣ برواية: غَيَّبْتَنِي مَنِي.
(١١) تفسير الغريب لابن عزيز ص ١٩٤. والركِيَّة: البئر. القاموس (ركو). وفي اللسان (طوي): طوى الركِيَّة طَيًّا: عرَّشها بالحجارة والأجر.
(١٢) في ديوانه ص ١٧٣.

لئن كنتَ في جبٍّ ثمانينَ قامَةً ورُقِّيتَ أسبابَ السَّمَاءِ بِسُلْمٍ
وسمَّيتَ جبًّا لأنها قُطعت في الأرضَ قُطْعاً. وجمعُ الجبِّ: جِبَّةٌ وجِبَابٌ
وأجبابٌ^(١).

وجَمَعَ بين العَيَابَةِ والجُبِّ؛ لأنه أراد: ألقوه في موضعٍ مظلَمٍ من الجُبِّ حتى لا
يلحقه نظَرُ الناظرين. قيل: هو بئرُ بيت المقدس^(٢). وقيل: هو بالأردن؛ قاله وهب بن
مُنَبِّه. مقاتل: هو على ثلاثةِ فراسخٍ من منزل يعقوب^(٣).

الثانية: قوله تعالى: ﴿يَلْقَظُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ جزم على جواب الأمر. وقرأ مجاهد
وأبو رجاء والحسن وقتادة: «تَلْتَقِظُهُ» بالتاء^(٤). وهذا محمولٌ على المعنى؛ لأنَّ بعض
السَّيَّارَةِ سَيَّارَةٌ، وحكى سيويه: سقطت بعضُ أصابعه، وأنشد:

وتَشْرِقَ بالقول الذي قد أذغته كما شَرِقتْ صَدْرُ القَنَاةِ من الدَّمِ^(٥)
وقال آخر:

أَرَى مَرَّ السَّنِينِ أَخَذَنَ مِنِّي كما أَخَذَ السَّرَّارُ مِنَ الْهَلَالِ^(٦)
ولم يقل: شَرِقَ ولا أَخَذَتْ.

والسَّيَّارَةُ: الجمعُ الذين يسرون في الطريق للسَّفر؛ وإنما قال هذا القائلُ هذا

(١) تهذيب اللغة ٥١١/١٠.

(٢) أخرجه عبد الرزاق ٣١٨/١، والطبري ٢١/١٣ - ٢٢، وذكره الواحدي في الوسيط ٦٠٢/٢.

(٣) الوسيط ٦٠٢/٢.

(٤) القراءات الشاذة ص ٦٢، وإعراب القرآن للنحاس ٣١٦/٢ والكلام منه.

(٥) الكتاب ٥٢/١، والبيت للأعشى، وهو في ديوانه ص ١٧٣. وقوله: وتشرق، بالفتح، معطوف على ما قبله.
يخاطب به يزيد بن مُسَهر الشيباني فيقول: يعود عليك مكروهٌ ما أذغت عني من القول، ونسبته إلي من
القيح، والشَّرِقَ بالهاء كالغصص بالطعام. والشاهد فيه تأنيث فعل الصدر وهو مذكر؛ لأنه مضاف إلى
مؤنث. شرح الشواهد للشتمري ص ٨٠.

(٦) البيت لجريز، وهو في ديوانه بشرح محمد بن حبيب ٥٤٦/٢ برواية: رأت مرَّ السنين. قال شارح
الديوان: أراد: رأت السنين، والسَّرَّار ليلتان تقيان من الشهر إذا كان تأمًا، وإذا كان ناقصًا كان سراره
ليلة. اهـ. وفي اللسان (سرر): استسرَّ الهلال في آخر الشهر: خفي.

حتى لا يحتاجوا إلى حمله إلى موضع بعيد، ويحصل المقصود؛ فإنَّ مَنْ التقطه من السيارة يحمله إلى موضع بعيد، وكان هذا وجهاً في التدبير حتى لا يحتاجوا إلى الحركة بأنفسهم، فربَّما لا يأذن لهم أبوهم، وربما يطلع على قُضدهم.

الثالثة: وفي هذا ما يدلُّ على أنَّ إخوة يوسف ما كانوا أنبياء أولاً ولا آخراً^(١)؛ لأنَّ الأنبياء لا يدبرون في قتل مسلم، بل كانوا مسلمين، فارتكبوا معصية ثم تابوا. وقيل: كانوا أنبياء، ولا يستحيل في العقل زلَّة نبيٍّ، فكانت هذه زلَّة منهم. وهذا يرده أنَّ الأنبياء معصومون من الكبائر على ما قدَّمناه^(٢). وقيل: ما كانوا في ذلك الوقت أنبياء ثم نبَّأهم الله^(٣)، وهذا أشبه، والله أعلم.

الرابعة: قال ابن وَهْب: قال مالك: طُرح يوسف في الجُبِّ وهو غلام. وكذلك روى ابن القاسم عنه، يعني أنَّه كان صغيراً، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ قال: ولا يلتقط إلا الصغير، وقوله: ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾ وذلك أمرٌ يختصُّ بالصغار^(٤)، وقولهم: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

الخامسة: الالتقاط: تناوُل الشيء من الطريق، ومنه اللَّقِيط واللَّقْطَةُ، ونحن نذكر من أحكامها ما دلَّت عليه الآية والسُّنة، وما قال في ذلك أهل العلم واللغة. قال ابن عرفة: الالتقاط وجود الشيء على غير طلب، ومنه قوله تعالى: ﴿يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ أي: يجده من غير أن يحتسبه.

(١) في (ف) و(م): لا أولاً ولا آخراً.

(٢) ٤٥٩/١ - ٤٦٠ و ص ٢٥٥ من هذا الجزء.

(٣) ذكره البيهقي ٤١٢/٢ عن أبي عمرو بن العلاء. قال ابن كثير عند تفسير الآية السابعة من هذه السورة: أعلم أنه لم يقم دليل على نبوة إخوة يوسف... ومن الناس مَنْ يزعم أنهم أوحى إليهم بعد ذلك، وفي هذا نظر، ويحتاج مدَّعي ذلك إلى دليل... الخ وينظر تنمة قوله هناك.

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٦٥/٣ - ١٠٦٦.

وقد اختلف العلماء في اللَّقِيط؛ فقيل: أصله الحرّية؛ لَعَلَّبة الأحرار على العبيد. ورؤي عن الحسن بن عليّ أنّه قضى بأنّ اللَّقِيط حرٌّ، وتلا: ﴿وَسَرَّوْهُ بِمَنْ يَخْتَرُ دَرَكَهُمْ مَّعْدُودَةٌ﴾. وإلى هذا ذهب أشهب صاحبُ مالك، وهو قولُ عمر بن الخطاب، وكذلك يُروى عن عليّ وجماعة. وقال إبراهيم النَّخعي: إنّ نوى رِقَّه فهو مملوك، وإن نوى الحِسْبَةَ فهو حرٌّ^(١).

وقال مالك في «موطّئه»^(٢): الأمرُ عندنا في المنبوذ أنه حرٌّ، وأنّ ولاءه لجماعة المسلمين، هم يرثونه ويعقلون عنه. وبه قال الشافعيّ؛ واحتجّ بقوله عليه الصلاة والسلام: «إنّما الوَلَاءُ لمن أعتق»^(٣) قال: فنقّى الوَلَاءَ عن غير المعتق.

واتفق مالكُ والشافعيّ وأصحابهما على أنّ اللَّقِيط لا يُوالي أحداً، ولا يرثه أحدٌ بالوَلَاء. وقال أبو حنيفة وأصحابه وأكثر الكوفيين: اللَّقِيط يوالي مَنْ شاء، فَمَنْ والاه فهو يرثه ويعقلُ عنه. وعند أبي حنيفة: له أن ينتقل بولائه حيث شاء، ما لم يعقلُ عنه الذي والاه، فإنّ عَقْلَ عنه جناية، لم يكن له أن ينتقل عنه بولائه أبداً^(٤).

وذكر أبو بكر بن أبي شيبة^(٥) عن عليّ ؑ: المنبوذ حرٌّ، فإن أحبّ أن يوالي الذي التقطه والاه، وإن أحبّ أن يوالي غيره والاه. ونحوه عن عطاء^(٦)، وهو قولُ ابن شهابٍ وطائفةٍ من أهل المدينة^(٧)، وهو حرّ.

قال ابن العربي^(٨): إنّما كان أصل اللَّقِيط الحرّية؛ لَعَلَّبة الأحرار على العبيد،

(١) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٦٦/٣ عدا قول أشهب، وذكر قوله ابن عبد البر في الاستذكار ١٥٦/٢٢، وقول عمر أخرجه مالك في الموطأ ٧٣٨/٢، وقول علي سبرد قريباً.

(٢) ٧٣٨/٢.

(٣) الاستذكار ١٥٨/٢٢، والحديث سلف ٢٤٧/٨.

(٤) الاستذكار ١٥٨/٢٢.

(٥) في مصنفه ٤٠٦/١١.

(٦) المصنف ٤٠٧/١١.

(٧) الاستذكار ١٥٩/٢٢.

(٨) في أحكام القرآن ١٠٦٧/٣ - ١٠٦٨.

فيَقْضَى^(١) بالغالب، كما حُكِمَ أنه مسلم أخذاً بالغالب؛ فإن كان في قرية فيها نصارى ومسلمون؛ قال ابن القاسم: يُحْكَمُ بالأغلب، فإن وُجِدَ عليه زِيُّ اليهود فهو يهوديٌّ، وإن وُجِدَ عليه زِيُّ النصارى فهو نصرانيٌّ. وإلَّا فهو مسلم، إلَّا أن يكون أكثرُ أهل القرية على غير الإسلام^(٢). وقال غيره: لو لم يكن فيها إلا مسلمٌ واحدٌ قُضِيَ لِلْقَيْطِ بالإسلام، تغليياً لحكم الإسلام الذي يعلو ولا يُعْلَى عليه^(٣)، وهو مقتضى قول أشهب؛ قال أشهب: هو مسلم أبداً؛ لأنني أجعله مسلماً على كلِّ حال، كما أجعله حراً على كلِّ حال^(٤).

واختلف الفقهاء في المنبوذ تشهد البيئة أنه عبد؛ فقالت طائفة من أهل المدينة: لا يُقْبَلُ قولها في ذلك. وإلى هذا ذهب أشهب؛ لقول عمر: هو حرٌّ. ومن قضى بحريته^(٥) لم يقبل البيئة في أنه عبد. وقال ابن القاسم: تُقْبَلُ البيئة في ذلك. وهو قول الشافعي والكوفي^(٦).

السادسة: قال مالك في اللقيط: إذا أنفق عليه الملتقيط، ثم أقام رجل البيئة أنه ابنه، فإنَّ الملتقيط يرجع على الأب إن كان طَرَحَهُ متعمداً، وإن لم يكن طَرَحَهُ ولكنه ضلَّ منه فلا شيء على الأب، والملتقيط متطوِّعٌ بالنفقة. وقال أبو حنيفة: إذا أنفق على اللقيط فهو متطوِّع، إلَّا أن يأمره الحاكم. وقال الأوزاعي: كلُّ مَنْ أنفق على مَنْ لا تجب [له] عليه نفقة؛ رَجَعَ بما أنفق^(٧).

وقال الشافعي: إن لم يكن للقيط مالٌ وجبت نفقته في بيت المال، فإن لم يكن

(١) في النسخ: فقضى والمثبت من أحكام القرآن.

(٢) الاستذكار ١٥٧/٢٢.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٦٨/٣.

(٤) الاستذكار ١٥٧/٢٢.

(٥) في المطبوع من الاستذكار ١٥٦/٢٢ (والكلام منه): ومن قضى بحديثه.

(٦) في الاستذكار: والكوفيين.

(٧) التمهيد ١٢٨/٣ - ١٢٩، وما سلف بين حاضرتين منه.

ففيه قولان: أحدهما: يُستقرض له في ذمته. والثاني: يقسّط على المسلمين من غير عَوْض^(١).

السابعة: وَأَمَّا اللَّقْطَةُ وَالضُّوَالُ فقد اختلف العلماء في حكمهما؛ فقالت طائفة من أهل العلم: اللَّقْطَةُ وَالضُّوَالُ سواءٌ في المعنى، والحكمُ فيهما سواءٌ. وإلى هذا ذهب أبو جعفر الطحاوي، وأنكر قول أبي عبيد القاسم بن سلام - إِنَّ الضَّالَّةَ لَا تَكُونُ إِلَّا فِي الْحَيَوَانَ، وَاللُّقْطَةُ فِي غَيْرِ الْحَيَوَانَ - وقال: هذا غلط؛ واحتجّ بقوله ﷺ في حديث الإفك للمسلمين: «إِنَّ أَمَّكُمْ ضَلَّتْ قِلَادَتَهَا» فأطلق ذلك على القِلادة^(٢).

الثامنة: أجمع العلماء على أَنَّ اللَّقْطَةَ ما لم تكن تافهاً يسيراً، أو شيئاً لا بقاء له^(٣)، فَإِنَّهَا تُعَرَّفُ حَوْلًا كَامِلًا. وأجمعوا أَنَّ صاحبها إن جاء فهو أحقُّ بها من مُلْتَقِطِهَا إذا ثبت له أنه صاحبها. وأجمعوا أَنَّ مُلْتَقِطَهَا إن أَكَلَهَا بعد الحول وأراد صاحبها أن يضمّنه فإنَّ ذلك له، وإن تصدَّق بها فصاحبها مخير بين التضمين، وبين أن ينزل على أجراها، فأَيُّ ذَلِكَ تَخَيَّرَ كان ذلك له بإجماع؛ ولا تنطلق يدُ ملْتَقِطِهَا عليها بصدقة، ولا تُصَرَفُ قبل الحول. وأجمعوا أَنَّ [أَخِذْ] ضَالَّةَ الْغَنَمِ [في الموضع] المخوفِ عليها له أَكْلُهَا.

التاسعة: واختلف الفقهاء في الأفضل مِن تَرْكِهَا أو أَخْذِهَا؛ فَمِنَ ذَلِكَ أَنَّ فِي الْحَدِيثِ دَلِيلًا عَلَى إِبَاحَةِ التَّقَاتِ اللَّقْطَةُ وَأَخِذِ الضَّالَّةَ ما لم تكن إبلاً. وقال في الشاة: «لَكَ أَوْ لِأَخِيكَ أَوْ لِلذِّئْبِ» يحضُّه على أخذها، ولم يقل في شيء: دعوه حتى يضيع

(١) التنبيه للشيرازي ص ١٣٤.

(٢) التمهيد ٣/ ١١١ - ١١٢، والاستذكار ٢٢/ ٣٣٣ - ٣٣٤، وقول الطحاوي في شرح معاني الآثار ٤/ ١٣٩، والحديث بهذا اللفظ أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار ١/ ١١١. وحديث الإفك أخرجه مطولاً البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠) دون اللفظ المذكور، وينظر ما ورد من أحاديث في قصة إضاعة عائشة رضي الله عنها قِلادتها فيما سلف ٦/ ٣٥٤ - ٣٥٧.

(٣) في النسخ: لها، والمثبت من التمهيد ٣/ ١٠٧، والاستذكار ٢٢/ ٣٢٩، والكلام وما سيرد بين حاصرتين منهما.

أو يَأْتِيَهُ رَبُّهُ. ولو كان تركُ اللَّقْطَةِ أَفْضَلَ لِأَمْرِ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كما قال في ضالَّةِ الإِبِلِ، والله أعلم^(١).

وجملة مذهب أصحاب مالك أنه في سَعَةِ؛ إِنْ شَاءَ أَخَذَهَا، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَهَا؛ هذا قولُ إسماعيل بن إسحاق رحمه الله.

وقال المُرْنِثِيُّ عن الشافعي: لا أَحَبُّ لِأَحَدٍ تَرَكَ لُقْطَةً إِنْ وَجَدَهَا؛ إِذَا كَانَ أَمِينًا عَلَيْهَا، قال: وسواءٌ قَلِيلُ اللَّقْطَةِ وكَثِيرُهَا^(٢).

العاشرة: روى الأئمة؛ مالك وغيره عن زيد بن خالد الجُهَنِيِّ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فسأله عن اللَّقْطَةِ، فقال: «اغْرِفْ عِفَاصَهَا وَوِكَاءَهَا، ثُمَّ عَرِّفْهَا سَنَةً، فَإِنْ جَاءَ صَاحِبُهَا، وَإِلَّا فَشَانَكَ بِهَا». قال: فضالَّةُ الغنمِ يا رسول الله؟ قال: «لَكَ أَوْ لِأَخِيكَ أَوْ لِلذِّئْبِ». قال: فضالَّةُ الإِبِلِ؟ قال: «مَا لَكَ وَلَهَا؟! مَعَهَا سِقَاؤُهَا وَجِذَاؤُهَا، تَرُدُّ الْمَاءَ وَتَأْكُلُ الشَّجَرَ حَتَّى يَلْقَاهَا رَبُّهَا»^(٣).

وفي حديث أبيّ قال: «احْفَظْ عَدَدَهَا وَوِعَاءَهَا وَوِكَاءَهَا، فَإِنْ جَاءَ صَاحِبُهَا، وَإِلَّا فَاسْتَمِيعْ بِهَا». ففي هذا الحديث زيادةُ العدد؛ خَرَّجَهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ^(٤).

وأجمع العلماء أَنَّ عِفَاصَ اللَّقْطَةِ وَوِكَاءَهَا مِنْ إِحْدَى عِلَامَاتِهَا وَأَدْلَاهَا عَلَيْهَا^(٥)، فإذا أتى صاحب اللَّقْطَةِ بِجَمِيعِ أَوْصَافِهَا دُفِعَتْ لَهُ؛ قال ابن القاسم: يُجَبَّرُ عَلَى دَفْعِهَا، فَإِنْ جَاءَ مُسْتَحَقُّ يَسْتَحِقُّهَا بَيِّنَةٌ أَنَّهَا كَانَتْ لَهُ، لَمْ يَضْمَنْ الْمَلْتَقِطُ شَيْئًا^(٦). وهل

(١) التمهيد ١٠٨/٣، وسيأتي حديث ضالة الإبل وضالة الغنم في المسألة التالية.

(٢) التمهيد ١٠٩/٣ و ١١٠.

(٣) الموطأ ٧٥٧/٢، ومن طريق مالك أخرجه البخاري (٢٤٢٩)، ومسلم (١٧٢٢): (١)، وأخرجه بنحوه من غير طريق مالك أحمد (١٧٠٥٠). والعفاص: الوعاء الذي تكون فيه النفقة، من جلد أو خرقه أو غير ذلك. والوكاء: الخيط الذي تشد به الصرة والكيس. النهاية (عفاص) (ووكاء).

(٤) صحيح مسلم (١٧٢٣)، وهو عند أحمد (٢١١٦٦).

(٥) التمهيد ١٠٧/٣.

(٦) التمهيد ١٢٠/٣، والاستذكار ٣٣٩/٢٢.

يُحَلِّفُ مع الأوصاف أو لا؟ قولان: الأوَّلُ لأشهب، والثاني لابن القاسم. ولا تلزمه بيِّنة عند مالكٍ وأصحابه وأحمد بن حنبل وغيرهم^(١).

وقال أبو حنيفة والشافعي: لا تُدفع له إلا إذا أقام بيِّنة أنها له. وهو بخلاف نصِّ الحديث، ولو كانت البيِّنة شرطاً في الدفع لما كان لذكر العِفَاص والوكاء والعَدَد معنى؛ فإنه يستحقُّها بالبيِّنة على كلِّ حال، ولَمَّا جاز سكوتُ النبي ﷺ عن ذلك، فإنه تأخيرُ البيان عن وقت الحاجة^(٢). والله أعلم.

الحادية عشرة: نصَّ الحديث على الإبل والغنم وبيَّن حكمهما، وسكت عمَّا عداهما من الحيوان. وقد اختلف علماؤنا في البقر؛ هل تُلحقُ بالإبل أو بالغنم؟ قولان. وكذلك اختلف أئمتنا في التقاط الخيل والبغال والحمير، وظاهرُ قول ابن القاسم أنها تلتقط، وقال أشهب وابن كنانة: لا تلتقط^(٣). وقول ابن القاسم أصحُّ؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «احْفَظْ على أخيك المؤمنَ ضالَّته»^(٤).

الثانية عشرة: واختلف العلماء في النفقة على الضَّوَالِّ؛ فقال مالك فيما ذكر عنه ابنُ القاسم: إن أنفق الملتقطُ على الدوابِّ والإبل وغيرها فله أن يرجع على صاحبها بالنفقة، وسواء أنفق عليها بأمر السلطان أو بغير أمره، قال: وله أن يحبسَ بالنفقة ما أنفق عليه، ويكونُ أحقُّ به كالرهن. وقال الشافعي: إذا أنفق على الضَّوَالِّ مَنْ أَخَذَهَا فهو متطوِّعٌ؛ حكاه عنه الرِّبيع. وقال المُزنيُّ عنه: إذا أمره الحاكم بالنفقة كانت ديناً، وما ادَّعى قُبَل منه إذا كان مثله قَصْداً. وقال أبو حنيفة: إذا أنفق على اللَّقْطَةِ وَالْأَبْقِ^(٥)

(١) المفهم ١٨٣/٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المفهم ١٩٠/٥.

(٤) قطعة من حديث أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار ١٣٥/٤ - ١٣٦، والبيهقي ١٥٣/٤. برواية: احبس، بدل: احفظ. قال الطحاوي: ففي هذا الحديث إباحة أخذ الضَّوَالِّ التي قد يُخاف عليها الضياع، وجبها له (أي لصاحبها).

(٥) في (د) و(م): والإبل، وفي (ز) و(ظ) و(ف): والابن، والمثبت من مختصر اختلاف العلماء للجصاص ٣٤٩/٤، والتمهيد ١٢٩/٣ والكلام منه، وما سيرد بين حاصرتين منهما.

بغير أمر القاضي فهو متطوع، وإن أنفق بأمر القاضي فذلك دينٌ على صاحبها إذا جاء، وله أن يحبسها [بالنفقة] إذا حضر صاحبها، والنفقةُ عليها ثلاثة أيام ونحوها، حتى يأمر القاضي ببيع الشاة وما أشبهها ويقضي بالنفقة.

الثالثة عشرة: ليس في قوله ﷺ في اللَّقْطَةِ بعد التعريف: «فاسْتَمِيعْ بِهَا»^(١) أو: «فَشَانِكَ بِهَا»^(٢) أو: «فَهِيَ لَكَ»^(٣) أو: «فاسْتَنْفِقْهَا»^(٤) أو: «ثُمَّ كُلْهَا»^(٥) أو: «فَهُوَ مَالُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ»^(٦) على ما في «صحيح» مسلم وغيره، ما يدلُّ على التملك وسقوط الضمان عن الملتقط إذا جاء ربُّها، فإنَّ في حديث زيد بن خالد الجهني عن النبي ﷺ: «فَإِنْ لَمْ تَعْرِفْ، فَاسْتَنْفِقْهَا وَلْتَكُنْ وَدِيعَةً عِنْدَكَ، فَإِنْ جَاءَ صَاحِبُهَا يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ فَأَدَّهَا إِلَيْهِ»^(٧) في رواية: «ثُمَّ كُلْهَا، فَإِنْ جَاءَ صَاحِبُهَا فَأَدَّهَا إِلَيْهِ» خرَّجه البخاري ومسلم^(٨).

وأجمع العلماء على أنَّ صاحبها متى جاء فهو أحقُّ بها، إلَّا ما ذهب إليه داود من أنَّ الملتقط يملك اللَّقْطَةَ بعد التعريف؛ لتلك الظواهر. ولا التفات لقوله؛ لمخالفة^(٩) الناس، ولقوله عليه الصلاة والسلام: «فَأَدَّهَا إِلَيْهِ»^(١٠).

(١) سلف في المسألة العاشرة من حديث أبي ﷺ.

(٢) سلف في المسألة العاشرة من حديث زيد بن خالد الجهني ﷺ.

(٣) أخرج هذه الرواية أحمد (١٧٠٣٧)، ومسلم (١٧٢٢): (٦).

(٤) أخرجه أحمد (١٧٠٦٠)، والبخاري (٢٤٢٧)، ومسلم (١٧٢٢): (٣) و(٥).

(٥) أخرجه أحمد (٢١٦٨٦)، ومسلم (١٧٢٢): (٧)، وجميع هذه الروايات من حديث زيد بن خالد الجهني ﷺ.

(٦) أخرجه أحمد (١٧٤٨١)، وأبو داود (١٧٠٩)، والنسائي في الكبرى (٥٧٧٦)، وابن ماجه (٢٥٠٥) من حديث عياض بن حمار.

(٧) أخرجه بهذا اللفظ مسلم (١٧٢٢): (٥)، وينحوه البخاري (٢٤٢٨).

(٨) صحيح البخاري (٩١)، وصحيح مسلم (١٧٢٢): (٧)، وهو عند أحمد (٢١٦٨٦) وقد سلف تخريجه في بداية هذه المسألة، ووقع عند البخاري: استمتع بها، بدل: ثم كلها.

(٩) في (ظ): لمخالفته.

(١٠) المفهم ١٨٧/٥ - ١٨٨.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَتَابَنَّا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَمُنْصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَزْنَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَتَابَنَّا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ﴾ قيل للحسن: أَيْحَسُدُ الْمُؤْمِنُ؟ قال: ما أَنَسَاكَ بَنِي يَعْقُوبَ^(١)! ولهذا قيل: الأَبُ جَلَّابٌ، والأَخُ سَلَّابٌ^(٢).

فعند ذلك أجمعوا على التفريق بينه وبين ولده بضربٍ من الاحتيال، وقالوا ليعقوب: ﴿يَتَابَنَّا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ﴾. وقيل: لَمَّا تفاوضوا وافترقوا على رأي المتكلم الثاني، عادوا إلى يعقوب عليه السلام وقالوا هذا القول. وفيه دليلٌ على أَنَّهُم سألوه قبل ذلك أَن يَخْرُجَ معهم يوسف فأبى، على ما يأتي.

قرأ يزيد بنُ القَعْقَاعِ وعمر بنُ عُبيد والزُّهري: «لا تَأْمَنَّا» بالإدغام وبغير إشمام، وهو القياس؛ لأنَّ سبيلَ ما يُدْغَمُ أَن يكونَ ساكنًا.

وقرأ طلحة بن مُصَرِّف: «لا تَأْمَنَّا» بنونين ظاهرتين على الأصل.

وقرأ يحيى بنُ وثَّاب وأبو رَزين - وروي عن الأعمش -: «لا تَيْمَنَّا» بكسر التاء، وهي لغةٌ تميم؛ يقولون: أنت تَضْرِبُ؛ وقد تقدَّم^(٣).

وقرأ سائر الناس بالإدغام والإشمام، ليدلَّ على حالِ الحرفِ قبل إدغامه^(٤).

﴿وَإِنَّا لَمُنْصِحُونَ﴾ أي: في حفظه وحيطته حتى نَرَدَّه إليك^(٥). قال مقاتل: في الكلام تقديم وتأخير، وذلك أَن إخوة يوسف قالوا لأبيهم: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا﴾ الآية، فحينئذٍ قال أبوهم: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنَّ تَذْهَبُوا بِهِ﴾ فقالوا حينئذٍ جواباً لقوله: ﴿مَا لَكَ

(١) أخرجه هناد في الزهد (١٣٩٤)، وابن حبان في روضة العقلاء ص ١٣٦.

(٢) عرائس المجالس ص ١١٤.

(٣) ٢٢٦/١ و ٢٩٧/٩.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣١٦/٢، ومعاني القرآن للزجاج ٩٤/٣، ومعاني القرآن للفراء ٣٨/٢، ومختصر شواذ القرآن ص ٦٢، والمحمر الوجيز ٢٢٣/٣.

(٥) تفسير الطبري ٢٤/١٣.

لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ ﴿١﴾ الْآيَةُ ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا﴾ إِلَى الصَّحْرَاءِ ﴿١﴾ ﴿يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ﴾.
 «غَدًا» ظرفٌ، والأصلُ عند سيبويه: غَدُوٌّ، وقد نُطِقَ به على الأصل^(٢)؛ قال
 النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ: ما بينَ الفجرِ وصلاةِ الصبحِ يُقال له: غُدُوَّةٌ، وكذا بُكْرَةٌ^(٣).
 «نَرْتَعُ وَنَلْعَبُ» بالنون وإسكان العين قراءةُ أهلِ البصرة، والمعروفُ من قراءةِ أهلِ
 مكة: «نَرْتَعُ» بالنون وكسر العين، وقراءةُ أهلِ الكوفة: «يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ» بالياء وإسكانِ
 العين. وقراءةُ أهلِ المدينة بالياء وكسرِ العين^(٤). القراءةُ الأولى من قولِ العرب: رَتَعَ
 الإنسانُ والبعيرُ: إذا أَكَلَا كيف شاء، والمعنى: نتسَع في الخِضْب؛ وكلُّ مُخْصِبٍ
 رَاتِعٌ^(٥)؛ قال:

فارَعِي فزارَةً لَا هَنَّاكَ الْمَرْتَعُ^(٦)

وقال آخر:

تَرْتَعُ مَا غَفَلْتُ حَتَّى إِذَا أَذْكَرْتُ
 فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ^(٧)
 وقال آخر:

أَكْفَرًا بَعْدَ رَدِّ الْمَوْتِ عَنِّي وَبَعْدَ عَطَائِكَ الْمِئَةَ الرَّتَاعَا^(٨)
 أي: الراتعة لكثرة المَرْعَى. وروى مَعْمَرٌ عَنْ قَتَادَةَ: «ترتع»: تسعى؛ قال
 النحاس: أخذه من قوله: «إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ» لَأَنَّ المعنى: نَسْتَبِقُ فِي الْعَدْوِ إِلَى غَايَةِ

(١) زاد المسير ١٨٦/٤ - ١٨٧ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣١٧/٢ .

(٣) المحرر الوجيز ٢٢٣/٣ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣١٧/٢ .

(٤) تفسير الطبري ٢٤/١٣ - ٢٥ ، والتيسير ص ١٢٨ ، والسبعة ص ٣٤٥ - ٣٤٦ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٩٥/٣ ، والنكت والعيون ١٢/٣ - ١٣ .

(٦) عجز بيت للفرزدق، وصدره: ومضت لِمَسْلَمَةَ الرِّكَابِ مَوْدَعًا، وهو في ديوانه ٤٠٨/١ .

(٧) البيت للخنساء في ديوانها ص ٤٨ ، وسلف ٥٤/٣ .

(٨) البيت للقطامي في ديوانه ص ٣٧ ، وسلف ١٠٥/٥ .

بعينها؛ وكذا: «يرتع» بإسكان العين، إلا أنه ليوسف وحده ﷺ. و«يرتع» بكسر العين من رعي الغنم، أي: ليتدرب بذلك ويترجل؛ فمرة يترتع، ومرة يلعب لصغره. وقال القُتَيْبِيُّ: «ترتع» تتحارس وتتحافظ، ويرعى بعضنا بعضاً؛ من قولك: رعاك الله؛ أي: حفظك. «ونلعب» من اللعب، وقيل لأبي عمرو بن العلاء: كيف قالوا: «ونلعب» وهم أنبياء؟ فقال: لم يكونوا يومئذ أنبياء^(١). وقيل: المراد باللعب المباح من الانبساط، لا اللعب المحظور الذي هو ضد الحق؛ ولذلك لم ينكر يعقوب قولهم: «ونلعب»^(٢). ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «فَهَلَّا بِكَرَأ تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ»^(٣). وقرأ مجاهد وقتادة: «يُرْتَع»^(٤)، على معنى يُرْتَع مطيته، فحذف المفعول، «وَيَلْعَبُ» بالرفع على الاستئناف؛ والمعنى: هو مَن يلعب.

﴿وَأَنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ من كل ما تخاف عليه. ثم يحتمل أنهم كانوا يخرجون ركبانا، ويحتمل أنهم كانوا رجالة. وقد نُقِلَ أَنَّهُمْ حَمَلُوا يَوْسُفَ عَلَى أَكْتَافِهِمْ مَا دَامَ يَعْقُوبُ يَرَاهُمْ، ثُمَّ لَمَّا غَابُوا عَنْ عَيْنِهِ طَرَحُوهُ؛ لِيَعْدُوَ مَعَهُمْ إِضْرَاراً بِهِ^(٥).

قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنَّ تَذْهَبُوا بِهِمْ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ ١١ ﴿قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَسِرُونَ﴾ ١٢ ﴿

قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنَّ تَذْهَبُوا بِهِمْ﴾ في موضع رفع؛ أي: ذهابكم

(١) تفسير الطبري ٢٥/١٣، والمحرر الوجيز ٢٢٤/٣.

(٢) النكت والعيون ١٢/٣ - ١٣، وزاد المسير ١٨٨/٤.

(٣) أخرجه أحمد (١٤٣٠٦) والبخاري (٢٣٠٩)، ومسلم (٧١٥).

(٤) نسبها ابن جني في المحتسب ٣٣٣/١، وابن عطية في المحرر الوجيز ٢٢٤/٣، وأبو حيان في البحر

المحيط ٢٨٥/٥ لأبي رجاء، وذكر ابن عطية وأبو حيان أن قراءة مجاهد وقتادة ترتع بضم النون وكسر

التاء، ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ١٨٧/٤ لأنس وأبي رجاء.

(٥) تفسير البغوي ٤١٣/٢ - ٤١٤.

به^(١). أخبر عن حزنه لغيبته ﴿وَأَخَاثُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾ وذلك أنه رأى في منامه أن الذئب شدَّ على يوسف، فلذلك خافه عليه؛ قاله الكلبي.

وقيل: إنه رأى في منامه كأنه على ذروة جبل، وكان يوسف في بطن الوادي، فإذا عَشْرَةٌ من الذئاب قد احتوشته تريد أكله، فدرأ عنه واحداً، ثم انشقت الأرض، فتَوَارَى يوسف فيها ثلاثة أيام، فكانت العشرة إخوته، لما تماثلوا على قتله، والذي دافع عنه أخوه الأكبر يهوذا، وتَوَارِيهِ في الأرض هو مقامه في الجب ثلاثة أيام.

وقيل: إنما قال ذلك؛ لخوفه منهم عليه، وأنه أرادهم بالذئب، فخوفه إنما كان من قتلهم له، فكفى عنهم بالذئب مساترة لهم، قال ابن عباس: فسماهم ذئاباً. وقيل: ما خافهم عليه، ولو خافهم لما أرسله معهم، وإنما خاف الذئب؛ لأنه أغلب ما يُخَافُ فِي الصَّحَارَى^(٢).

والذئب مأخوذ من تَذَابَّتِ الرِّيحُ: إذا جاءت من كل وجه؛ كذا قال أحمد بن يحيى؛ قال: والذئب مهموز؛ لأنه يجيء من كل وجه.

وروى ورش عن نافع: «الذَّيْبُ» بغير همز؛ لما كانت الهمزة ساكنة وقبلها كسرة فحَقَّقَهَا؛ صارت ياء^(٣).

﴿وَأَنْتَ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ أي: مشغولون بالرعي.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ أي: جماعة نرى الذئب ثم لا نَرُدُّه عنه^(٤) ﴿إِنَّا إِذَا لَخَسِرُونَ﴾ أي: في حِفْظِنَا أَغْنَامَنَا. أي: إذا كنا لا نقدر على دفع الذئب عن أختينا، فنحن أعجز أن ندفعه عن أغنامنا. وقيل: «لَخَاسِرُونَ»:

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣١٧/٢ - ٣١٨.

(٢) النكت والعيون ١٣/٣، والمححر الوجيز ٢٢٤/٣، وزاد المسير ١٨٨/٤ - ١٨٩، وعرائس المجالس ص ١١٤.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣١٨/٢، وقرأ: الذيب، بغير همز أيضاً أبو عمرو في رواية السوسي، والكسائي ووفقاً حمزة. السبعة ص ٣٤٦، والتيسير ص ١٢٨.

(٤) الوسيط ٦٠٢/٢، وزاد المسير ١٨٨/٤.

لجاهلون بحقه. وقيل: لعاجزون^(١).

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَن يُجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَن يُجْعَلُوهُ﴾ «أن» في موضع نصب^(٢)، أي: على أن يجعلوه في غيابة الجب.

قيل في القصة: إن يعقوب عليه السلام لما أرسله معهم أخذ عليهم ميثاقاً غليظاً ليحفظونه، وسلمه إلى روبيل وقال: يا روبيل، إنه صغير، وتعلم يا بني شفقتي عليه؛ فإن جاع فأطعمه، وإن عطش فاسقه، وإن أعبأ فاخمله، ثم عجل برده إلي^(٣). قال: فأخذوا يحملونه على أكتافهم، لا يضعه واحد إلا رفعه آخر، ويعقوب يشيعهم ميلاً ثم رجع، فلما انقطع بصر أبيهم عنهم، رماه الذي كان يحمله إلى الأرض حتى كاد ينكسر، فالتجأ إلى آخر، فوجد عند كل واحد منهم أشد مما عند الآخر من الغيظ والعسف، فاستغاث بروبيل وقال: أنت أكبر إخوتي، والخليفة من بعد والدي عليّ، وأقرب الإخوة إليّ، فارحمني وارحم ضعفي، فلطمه لطمه شديدة وقال: لا قرابة بيني وبينك، فادعُ الأحد عشر كوكباً فلتنجك منّا؛ فعلم أن حقدهم من أجل رؤياه، فتعلق بأخيه يهوذا، وقال: يا أخي، ارحم ضعفي وعجزني وحدائث سني، وارحم قلب أبيك يعقوب، فما أسرع ما تناسيتهم وصيته، ونقضتم عهده؛ فرق قلب يهوذا فقال: والله لا يصلون إليك أبداً ما دمت حياً، ثم قال: يا إخوتاه، إن قتل النفس التي حرم الله من أعظم الخطايا، فردوا هذا الصبي إلى أبيه، ونعاهذه ألا يحدث والدّه بشيء مما جرى أبداً، فقال له إخوته: والله ما تريد إلا أن تكون لك المكانة عند يعقوب، والله لئن لم تدعُ لنقتلنك معه، قال: فإن أبيتم إلا ذلك فها هنا هذا

(١) ينظر تفسير الطبري ٢٩/١٣، وتفسير الكشاف ٣٠٦/٢، وتفسير الرازي ٩٨/١٨.

(٢) تفسير الكشاف ٣٠٦/٢.

(٣) ينظر عرائس المجالس ص ١١٥.

الجُبُّ الموحشُ القفر، الذي هو مأوى الحياتِ والهوام، فآلَقُوهُ فيه، فَإِنْ أُصِيبَ بشيءٍ من ذلك فهو المرادُ، وقد استرحتم من دمه، وَإِنْ انْقَلَتْ على أيدي سَيَّارةٍ يذهبون به إلى أرضٍ فهو المرادُ؛ فأجمع رأيهم على ذلك^(١)، فهو قولُ الله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابِ الْجُبِّ﴾ وجوابُ «لَمَّا» محذوفٌ؛ أي: فلما ذهبوا به، وأجمعوا على طرحه في الجُبِّ عَظُمَتْ فتنُهم^(٢). وقيل: جوابُ «لما» قولُهم: ﴿قَالُوا يَتَابَعَنَا إِنْ أَوَّعْنَا نَسْتَفِيقُ﴾ [يوسف: ١٧]. وقيل: التقديرُ: فلما ذهبوا به من عندِ أبيهم، وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجُبِّ جعلوه فيها، هذا على مذهب البصريين، وأمَّا على قولِ الكوفيين فالجوابُ: «أوحينا»^(٣) والواو مقحمةٌ، والواو عندهم تُزاد مع لما وحتى؛ قال الله تعالى: ﴿حَقَّقْ إِذَا جَاءَ وَهَهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] أي: فتحت، وقوله: ﴿حَقَّقْ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ [هود: ٤٠] أي: فار. قال امرؤ القيس:

فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاخَةَ الْحَيِّ وَانْتَحَى^(٤)

أي: انتحى، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَدَيْتَهُ﴾ [الصافات: ١٠٣-١٠٤] أي: ناديناه.

وفي قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ دليلٌ على نبوّته في ذلك الوقت. قال الحسنُ ومجاهدٌ والصَّحَاكُ وَتَادَة: أعطاهُ اللهُ النبوة وهو في الجُبِّ على حجرٍ مرتفعٍ عن الماء. وقال الكلبي: أُلقي في الجُبِّ وهو ابن ثمانِي عشرة سنة، فما كان صغيراً؛ وَمَنْ قال: كان صغيراً فلا يبعدُ في العقلِ أن يتنبأ الصغيرُ ويُوحي إليه. وقيل: كان وحي إلهامٍ كقولهِ:

(١) ينظر تفسير الطبري ٣٠/١٣، وتفسير البغوي ٤١٣/٢ - ٤١٤، والوسيط ٦٠٣/٢، وزاد المسير ١٨٩/٤.

(٢) ينظر المحرر الوجيز ٣/٢٢٥، والكشاف ٣٠٦/٢، وتفسير الرازي ٩٩/١٨.

(٣) وقال الطبري في التفسير ٣٠/١٣: «وأجمعوا» هو الجواب.

(٤) وعجزه: بنا بطنٍ حَقَفَ ذي ركامٍ عَقَقْل، والبيت في ديوانه ص ١٥. وانتحيت لفلان، أي: عرضت له. اللسان (نحي).

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّعْلِ﴾ [النحل: ٦٨]، وقيل: كان مناماً، والأوّل أظهر - والله أعلم - وأنّ جبريل جاءه بالوحي^(١).

قوله تعالى: ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه أوحى إليه أنه سيلقاهم ويؤيخهم على ما صنعوا. فعلى هذا يكون الوحي بعد إلقائه في الجبّ تقويةً لقلبه، وتبشيراً له بالسّلامة.

الثاني: أنه أوحى إليه بالذي يصنعون به؛ فعلى هذا يكون الوحي قبل إلقائه في الجبّ إنذاراً له. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنّك يوسف، وذلك أنّ الله تعالى أمره لمّا أفضى إليه الأمر بمصرَ ألاّ يُخبر أباه وإخوته بمكانه. وقيل: بوحي الله تعالى بالنبوة؛ قاله ابنُ عباس ومجاهد^(٢). وقيل: «الهاء» ليعقوب^(٣)، أوحى الله تعالى إليه ما فعلوه بيوسف، وأنّه سيُعرفهم بأمره، وهم لا يشعرون بما أوحى الله إليه، والله أعلم.

ومما ذكر من قصته إذ أُلقي في الجبّ ما ذكره السُّدِّي وغيره، أنّ إخوته لمّا جعلوا يُدْلُونَه في البئر، تعلّق بشفير البئر، فربطوا يديه، ونزّعوا قميصه، فقال: يا إخوتاه! رُدُّوا عليّ قميصي أتواري به في هذا الجبّ، فإنّ مثّ كان كفني، وإن عشتُ أُواري به عورتِي؛ فقالوا: ادعُ الشمسَ والقمرَ والأحدَ عشر كوكباً فلتؤنِسْكَ وتكسُكْ؛ فقال: إني لم أر شيئاً. فدَلُّوه في البئر حتى إذا بلغ نصفها أَلْقَوْه إرادةً أن يسقط فيموت، فكان في البئر ماءً، فسقط فيه، ثم آوى إلى صخرة فقام عليها^(٤).

وقيل: إنّ شمعون هو الذي قطعَ الحبل إرادةً أن يفتتَ على الصخرة، وكان جبريلُ تحت ساق العرش، فأوحى الله إليه أن أدرك عبدي؛ قال جبريل: فأسرعتُ

(١) ينظر تفسير الطبري ٣١/١٣ - ٣٢، والمحرر الوجيز ٣/٢٢٥، والنكت والعيون ٣/١٤، والكشاف ٣٠٧/٢، وتفسير الرازي ٩٩/١٨، وزاد المسير ٤/١٩٠ - ١٩١.

(٢) النكت والعيون ٣/١٤، وينظر زاد المسير ٤/١٩١.

(٣) المحرر الوجيز ٣/٢٢٥.

(٤) تفسير الطبري ٣٠/١٣، وزاد المسير ٤/١٨٩ - ١٩٠.

وهبطت حتى عارضته بين الرمي والوقوع، فأقعدته على الصخرة سالماً، وكان ذلك الجب مأوى الهوام، فقام على الصخرة وجعل يبكي، فنادوه، فظن أنها رحمة عليه أدركتهم، فأجابهم؛ فأرادوا أن يرضخوه بالصخرة، فمَنَعَهُم يهوذا، وكان يهوذا يأتيه بالطعام، فلما وقع عريانا نزل جبريلُ إليه؛ وكان إبراهيمُ حين أُلقي في النار عريانا أتاه جبريلُ بقميصٍ من حرير الجنة، فألبسه إياه، فكان ذلك عند إبراهيم، ثم ورثه إسحاق، ثم ورثه يعقوب، فلما شَبَّ يوسفُ جعل يعقوبُ ذلك القميصَ في تعويذة، وجعله في عنقه، فكان لا يفارقه، فلما أُلقي في الجب عريانا أخرج جبريلُ ذلك القميصَ فألبسه إياه^(١).

قال وهب: فلما قام على الصخرة قال: يا إخوتاه، إن لكل ميت وصية، فاسمعوا وصيتي، قالوا: وما هي؟ قال: إذا اجتمعتم كلُّكم فأنس بعضكم بعضاً، فاذكروا وحشتي، وإذا أكلتم، فاذكروا جوعي، وإذا شربتم، فاذكروا عطشي، وإذا رأيتم غريباً، فاذكروا غُربتِي، وإذا رأيتم شاباً، فاذكروا شبابي. فقال له جبريلُ: يا يوسفُ! كُفَّ عن هذا، واشتغل بالدعاء، فإنَّ الدعاءَ عند الله بمكان. ثم علَّمه فقال: قل: اللهمَّ يا مؤنس كلِّ غريب، يا صاحب كلِّ وحيد، يا ملجأ كلِّ خائف، يا كاشف كلِّ كرب، يا عالم كلِّ نجوى، يا منتهى كلِّ شكوى، يا حاضر كلِّ مَلَأ، يا حيُّ يا قيوم، أسألك أن تقذف رجاءك في قلبي، حتى لا يكون لي همٌّ ولا شغلٌ غيرك، وأن تجعلَ لي من أمري فرجاً ومخرجاً، إنك على كل شيء قدير. فقالت الملائكة: إلهنا، نسمع صوتاً ودعاءً، الصوتُ صوتُ صبيٍّ، والدعاءُ دعاءُ نبيٍّ.

وقال الضحاك: نزل جبريلُ عليه السلام على يوسف وهو في الجب فقال له: ألا أعلمك كلمات إذا أنت قُلْتَهُنَّ عَجَّلَ اللهُ لك خروجك من هذا الجب؟ فقال: نعم! فقال له: قل: يا صانع كلِّ مصنوع، يا جابر كلِّ كسير، يا شاهد كلِّ نجوى، يا حاضر كلِّ مَلَأ، يا مفرِّج كلِّ كُربة، يا صاحب كلِّ غريب، يا مؤنس كلِّ وحيد،

(١) عرائس المجالس ص ١١٥ - ١١٦، وتفسير الكشاف ٣٠٧/٢، وتفسير الرازي ٩٩/١٨.

ايتني بالفرج والرجاء، واقذف رجاءك في قلبي حتى لا أرجو أحداً سواك. فردّها يوسف في ليلته مراراً، فأخرجه الله في صبيحة يومه ذلك من الجُبِّ^(١).

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ آبَاؤُهُمْ عِشَاءَ يَبْكُونَ﴾ ﴿١٦﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ آبَاؤُهُمْ عِشَاءَ﴾ أي: ليلاً، وهو ظرفٌ يكون في موضع الحال^(٢)؛ وإنما جاؤوا عشاءً؛ ليكونوا أقدرَ على الاعتذار في الظلمة، ولذا قيل: لا تطلب الحاجة بالليل، فإنَّ الحياءَ في العينين، ولا تعتذر بالنهار من ذنب فتتلجلج في الاعتذار^(٣)، فروي أنَّ يعقوبَ عليه السلام لما سمع بكاءهم قال: ما بكم؟ أجرى في الغنم شيء؟ قالوا: لا. قال: فأين يوسف؟ قالوا: ذهبنا نستبق، فأكله الذئب، فبكى وصاح وقال: أين قميصه؟ على ما يأتي بيانه إن شاء الله^(٤).

وقال السديُّ وابنُ حبان: إنه لما قالوا: أكله الذئب خراً مغشياً عليه، فأفاضوا عليه الماء، فلم يتحرك، ونادوه فلم يُجب.

قال وهب: ولقد وُضع يهوذا يده على مخارجِ نفسِ يعقوب فلم يُحسَّ بنفس، ولم يتحرك له عرق، فقال لهم يهوذا: ويلٌ لنا من ديانِ يومِ الدين! ضيعنا أخانا، وقتلنا أبانا، فلم يُفقِ يعقوبُ إلا ببرِدِ السَّحرِ^(٥)، فافاق ورأسه في حجرِ روبيل، فقال: يا روبيل، ألم آتِمنك على ولدي؟ ألم أعهد إليك عهداً؟ فقال: يا أبت! كُفَّ عني بكاءك أخبرك، فكفَّ يعقوبُ بكاءه فقال: يا أبت ﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْنَعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾.

(١) عرائس المجالس ص ١١٦، وزاد المسير ٤/ ١٩٠.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣١٨/٢.

(٣) عرائس المجالس ص ١١٧، وينظر زاد المسير ٤/ ١٩١.

(٤) ينظر الوسيط ٢/ ٦٠٣، والكشاف ٢/ ٣٠٧، وتفسير الرازي ١٨/ ١٠١.

(٥) ينظر عرائس المجالس ص ١١٧.

الثانية: قال علماؤنا: هذه الآية دليلٌ على أن بكاء المرء لا يدلُّ على صدق مقاله، لاحتمال أن يكون تصنعاً؛ فمن الخلق من يقدر على ذلك، ومنهم من لا يقدر. وقد قيل: إن الدمع المصنوع لا يخفى؛ كما قال حكيم:

إذا اشتبكك دموعٌ في خدودٍ تبين من بكى من ممَّن تباكى^(١)

قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَبَابًا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْلَعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾

فيه سبع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: «نَسْتَبِقُ» نفعل، من المسابقة. وقيل: أي: ننتضل، وكذا في قراءة عبد الله: «إِنَّا ذَهَبْنَا نَتَّضِلُ»، وهو نوعٌ من المسابقة؛ قاله الزجاج^(٢). وقال الأزهري^(٣): النضال في السهام، والرهان في الخيل، والمسابقة تجمعهما. قال القشيري أبو نصر: «نَسْتَبِقُ» أي: في الرمي، أو على الفرس، أو على الأقدام. والغرض من المسابقة على الأقدام تدريب النفس على العدو؛ لأنه الآلة في قتال العدو، ودفع الذئب عن الأغنام^(٤). وقال السدي وابن حيان^(٥): «نَسْتَبِقُ»: نشتد جرياً؛ لنرى أيُّنا أسبق^(٦).

قال ابن العربي^(٧): المسابقة شُرعة في الشريعة، وخَصْلَةٌ بديعة، وعَوْنٌ على

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٠٦٣، والبيت سلف ١٠/ ٣٣٦.

(٢) في معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٩٥، وينظر النكت والعيون ٣/ ١٤، والمححر الوجيز ٣/ ٢٢٦، وتفسير الرازي ١٨/ ١٠١.

(٣) في الزاهر ص ٥٣٦.

(٤) ينظر تفسير الرازي ١٨/ ١٠١.

(٥) في (ظ): أبو حيان.

(٦) زاد المسير ٤/ ١٩١ - ١٩٢، عن السدي.

(٧) في أحكام القرآن ٣/ ١٠٦٣ - ١٠٦٤.

الحرب؛ وقد فعلها^(١) ﷺ بنفسه وبخيله، وسابق عائشة رضي الله عنها على قدميه، فسبقها؛ فلما كبر رسول الله ﷺ سابقها فسبقته، فقال لها: «هذه بتلك»^(٢).

قلت: وسابق سلمة بن الأكوع رجلاً لما رجعوا من ذي قرد إلى المدينة، فسبقه سلمة. خرجه مسلم^(٣).

الثانية: وروى مالك، عن نافع، عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ سابق بين الخيل التي قد أضمرت من الحفيا، وكان أمدّها ثنيّة الدواع، وسابق بين الخيل التي لم تُضمّر من الثنيّة إلى مسجد بني زريق، وأنّ عبد الله بن عمر كان ممّن سابق بها^(٤).

وهذا الحديث مع صحته في هذا الباب تضمّن ثلاثة شروط، فلا تجوز المسابقة بدونها، وهي: أنّ المسافة لا بدّ أن تكون معلومة. الثاني: أن تكون الخيل متساوية الأحوال. الثالث: ألاّ يسابق المضمر مع غير المضمر في أمد واحد وغاية واحدة. والخيل التي يجب أن تضمّر ويسابق عليها وتقام هذه السّنة فيها: هي الخيل المعدّة لجهاد العدو لا لقتال المسلمين في الفتن^(٥).

الثالثة: وأمّا المسابقة بالنّصال والإبل، فروى مسلم^(٦) عن عبد الله بن عمرو قال: سافرنا مع رسول الله ﷺ، فنزلنا منزلاً، فمنا من يصلح خباءه، ومنا من يتنّفل. وذكر الحديث.

(١) في النسخ الخطية وأحكام القرآن: فعله.

(٢) أخرجه أحمد (٢٤١١٨)، والنسائي في الكبرى (٨٨٩٤)، وابن ماجه (١٩٧٩).

(٣) في صحيحه برقم (١٨٠٧)، وهو عند أحمد (١٦٥٣٩) وذو قرد: ماء على ليلتين من المدينة بينها وبين خيبر. معجم البلدان ٣٢١/٤.

(٤) في الموطأ ٤٦٧/٢ - ٤٦٨، وهو عند البخاري (٢٨٦٩)، ومسلم (١٨٧٠). والحفيا: موضع قرب المدينة أجرى منه رسول الله ﷺ الخيل في السباق. معجم البلدان ٢٧٦/٢.

وتضمير الخيل: هو أن يُظاَهر عليها بالعلف حتى تسمن، ثم لاتعلف إلا قوتاً لتخف. النهاية في غريب الحديث (خمر).

(٥) التمهيد ٨١/١٤ - ٨٢، والاستذكار ٣٠٧/١٤ - ٣٠٨.

(٦) في صحيحه (١٨٤٤).

وخرَجَ النسائي^(١) عن أبي هريرة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «لَا سَبَقَ إِلَّا فِي نَضْلِ أَوْ خُفٍّ أَوْ حَافِرٍ». وثبتَ ذكرُ النَّضْلِ من حديث ابن أبي ذئب، عن نافع بن أبي نافع، عن أبي هريرة. ذكره النَّسائي؛ وبه يقولُ فقهاءُ الحجازِ والعراق^(٢).

وروى البخاري^(٣) عن أنس قال: كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ نَاقَةٌ تُسَمَّى الْعُضْبَاءَ لَا تُسَبِّقُ - قَالَ حُمَيْدٌ: أَوْ لَا تَكَادُ تُسَبِّقُ - فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى قَعُودٍ، فَسَبَقَهَا، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ حَتَّى عَرَفَهُ، فَقَالَ: «حَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَلَّا يَرْتَفَعَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ».

الرابعة: أجمعَ المسلمون على أَنَّ السَّبَقَ لَا يَجُوزُ عَلَى وَجْهِ الرِّهَانِ إِلَّا فِي الْخُفِّ وَالْحَافِرِ وَالنَّضْلِ؛ قال الشافعي: ما عدا هذه الثلاثةَ فَالسَّبَقُ فِيهَا قِمَارٌ.

وقد زادَ أبو البَخْتَرِيُّ القَاضِي فِي حَدِيثِ الْخُفِّ وَالْحَافِرِ وَالنَّضْلِ: «أَوْ جَنَاحٍ»، وَهِيَ لَفْظَةٌ وَضَعَهَا لِلرَّشِيدِ، فَتَرَكَ الْعُلَمَاءُ حَدِيثَهُ لِذَلِكَ وَلِغَيْرِهِ مِنْ مَوْضُوعَاتِهِ، فَلَا يَكْتُبُ الْعُلَمَاءُ حَدِيثَهُ بِحَالٍ^(٤). وَقَدْ رُوِيَ عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ: لَا سَبَقَ إِلَّا فِي الْخَيْلِ وَالرَّمِيِّ؛ لِأَنَّهُ قُوَّةٌ عَلَى أَهْلِ الْحَرْبِ؛ قَالَ: وَسَبَقُ الْخَيْلِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ سَبَقِ الرَّمِيِّ^(٥). وَظَاهَرُ الْحَدِيثِ يُسَوِّي بَيْنَ السَّبَقِ عَلَى النُّجُبِ^(٦) وَالسَّبَقِ عَلَى الْخَيْلِ. وَقَدْ مَنَعَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ الرِّهَانَ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي الْخَيْلِ؛ لِأَنَّهَا الَّتِي كَانَتْ عَادَةً الْعَرَبِ الْمَرَاهَنَةَ عَلَيْهَا. وَرُوِيَ عَنْ عَطَاءٍ أَنَّ الْمَرَاهَنَةَ فِي كُلِّ شَيْءٍ جَائِزٌ^(٧). وَقَدْ تَوَوَّلَ عَلَيْهِ^(٨)؛ لِأَنَّ

(١) فِي الْكِبَرِيِّ (٤٤١٠)، وَالْمَجْتَبَى ٦/٢٢٦.

(٢) التمهيد ٩٤/١٤.

(٣) فِي صَحِيحِهِ (٢٨٧٢).

(٤) التمهيد ٨٨/١٤ و ٩٤، وَيَنْظُرُ تَارِيخُ بَغْدَادَ ٤٥٥/١٣. وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ هُوَ: وَهْبُ بْنُ وَهْبٍ بَنُ كَثِيرٍ الْقَاضِي الْفَرَشِي. قَالَ أَحْمَدُ: كَانَ يَضَعُ الْحَدِيثَ وَضْعًا. مِيزَانُ الْإِعْتِدَالِ ٣٥٣/٤ - ٣٥٤.

(٥) التمهيد ٨٤/١٤، وَالِاسْتِذْكَارَ ٣١٠/١٤.

(٦) جَمْعُ نَجِيَّةٍ، وَهِيَ مِنَ الْإِبِلِ.

(٧) فِي (م): جَائِزَةٌ.

(٨) فِي (م): قَوْلُهُ.

حملَه على العموم في كلِّ شيءٍ يُؤدِّي إلى إجازة القمار، وهو محرَّم باتفاق^(١).

الخامسة: لا يجوزُ السَّبْقُ في الخيل والإبل إلا في غاية معلومة وأمد معلوم، كما ذكرنا، وكذلك الرمي لا يجوزُ السَّبْقُ فيه إلا بغاية معلومة ورشقي معلوم، ونوع من الإصابة مشروط خَسَقًا^(٢)، أو إصابة بغير شرط.

والأسباقُ ثلاثة: سَبَقٌ يعطيه الوالي - أو الرجلُ غيرُ الوالي - من ماله متطوعاً، فيجعلُ للسابق شيئاً معلوماً، فمن سبق أخذه. وسَبَقٌ يُخرجه أحدُ المتسابقين دون صاحبه، فإن سبقه صاحبه أخذه، وإن سبق هو صاحبه أخذه، وحسن أن يمضيه في الوجه الذي أخرجه له، ولا يرجع إلى ماله، وهذا ممَّا لا خلاف فيه.

والسَّبَقُ الثالث: اختلف فيه، وهو أن يُخرج كلُّ واحد منهما شيئاً مثل ما يُخرجه صاحبه، فأيهما سبق، أحرزَ سبقه وسبق صاحبه. وهذا الوجه لا يجوزُ حتى يدخل بينهما مُحللاً لا يأمن أن يسبقهما، فإن سبق المحلَّل أحرزَ السَّبَقين جميعاً وأخذهما وحده، وإن سبق أحدُ المتسابقين، أحرزَ سبقه وأخذ سبق صاحبه، ولا شيء للمحلَّل فيه، ولا شيء عليه. وإن سبق الثاني منهما الثالث كان كمن لم يسبق واحد منهما.

وقال أبو علي بن خيران من أصحاب الشافعي: وحكمُ الفرس المُحلَّل أن يكون مجهولاً جريه؛ وسمي مُحللاً؛ لأنه يُحلَّل السَّبَقُ للمتسابقين أو لهُ. واتفق العلماء على أنه إن لم يكن بينهما مُحلَّل، واشترط كلُّ واحدٍ من المتسابقين أنه إن سبق أخذَ سبقه وسبق صاحبه: أنه قمارٌ ولا يجوزُ^(٣).

وفي «سنن» أبي داود^(٤)، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ أدخلَ فرساً بينَ

(١) المفهم ٧٠١/٣.

(٢) خَسَقَ السهمُ الهدفَ خَسَقاً: إذا لم ينفذ نفاذاً شديداً. وقال ابن فارس: إذا ثبت فيه وتعلق. وقال ابن القطاع: إذا نفذ من الرُمَّة. المصباح المنير (خسق).

(٣) التمهيد ٨٥/١٤ - ٨٧، والاستذكار ٣١١/١٤ - ٣١٢، والمفهم ٧٠١/٣ - ٧٠٢، وإكمال المعلم ٢٨٤/٦ - ٢٨٥.

(٤) برقم (٢٥٧٩) و(٢٥٨٠)، وهو عند أحمد (١٠٥٥٧).

فَرَسَيْنِ وَهُوَ لَا يَأْمَنُ أَنْ يَسْبِقَ؛ فَلَيْسَ بِقِمَارٍ، وَمَنْ أَدْخَلَهُ وَهُوَ يَأْمَنُ أَنْ يَسْبِقَ؛ فَهُوَ قِمَارٌ».

وفي «الموطأ»^(١) عن سعيد بن المسيب قال: ليس برهان الخيل بأس إذا دخل فيها محللٌ، فإن سبق أخذ السبق، وإن سبق لم يكن عليه شيء. وبهذا قال الشافعي وجمهور أهل العلم. واختلف في ذلك قول مالك، فقال مرة: لا يجب المحلل في الخيل، ولا نأخذ فيه بقول سعيد، ثم قال: لا يجوز إلا بالمحلل، وهو الأجود من قوله^(٢).

السادسة: ولا يُحمل على الخيل والإبل في المسابقة إلا مُحْتَلِمٌ، ولو ركبها أربابها كان أولى؛ وقد روي عن عمر بن الخطاب ؓ أنه قال: لا يركب الخيل في السباق إلا أربابها. وقال الشافعي: وأقلُّ السبق أن يسبق بالهادي أو بعضه، أو بالكفل أو بعضه. والسبق بين^(٣) الرماة على هذا النحو عنده، وقول محمد بن الحسن في هذا الباب نحو قول الشافعي^(٤).

السابعة: روي عن النبي ﷺ أنه سابق أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، فسبق رسول الله ﷺ، وصلى أبو بكر، وثلاث عمر^(٥). ومعنى: وصلى أبو بكر. يعني أن رأس فرسه كان عند صلوي^(٦) فرس رسول الله ﷺ، والصلوان: موضع العجز.

قوله تعالى: ﴿وَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْنَعَا﴾ أي: عند ثيابنا وأقمشتنا حارساً

(١) ٤٦٨/٢.

(٢) الاستذكار ٣١١/١٤، والمفهم ٧٠١/٣ - ٧٠٢.

(٣) في (د) و(ز) و(م): من، والمثبت من (ظ)، وهو الموافق لما في التمهيد ٨٦/١٤.

(٤) التمهيد ٧٩/١٤ - ٨٠ و ٨٦. والهادي: العنق. والكفل: العجز، أو ردفه، أو القطن. القاموس (هدي) و(كفل).

(٥) سلف ٢٥٩/١.

(٦) في (م): صلا.

لها^(١). ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ وذلك أنهم لما سَمِعُوا أباهم يقول: «وأخاف أن يأكله الذِّئْبُ» أخذوا ذلك من فيه، فَتَحَرَّمُوا^(٢) به؛ لأنه كان أظهر المخاوف عليه. ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ أي: بمصدق^(٣). ﴿وَلَوْ كُنَّا﴾ أي: وإن كُنَّا؛ قاله المبرد^(٤) وابنُ إسحاق^(٥). ﴿صَادِقِينَ﴾ في قولنا، ولم يُصدِّقهم يعقوب؛ لما ظهر له منهم من قوَّة التَّهمة وكثرة الأدلة على خلاف ما قالوه؛ على ما يأتي بيانه. وقيل: «ولو كنا صادقين» أي: ولو كُنَّا عندك من أهل الثقة والصدق، ما صدَّقتنا، ولا تَّهَّمْتنا في هذه القضية، لشدة محبتك في يوسف؛ قال معناه الطبري والزَّجاج وغيرهما^(٦).

قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَيْصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمُ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَيْصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾

فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: «بِدَمٍ كَذِبٍ» قال مجاهد: كان دم سَخْلَةٍ أو جَذِي ذبحوه. وقال قتادة: كان دم ظبية^(٧)، أي: جاؤوا على قَيْصِهِ بِدَمٍ مَكْذُوبٍ فيه، فوصف الدم بالمصدر، فصار تقديره: بدم ذي كذب، مثل: ﴿وَسَلَّى الْقَرْيَةَ﴾ والفاعل والمفعول قد يُسمَّيان بالمصدر، يقال: هذا ضَرْبُ الأمير، أي: مضروبُه، وماء سَكْبٍ، أي:

(١) ينظر النكت والعيون ١٤/٣.

(٢) أي: تَمَنَّعُوا. القاموس (حرم).

(٣) الكشف ٣٠٨/٢، وزاد المسير ١٩٢/٤.

(٤) في الكامل ٣٦١/١، ونقله عنه المصنف بواسطة ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٢٦/٣.

(٥) النكت والعيون ١٥/٣، وزاد المسير ١٩٢/٤.

(٦) تفسير الطبري ٣٤/١٣، ومعاني القرآن للزجاج ٩٦/٣، والمحرر الوجيز ٢٢٦/٣، وزاد المسير

١٩٢/٤.

(٧) النكت والعيون ١٥/٣، وقول مجاهد أخرجه الطبري ٣٥/١٣.

مسكوب، وماء غَوْرٌ، أي: غائر، ورجلٌ عَذْلٌ، أي: عادل^(١).

وقرأ الحسن وعائشة: «بِدَمٍ كَذِبٍ»، بالذال غير المعجمة^(٢)، أي: بدمٍ طريٍّ، يقال للدم الطري: الكذب. وحُكِيَ أَنَّهُ الْمُتَغَيِّرُ، قاله الشعبي^(٣). والكذبُ أيضاً البياض الذي يخرج في أظفار الأحداث. فيجوز أن يكون شَبَّ الدَّم في القميص بالبياض الذي يخرج في الظفر من جهة اختلاف اللَّوْنَيْنِ^(٤).

الثانية: قال علماؤنا رحمة الله عليهم: لَمَّا أرادوا أن يجعلوا الدَّم علامةً على صِدْقِهِمْ؛ قَرَنَ الله بهذه العلامة علامةً تُعَارِضُهَا، وهي سلامةُ القميص من التَّنْيِبِ^(٥)، إذ لا يمكن افتراسُ الذئب ليوسف وهو لا بَسَّ القميص ويسلم القميص من التخريق^(٦). ولما تأمل يعقوب عليه السلام القميصَ، فلم يَجِدْ فيه خَرْقاً ولا أثراً؛ استدلَّ بذلك على كذبهم وقال لهم: متى كان هذا الذئب حليماً^(٧) يأكل يوسف ولا يُخْرِقُ القميص؟! قاله ابن عباس وغيره^(٨).

روى إسرائيل، عن سِمَاك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كان الدَّم دَمَ سَخْلَةٍ. وروى سفيان عن سِمَاك، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لَمَّا نظر إليه قال: كذبتُم، لو كان الذئب أكله لخرق القميص^(٩).

(١) الكلام بنحوه في تفسير الرازي ١٨/ ١٠٢.

(٢) القراءات الشاذة ص ٦٢ - ٦٣ عن الحسن، والمحتسب ١/ ٣٣٥ عن الحسن وابن عباس رضي الله عنهما. وعن عائشة رضي الله عنها ذكرها أبو حيان في البحر ٥/ ٢٨٩.

(٣) ينظر النكت والعيون ٣/ ١٥.

(٤) ينظر المحتسب ١/ ٣٣٥.

(٥) في (ظ): التخريق.

(٦) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٠٦٥.

(٧) في (ظ) و(م): حكيماً.

(٨) المحرر الوجيز ٣/ ٢٢٧. وأخرج هذا الأثر الطبري ١٣/ ٣٦ - ٣٧.

(٩) أخرجهما الطبري ١٣/ ٣٦ - ٣٨، والأثر الثاني عنده من طريق سفيان عن سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وحكى الماوردي أن في القميص ثلاث آيات: حين جاؤوا عليه بدم كذب، وحين قُدِّ قميصُه من دُبُر، وحين أُلقيَ على وجه أبيه فارتدَّ بصيراً^(١).

قلت: وهذا مردودٌ، فإن القميصَ الذي جاؤوا عليه بالدم غيرُ القميص الذي قُدِّ، وغيرُ القميص الذي أتاه البشير به. وقد قيل: إنَّ القميص الذي قُدِّ هو الذي أتى به فارتدَّ بصيراً، على ما يأتي بيانه آخرَ السورة إن شاء الله تعالى^(٢).

وروي أنهم قالوا له: بل اللصوص قتلوه. فاختلف قولهم، فاتَّهمهم، فقال لهم يعقوب: تزعمون أن الذئبَ أكله، ولو أكله لَشَقَّ قميصَه قبل أن يُفْضِيَ إلى جِلده، وما أرى بالقميص من شَقٍّ، وتزعمون أنَّ اللصوصَ قتلوه، ولو قتلوه لأخذوا قميصَه، هل يريدون إلَّا ثيابه؟! فقالوا عند ذلك: وما أنت بمؤمنٍ لنا ولو كنا صادِّقين؛ عن الحسن وغيره. أي: لو كنا موصوفين بالصدق لاثَّمتنا^(٣).

الثالثة: استدللَّ الفقهاء بهذه الآية في إعمال الأمارات في مسائل من الفقه، كالقَسامة وغيرها، وأجمعوا على أن يعقوبَ عليه السلام استدللَّ على كذبهم بصحة القميص، وهكذا يجب على الناظر أن يلاحظ الأمارات والعلامات إذا تعارضت، فما ترجَّح منها قضى بجانب الترجيح، وهي قوة التَّهمة، ولا خلاف بالحكم بها؛ قاله ابن العربي^(٤).

قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾.

فيه ثلاث مسائل:

الأولى: روي أن يعقوب لما قالوا له: «فَأَكَلَهُ الذَّئْبُ» قال لهم: ألم يترك الذئبُ له عضواً فتأتوني به أستأنس به؟! ألم يترك لي ثوباً أَشَمُّ فيه رائحته؟! قالوا: بلى، هذا

(١) النكت والعيون ١٥/٣. وذكره ابن العربي في أحكام القرآن ١٠٦٥/٣.

(٢) الآية (٩٣).

(٣) ذكره المصنف قبل هذه الآية ونسبه للطبري والزجاج، وينظر مجمع البيان للطبرسي ٢٨/١٢ - ٢٩.

(٤) في أحكام القرآن ١٠٦٥/٣، وينظر المحرر الوجيز ٢٢٧/٣.

قميصه ملطوخ بدمه، فذلك قوله تعالى: ﴿وَجَاءَهُ عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾. فبكى يعقوبُ عند ذلك وقال لبنيه: أروني قميصه، فأرؤه فشمه وقبله، ثم جعل يُقَلِّبه فلا يرى فيه شَقًّا ولا تمزيقاً، فقال: والله الذي لا إله إلا هو، ما رأيتُ كالיום ذنباً أحلَمَ^(١) منه، أكل ابني واختلسه من قميصه ولم يُمَرِّقه عليه. وعَلِمَ أَنَّ الأمر ليس كما قالوا، وأن الذنب لم يأكله، فأعرض عنهم كالمُغْضَبِ باكياً حزيناً، وقال: يا معشر ولدي، دُلُونِي على ولدي، فَإِنْ كَانَ حَيًّا رَدَدْتُهُ إِلَيَّ، وَإِنْ كَانَ مَيِّتًا كَفَّنْتُهُ وَدَفَنْتُهُ. فقيل: قالوا حينئذ: أَلَمْ تَرَوْا إِلَى أَبِينَا كَيْفَ يُكَذِّبُنَا فِي مَقَالَتِنَا؟! تَعَالَوْا نُخْرِجْهُ مِنَ الْجُبِّ وَنَقْطَعَهُ عَضْوًا عَضْوًا، وَنَاتِ أَبَانَا بِأَحَدِ أَعْضَائِهِ، فَيُصَدِّقُنَا فِي مَقَالَتِنَا وَيَقْطَعَ يَأْسَهُ، فقال يهوذا: والله، لئن فعلتُم لأكوننَّ لكم عدوًّا ما بقيتُ، ولأُخْبِرَنَّ أَبَاكُمْ بِسُوءِ صَنِيعِكُمْ، قالوا: فإذا منعنا من هذا فتعالوا نصطد له ذنباً، قال: فاصطادوا ذنباً وَلَطَّخُوهُ بِالْدمِ، وَأَوْثَقُوهُ بِالْحَبَالِ، ثُمَّ جَاؤُوا بِهِ يَعْقُوبُ وَقَالُوا: يَا أَبَانَا، إِنَّ هَذَا الذَّنْبَ الَّذِي يَحُلُّ بِأَغْنَامِنَا وَيَفْتَرِسُهَا، وَلَعَلَّهُ الَّذِي أَفْجَعُنَا بِأَخِينَا، لَا نَشْكُ فِيهِ، وَهَذَا دَمُهُ عَلَيْهِ، فقال يعقوب: أَطْلُقُوهُ، فَأَطْلَقُوهُ، وَتَبَضَّبَصَ لَهُ الذَّنْبُ، فَأَقْبَلَ يَدْنُو مِنْهُ وَيَعْقُوبُ يَقُولُ لَهُ: أَدُنْ، أَدُنْ، حَتَّى أَلْصُقَ خَدَّهُ بِخَدِّهِ فَقَالَ لَهُ يَعْقُوبُ: أَيُّهَا الذَّنْبُ، لِمَ فَجَعَلْتَنِي بُولَدِي وَأَوْرَثْتَنِي حُزَنًا طَوِيلًا؟! ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ أَنْطِقْهُ، فَأَنْطَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى: فَقَالَ: وَالَّذِي اصْطَفَاكَ نَبِيًّا، مَا أَكَلْتُ لَحْمَهُ، وَلَا مَرَّقَتُ جِلْدَهُ، وَلَا نَتَفْتُ شَعْرَةً مِنْ شَعْرَاتِهِ، وَاللَّهُ مَا لِي بُولَدِكَ عَهْدٌ، وَإِنَّمَا أَنَا ذَنْبٌ غَرِيبٌ أَقْبَلْتُ مِنْ نَوَاحِي مِصْرَ فِي طَلَبِ أَخٍ لِي فَقِدَ، فَلَا أَدْرِي أَحْيٍ هُوَ أَمْ مَيِّتٌ، فَاصْطَادَنِي أَوْلَادُكَ وَأَوْثَقُونِي، وَإِنَّ لَحُومَ الْأَنْبِيَاءِ حُرِّمَتْ عَلَيْنَا وَعَلَى جَمِيعِ الْوَحُوشِ، وَتَالِلَهُ، لَا أَقْمَتُ فِي بِلَادٍ يَكْذِبُ فِيهَا أَوْلَادُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى الْوَحُوشِ. فَأَطْلَقَهُ يَعْقُوبُ وَقَالَ: وَاللَّهُ، لَقَدْ أَتَيْتُمْ بِالْحُجَّةِ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، هَذَا ذَنْبٌ بِهِيْمٌ خَرَجَ يَتَّبِعُ ذِمَامَ أَخِيهِ، وَأَنْتُمْ ضَيَّعْتُمْ أَحَاكِمَ، وَقَدْ عَلِمْتَ

أن الذئب بريء مما جثمت به^(١).

﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾ أي: زينت. ﴿لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾ غير ما تصفون وتذكرون. ثم قال توطئة لنفسه: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ وهي:

الثانية: قال الزجاج^(٢): أي فشاني - أو الذي اعتقده - صبرٌ جميلٌ. وقال قطرب: أي: فصبري صبرٌ جميلٌ. وقيل: أي: فصبرٌ جميلٌ أولى بي، فهو مبتدأ، وخبره محذوف. ويروى أن النبي ﷺ سئل عن الصبر الجميل فقال: «هو الذي لا شكوى معه»^(٣). وسيأتي له مزيد بيان آخر السورة إن شاء الله.

قال أبو حاتم: قرأ عيسى بن عمر فيما زعم سهل بن يوسف^(٤): «فصبراً جميلاً» قال: وكذا قرأ الأشهب العقيلي، قال: وكذا في مصحف أنس وأبي صالح^(٥). قال المبرّد: «فصبرٌ جميلٌ» بالرفع أولى من النصب؛ لأن المعنى: قال: ربّ عندي صبرٌ جميل، قال^(٦): وإنما النصب على المصدر، أي: فلاضربن صبراً جميلاً، قال: شكّا إليّ جملي طول السرى صبراً جميلاً فكلاًنا مُبْتَلَى^(٧)

والصبرُ الجميل هو الذي لا جَزَعَ فيه ولا شكوى. وقيل: المعنى: لا أعاشركم على كآبة الوجه وغبوس الجبين، بل أعاشركم على ما كنت عليه معكم، وفي هذا ما يدل على أنه عفا عن مؤاخذتهم. وعن حبيب بن أبي ثابت، أن يعقوب كان قد سقط حاجباه على عينيه، فكان يرفعهما بخرقه، ف قيل له: ما هذا؟ قال: طول الزمان وكثرة

(١) ينظر عرائس المجالس ص ١١٧ - ١١٨ . وهذه القصة من الإسرائيليات.

(٢) في معاني القرآن ٩٦/٣ ، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٣١٨/٢ .

(٣) أخرجه الطبري ٤١/١٣ عن حبان بن أبي جبلة مرسلاً.

(٤) لعله سهل بن يوسف الأنماطي البصري، أبو عبد الرحمن. توفي سنة (١٩٠هـ). تهذيب الكمال ٢١٣/١٢ .

(٥) كذا في النسخ وإعراب القرآن للنحاس ٣١٨/٢ (والكلام منه): أبي صالح، ولعل الصواب أُبَيّ، كما في المحرر الوجيز ٢٢٧/٣ ، والبحر المحيط ٢٨٩/٥ .

(٦) يعني أبا جعفر النحاس، وكلامه في إعراب القرآن ٣١٨/٢ ، وما قبله منه، وقراءة عيسى بن عمر في القراءات الشاذة ص ٦٣ .

(٧) سلف ٢٥٠/٣ .

الآحزان، فأوحى الله إليه: أتشكوني يا يعقوب؟! قال: يا رب، خطيئة أخطأتها فاغفر لي^(١).

﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ﴾ ابتداء وخبر ﴿عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ أي: على احتمال ما تصفون من الكذب.

الثالثة: قال ابن أبي رفاعه^(٢): ينبغي لأهل الرأي أن يتهموا رأيهم عند ظن يعقوب ﷺ وهو نبي، حين قال له بنوه: ﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ قال: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ فأصاب هنا، ثم قالوا له: ﴿إِنَّ أَبْنَاكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ قال: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ فلم يصب.

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْشَرِي هَذَا عَلَّمُ وَأَسْرُوهُ يَضَعُهُ وَاللَّهُ عَلَيْهِ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ أي: رُفْقَةٌ مَارَّةٌ يسيرون من الشام إلى مصر فأخطؤوا الطريق، وهاموا حتى نزلوا قريباً من الجُبِّ، وكان الجُبُّ في قَفْرَةٍ بعيدة من العُمران، إنما هو للرعاة والمُجتاز، وكان ماؤه ملحاً، فَعَذَّبَ حين ألقي فيه يوسف^(٣). ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ فذكَرَ على المعنى، ولو قال: فأرسلت واردة لها لكان على اللَّفْظ^(٤)، مثل «وجاءت». والوارد الذي يَرِدُ الماء يستقي للقوم، وكان اسمه - فيما ذكر المفسرون - مالك بن دُغر^(٥)، من العرب العاربة^(٦).

(١) أخرجه الطبري ٤٢/١٣.

(٢) لم نعرفه، ولم نقف على قوله.

(٣) عرائس المجالس ص ١١٨، وتفسير البغوي ٤١٥/٢.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣١٩/٢.

(٥) في النسخ: دعر، بالذال، وذكر الفيروز آبادي أنه تصحيف، وأن الصواب دعر، بالذال المهملة. القاموس (دعر) و(دعر).

(٦) ينظر عرائس المجالس ص ١١٨، والمحذر الوجيز ٢٢٨/٣، وتفسير البغوي ٤١٥/٢.

﴿فَأَدْلَى دَلْوَهُ﴾ أي: أرسله، يقال: أدلى دلوه: إذا أرسلها ليملاها، ودلاها أي: أخرجها. عن الأصمعي وغيره^(١). ودلا من ذوات الواو، يدلوا دلوًا، أي: جذب وأخرج، وكذلك أدلى: إذا أرسل، فلما ثقل ردؤه إلى الياء، لأنها أخف من الواو، قاله الكوفيون. وقال الخليل وسيبويه: لمَّا جاوز ثلاثة أحرف رَجَعَ إلى الياء، اتباعاً للمستقبل. وجمع دلو في أقل العدد: أدل، فإذا كثرت قلت: دُلِّي ودُلِّي؛ فقلبت الواو ياءً، لأنَّ^(٢) الجمع بابه التغير، وليفرق بين الواحد والجمع، ودلاء أيضاً.

فتعلَّق يوسف بالحبل، فلَمَّا خرج إذا غلامٌ كالقمر ليلة البدر؛ أحسن ما يكون من الغلمان. قال ﷺ في حديث الإسراء من «صحيح» مسلم: «إذا أنا بيوسف إذا هو قد أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ»^(٣). وقال كعب الأحبار: كان يوسف حَسَنَ الوجه، جَعَدَ الشعر، ضَخَمَ العينين، مُسْتَوِي الخَلْق، أبيض اللون، غليظ الساعدين والعُضْدَيْن، خَمِصَ البطن، صغير السرة، إذا ابتسم رأيت النور من ضواحه، وإذا تكلم رأيت في كلامه شعاع الشمس من ثناياه، لا يستطيع أحدٌ وَضْفَه، وكان حُسْنَه كضوء النهار عند الليل، وكان يُشَبِّه آدم عليه السلام يوم خلقه الله ونفخ فيه من روحه قبل أن يُصِيبَ المعصية. وقيل: إنه ورث ذلك الجمال من جدته سارة، وكانت قد أُعْطِيَ سُدُسَ الْحُسْنِ^(٤).

فلما رآه مالك بن دُعر قال: ﴿يَا بُشْرَايَ هَذَا غُلَامٌ﴾ هذه قراءة أهل المدينة وأهل البصرة^(٥)، إلَّا ابن أبي إسحاق فإنه قرأ: «يَا بُشْرِيَّ هَذَا غُلَامٌ»^(٦) فقلب الألف ياءً، لأن هذه الياء يُكسر ما قبلها، فلَمَّا لم يَجْزُ كسر الألف كان قلبها عوضاً. وقرأ أهل

(١) ينظر معاني القرآن للنحاس ٤٠٥/٣.

(٢) في النسخ: إلَّا أن، والمثبت من إعراب القرآن للنحاس ٣١٩/٢، والكلام منه.

(٣) صحيح مسلم (١٦٢) من حديث أنس بن مالك ؓ، وهو في مسند أحمد (١٢٥٠٥).

(٤) الوسيط ٦٠٤/٢، وينظر عرائس المجالس ص ١١١ - ١١٢.

(٥) هي قراءة نافع المدني، وأبي عمرو البصري، وابن كثير المكي، وابن عامر الشامي. السبعة ص ٣٤٧،

والتيسير ص ١٢٨، والنشر ٢٩٣/٢.

(٦) القراءات الشاذة ص ٦٢، والمحاسب ٣٣٦/١.

الكوفة: «يا بُشْرَى»^(١) غير مضاف.

وفي معناه قولان: أحدهما: اسمُ الغلام، والثاني: معناه: يا أيتها البُشرى، هذا حِينِكَ وأوانِكَ. قال قتادة والسُّدِّي: لَمَّا أدلى المُدلي دلوهُ تعلَّق بها يوسف فقال: يا بُشْرَايَ^(٢) هذا غلام. قال قتادة: بَشَّر أصحابه بأنه وجد عبداً. وقال السُّدِّي: نادى رجلاً اسمه بُشْرَى.

قال النحاس^(٣): قول قتادة أولى؛ لأنه لم يأت في القرآن تسمية أحد إلا يسيراً، وإنما يأتي بالكنية كما قال عز وجل: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ [الفرقان: ٢٧]، وهو عُقبة بن أبي مُعيط، وبعده ﴿يَا لَيْتَنِي لَوْ أَتَّخَذْتُ فَلَانًا خَلِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٨]، وهو أمية ابن خَلَف. قال النحاس^(٤): والمعنى في نداء البُشرى: التبشير لمن حضر، وهو أوكدُ من قولك: تبشَّرت، كما تقول: يا عجباه! أي: يا عجبُ هذا من أيامك ومن آياتك فاحضُرْ، وهذا مذهب سيويه^(٥)، وكذا قال السُّهيلي^(٦). وقيل: هو كما تقول: واسروراه! وأنَّ البُشرى مصدر من الاستبشار. وهذا أصحُّ؛ لأنه لو كان اسماً علماً لم يكن مضافاً إلى ضمير المتكلم؛ وعلى هذا يكون «بُشْرَايَ» في موضع نصب؛ لأنه نداء مضاف، ومعنى النداء هاهنا التنبيه، أي: انتبهوا لفرحتي وسروري، وعلى قول السُّدِّي يكون في موضع رفع كما تقول: يا زيدُ، هذا غلام. ويجوز أن يكون محلُّه نصباً كقولك: يا رجلاً، وقوله: ﴿يَنْحَسِرُوا عَلَى الْعِبَادِ﴾ [يس: ٣٠]، ولكنه لم يُنَوَّن «بُشْرَى» لأنه لا ينصرف^(٧).

(١) السبعة ص ٣٤٧، والتيسير ص ١٢٨، والنشر ٢/٢٩٣.

(٢) في (م): بشرى.

(٣) في إعراب القرآن للنحاس ٢/٣١٩، وما قبله منه، والأقوال السالفة أخرجها الطبري ١٣/٤٣ - ٤٤.

(٤) في معاني القرآن ٣/٤٠٦.

(٥) الكتاب ٢/٢١٧، وينظر ما سلف ٨/٣٥٨.

(٦) في التعريف والإعلام ص ٨٠، وما بعده منه.

(٧) ينظر الكشف عن وجوه القراءات لمكي ٧/٢، وتفسير البغوي ٢/٤١٥.

﴿وَأَسْرُوهُ بِضْعَةَ﴾ الهاء كناية عن يوسف عليه السلام؛ فأما الواو فكناية عن إخوته. وقيل: عن التجار الذين اشترَوْهُ^(١)، وقيل: عن الوارد وأصحابه^(٢). «بِضَاعَةً» نصبٌ على الحال. قال مجاهد: أسره مالك بن دُغر وأصحابه من التجار الذين معهم في الرُفقة، وقالوا لهم: هو بضاعةٌ استبضعناها بعض أهل الشام، أو أهل هذا الماء إلى مصر، وإنما قالوا هذا خيفةً الشركة^(٣). وقال ابن عباس: أسره إخوة يوسف بضاعةً لما استخرج من الجبِّ، وذلك أنهم جاؤوا فقالوا: بش ما صنعتم؛ هذا عبدٌ لنا أبقي، وقالوا ليوسف بالعبرانية: إما أن تُقرَّ لنا بالعبودية فنبيعك من هؤلاء، وإما أن نأخذك فنقتلك، فقال: أنا أقرُّ لكم بالعبودية، فأقرَّ لهم فباعوه منهم^(٤).

وقيل: إن يهوذا وصَّى أخاه يوسف بلسانهم أن اعترف لإخوتك بالعبودية، فإني أخشى إن لم تفعل قتلوك، فلعل الله أن يجعل لك مخرجاً، وتنجو من القتل، فكتم يوسف شأنه مخافة أن يقتله إخوته، فقال مالك: والله، ما هذه سِمة العبيد، قالوا: هو تربى في حُجورنا، وتخلَّق بأخلاقنا، وتأدَّب بآدابنا، فقال: ما تقول يا غلام؟ قال: صدقوا، تربيت في حُجورهم، وتخلَّقت بأخلاقهم، فقال مالك: إن بعتموه مني اشتريته منكم، فباعوه منه^(٥)، فذلك:

قوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ

الزَّاهِدِينَ ﴿١٥﴾﴾

فيه ستُّ مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ﴾ يقال: شَرَيْتُ بمعنى اشترَيْتُ، وشَرَيْتُ بمعنى

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣١٩/٢.

(٢) ينظر تفسير الطبري ٤٦/١٣ - ٤٩.

(٣) أخرجه الطبري ٤٦/١٣ - ٤٧، وينظر تفسير البغوي ٤١٥/٢.

(٤) أخرجه الطبري ٤٩/١٣ مختصراً.

(٥) عرائس الجالس ص ١١٨ - ١١٩ بنحوه.

بِعَثْ لَغَةً^(١)، قال الشاعر:

وَشَرِنْتُ بُرْدًا لَيْتَنِي مِنْ بَعْدِ بُرْدِ كُنْتُ هَامَةً^(٢)

أي: بعث. وقال آخر:

فَلَمَّا شَرَاهَا فَاضَتْ الْعَيْنُ عَبْرَةً وَفِي الصَّدْرِ حُرَازٌ مِنَ اللُّؤْمِ حَامِرٌ^(٣)

﴿بَشَمِنَ بَشْمِنَ﴾ أي: نقص، وهو هنا مصدرٌ وُضِعَ موضع الاسم، أي: باعوه

بشمنٍ مبخوس، أي: منقوص. ولم يكن قصد إخوته ما يستفيدونه من ثمنه، وإنما كان قصدهم ما يستفيدونه من خُلُوِّ وجه أبيهم عنه^(٤).

وقيل: إن يهوذا رأى من بعيد أن يوسف أخرج من الجبِّ، فأخبر إخوته فجاءوا

وباعوه من الواردة. وقيل: لا، بل عادوا بعد ثلاث إلى البئر يتعرفون الخبر، فأروا أثر السيارة فاتبعوهم وقالوا: هذا عبدنا أبَقَ مِنَّا، فباعوه منهم^(٥).

وقال قتادة: «بَخُسَ»: ظلم. وقال الضَّحَّاك ومقاتل والسَّدي وابن عطاء:

«بَخُسَ»: حرام^(٦).

وقال ابن العربي^(٧): ولا وجه له، وإنما الإشارةُ فيه إلى أنه لم يُستوفَ ثمنه

(١) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٦٧/٣.

(٢) قائله يزيد بن مُفَرِّغ الحميري، وسلف ٣/٣٩١، وبرد: اسم غلام ندم على بيعه. المحرر الوجيز ٣/٢٣٠. والهامة: من طيور الليل، كانت العرب تزعم أن روح القتيل الذي لا يُدْرِك بثأره تصير هامة فتزقُّ عند قبره، تقول: اسقوني، اسقوني، فإذا أدرك بثأره طارت. الصحاح (هيم).

(٣) قائله الشَّماخ بن ضرار، وهو في ديوانه ص ١٩٠، وفيه: الوجد، بدل: اللوم. والحُرَاز: ما حَزَّ في القلب. والحَمَازة: الشَّذَّة، وقد حَمَزَ الرجل، بالضم، فهو حميز الفؤاد وحامز. الصحاح (حز) و(حمز).

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٦٧/٣.

(٥) ينظر عرائس المجالس ص ١١٨ - ١١٩.

(٦) تفسير الطبري ١٣/٥٤ - ٥٥، والنكت والعيون ٣/١٨، وتفسير البغوي ٢/٤١٦.

(٧) في أحكام القرآن ٣/١٠٦٧.

بالقيمة؛ لأن إخوته إن كانوا باعوه فلم يكن قصدهم ما يستفيدونه من ثمنه، وإنما كان قصدهم ما يستفيدون من خلّ وجه أبيهم عنه، وإن كان الذين باعوه الواردة، فإنهم أخفوه مقتطعاً، أو قالوا لأصحابهم: أرسل معنا بضاعة، فرأوا أنهم لم يعطوا عنه ثمناً، وأن ما أخذوا فيه ربح كلّ.

قلت: قوله: وإنما الإشارة فيه إلى أنه لم يستوف ثمنه بالقيمة؛ يدلّ على أنهم لو أخذوا القيمة فيه كاملة كان ذلك جائزاً. وليس كذلك، فدلّ على صحة ما قاله السدي وغيره؛ لأنهم أوقعوا البيع على نفس لا يجوز بيعها، فلذلك كان لا يحلّ لهم ثمنه.

وقال عكرمة والشّعبى: قليل^(١). وقال ابن حيّان: زيف^(٢). وعن ابن عباس وابن مسعود باعوه بعشرين درهماً، أخذ كلّ واحد من إخوته درهمن، وكانوا عشرة، وقاله قتادة والسّديّ. وقال أبو العالية ومقاتل: اثنين وعشرين درهماً، وكانوا أحد عشر، أخذ كلّ واحد درهمن، وقاله مجاهد. وقال عكرمة: أربعين درهماً^(٣). وما روي عن الصحابة أولى. و«بخس» من نعت «ثمن».

﴿دَرَاهِمَ﴾ على البدل والتفسير له. ويقال: دراهيم على أنه جمع درهام، وقد يكون اسماً للجمع عند سيبويه، ويكون أيضاً عنده على أنه مدّ الكسرة فصارت ياء، وليس هذا مثل مدّ المقصور؛ لأن مدّ المقصور لا يجوز عند البصريين في شعر ولا غيره. وأنشد النحويون:

تَنفِي يَدَاهَا الْحَصَى فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ نَفْيِ الدَّرَاهِيمِ تَنَقَّادُ الصَّيَّارِيفِ^(٤)

(١) أخرجه الطبري ٥٥/١٣.

(٢) أورده البغوي ٤١٦/٢ عن ابن عباس وابن مسعود.

(٣) أخرج هذه الأقوال الطبري ٥٦/١٣ - ٥٩، وينظر النكت والعيون ١٨/٣، وتفسير البغوي ٤١٦/٢، وزاد المسير ١٩٧/٤.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣٢٠/٢، والبيت للفرزدق، وهو في الكتاب ٢٨/١، والكمال للمبرد ٣٢٩/١، والخزانة ٤٢٦/٤. ويصف فيه ناقته بسرعة السير في الهاجرة، فيقول: إن يديها لشدة وقعها في الحصى ينفيانه، فيقرع بعضه بعضاً، ويُسمع له صليل كصليل الدنانير إذ انتقدها الصّيرفي، فنفي رديتها عن جيدها. وخصّ الهاجرة لتعذر السير فيها. الخزانة.

﴿مَعْدُودَةٌ﴾ نعت، وهذا يدل على أن الأثمان كانت تجري عندهم عدداً لا وزناً بوزن. وقيل: هو عبارة عن قِلَّةِ الثمن؛ لأنها دراهم لم تبلغ أن تُوزن لِقِلَّتِها، وذلك أنهم كانوا لا يَزِنُون ما كان دون الأوقية، وهي أربعون درهماً^(١).

الثانية: قال القاضي ابن العربي^(٢): وأصلُ النقيدين الوزن، قال ﷺ: «لا تبيعوا الذهب بالذهب، ولا الفضة بالفضة، إلا وزناً بوزن، مَنْ زادَ أو ازدادَ فقد أُرِي»^(٣). والرَّنة لا فائدة فيها إلا المقدار، فأما عَيْنُها فلا منفعة فيه، ولكن جرى فيها العدُّ تخفيفاً عن الخلق لِكثرة المعاملة، فيشَقُّ الوزن، حتى لو ضُرب مثاقيلُ أو دراهمُ لجاز بيعُ بعضها ببعض عدداً إذا لم يكن بها نُقصان ولا رُجحان، فإن نقصت عاد الأمر إلى الوزن، ولأجل ذلك كان كسرُها أو قرضُها من الفساد في الأرض حَسَبَ ما تقدَّم^(٤).

الثالثة: واختلف العلماء في الدراهم والدنانير هل تتعَيَّن أم لا؟ وقد اختلفت الرواية في ذلك عن مالك؛ فذهب أشهبُ إلى أن ذلك لا يتعَيَّن، وهو الظاهرُ من قول مالك، وبه قال أبو حنيفة. وذهب ابن القاسم إلى أنها تتعَيَّن، وحكي عن الكرخي، وبه قال الشافعي. وفائدة الخلاف أننا إذا قلنا: لا تتعَيَّن؛ فإذا قال: بعثك هذه الدنانير بهذه الدراهم تعلقت الدنانير بذمة صاحبها، والدراهم بذمة صاحبها، ولو تعينت ثم تلفت لم يتعلق بذمتها شيء، وبطل العقد كبيع الأعيان من العروض وغيرها.

الرابعة: رُوِيَ عن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه قضى في اللَّقِيط أنه حرٌّ، وقرأ: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ وقد مضى القول فيه^(٥).

(١) النكت والعيون ٣/ ١٨ - ١٩، والمحزر الوجيز ٣/ ٢٣٠.

(٢) في أحكام القرآن ٣/ ١٠٦٧.

(٣) أخرجه أحمد (٢٢٧٢٩)، ومسلم (١٥٨٧) بنحوه مطولاً من حديث عبادة بن الصامت ﷺ، وفي الباب عن أبي سعيد الخدري ﷺ عند أحمد (١١٠٠٦)، والبخاري (٢١٧٦)، ومسلم (١٥٨٤)، وعن أبي بكره ﷺ عند أحمد (٢٠٣٩٥) والبخاري (٢١٧٥) ومسلم (١٥٩٠). وعن أبي هريرة ﷺ عند أحمد (٧٥٥٨)، ومسلم (١٥٨٨).

(٤) ٣/ ٣٨٧، ص ١٩٥-١٩٧ من هذا الجزء.

(٥) ص ٢٦٦ من هذا الجزء، وسلف قول الحسن ثمة.

الخامسة: قوله تعالى: ﴿وَكَاثُوا فِيهِ مِنَ الزَّهْدِ﴾ قيل: المراد إخوته. وقيل: السيارة. وقيل: الواردة، وعلى أيّ تقدير فلم يكن عندهم غبيطاً، لا عند الإخوة؛ لأن المقصد زواله عن أبيه لا ماله. ولا عند السيارة؛ لقول الإخوة: إنه عبد أبّق منا؛ والزهد قلة الرغبة. ولا عند الواردة؛ لأنهم خافوا اشتراك أصحابهم معهم، ورأوا أن القليل من ثمنه في الانفراد أولى^(١).

السادسة: في هذه الآية دليل واضح على جواز شراء الشيء الخطير بالثمن اليسير، ويكون البيع لازماً، ولهذا قال مالك: لو باع ذرة ذات خطرٍ عظيمٍ بدرهمٍ ثم قال: لم أعلم أنها ذرةٌ وحسبْتُها مَخْشَلَةً^(٢) لزمه البيع، ولم يُلْتَفَتْ إلى قوله. وقيل: ﴿وَكَاثُوا فِيهِ مِنَ الزَّهْدِ﴾ أي: في حُسنه؛ لأن الله تعالى وإن أعطى يوسف شطر الحُسن؛ صرف عنه دواعي نفوس القوم إليه إكراماً له. وقيل: ﴿وَكَاثُوا فِيهِ مِنَ الزَّهْدِ﴾ لم يعلموا منزلته عند الله تعالى^(٣). وحكى سيبويه والكسائي: زهدت وزهدت؛ بكسر الهاء وفتحها^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾ قيل: الاشتراء هنا بمعنى الاستبدال، إذ لم يكن ذلك عقداً، مثل: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهَدْيِ﴾ [البقرة: ١٦]. وقيل: إنهم ظنّوه في ظاهر الحال اشتراءً، فجرى هذا اللفظ

(١) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٦٧/٣.

(٢) المَخْشَلَة: كلمة عراقية، ليس على بنائها شيء من العربية، وهي تُتَّخَذُ من الليف والخرز، أمثال الحلّي. اللسان (شخلب). ولم تقف على قول مالك المذكور.

(٣) أخرجه الطبري ٦١/١٣ عن الضحاك وابن جريج.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣٢٠/٢.

على ظاهر الظن. قال الضَّحَّاك: هذا الذي اشتراه ملك مصر، ولقبه العزيز. السَّهيلي^(١): واسمه قطفير. وقال ابن إسحاق: إطفير بن رويحب^(٢)؛ اشتراه لامرأته راعيل؛ ذكره الماوردي^(٣). وقيل: كان اسمها زَلِيحَاء، وكان الله ألقى محبة يوسف على قلب العزيز، فأوصى به أهله، ذكره القشيري. وقد ذكر القولين في اسمها الثعلبي^(٤) وغيره.

وقال ابن عباس: إنما اشتراه قطفير وزير ملك مصر، وهو الريان بن الوليد. وقيل: الوليد بن الريان، وهو رجل من العمالة^(٥). وقيل: هو فرعون موسى^(٦)، لقول موسى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [غافر: ٣٤]، وأنه عاش أربع مئة سنة. وقيل: فرعون موسى من أولاد فرعون يوسف، على ما يأتي في «غافر» بيانه^(٧).

وكان هذا العزيز الذي اشترى يوسف على خزائن الملك، واشترى يوسف من مالك بن دُغر بعشرين ديناراً، وزاده حُلَّةً ونعلين^(٨). وقيل: اشتراه من أهل الرُّفقة. وقيل: تزايدوا في ثمنه فبلغ أضعاف وزنه مسكاً وعنبراً وحريراً وورقاً وذهباً ولآلئ وجواهر لا يعلم قيمتها إلا الله، فابتاعه قطفير من مالك بهذا الثمن، قاله وهب بن منبه^(٩).

(١) التعريف والإعلام ص ٨٠.

(٢) في تفسير الطبري ٦١/١٣، والوسيط للواحيدي ٦٠٥/٢: رويحب.

(٣) في النكت والعيون ١٩/٣، وأخرجه الطبري ٦١/١٣ - ٦٢.

(٤) ذكر الثعلبي في عرائس المجالس ص ١٢٠ أن اسمها راعيل، أو بكا بنت فيوش. وذكر الاسمين اللذين أوردهما المصنف رحمه الله ابن عطيّة في المحرر الوجيز ٢٣١/٣، والبغوي في تفسيره ٤١٦/٢.

(٥) تفسير الطبري ٦١/١٣، والنكت والعيون ١٩/٣.

(٦) المحرر الوجيز ٢٣٠/٣، قال ابن عطية: وهذا ضعيف.

(٧) في تفسير الآية (٣٤)، وينظر تفسير الرازي ١٠٨/١٨.

(٨) ينظر النكت والعيون ١٩/٣.

(٩) عرائس المجالس ص ١٢٠، وتفسير البغوي ٤١٦/٢.

وقال وهب أيضاً وغيره: ولما اشترى مالك بن دُعر يوسف من إخوته كتب بينهم وبينه كتاباً: هذا ما اشترى مالك بن دُعر من بني يعقوب، وهم فلان وفلان مملوكاً لهم بعشرين درهماً، وقد شرطوا له أنه أبى، وأنه لا ينقلب به إلا مقيداً مسلسلاً، وأعطاهم على ذلك عهد الله. قال: فودَّعهم يوسف عند ذلك، وجعل يقول: حَفِظْكُمْ الله وإن ضيَّعتموني، نصركم الله وإن خذَلْتُموني، رَحِمَكُم الله وإن لم ترحموني. قالوا: فألقت الأغنام ما في بطونها دماً غَيِطاً لشدَّة هذا التوديع، وحملوه على قَتَبٍ بغير غطاء ولا وطاء، مقيداً مكبلاً مسلسلاً، فمرَّ على مقبرة آل كنعان، فرأى قبر أمِّه، وقد كان وكُلَّ به أسودٌ يحرسه، فَعَفَلَ الأسود، فألقى يوسف نفسه على قبر أمِّه، فجعل يتمرَّغ ويعتنق القبر ويضطرب ويقول: يا أماه، ارفعي رأسك تَرَيِ ولدك مكبلاً مقيداً مسلسلاً مغلولاً، فرَّقوا بيني وبين والدي، فأسألي الله أن يجمع بيننا في مستقرِّ رحمته، إنه أرحم الراحمين، فتفقَّده الأسود على البعير فلم يره، فقفا أثره، فإذا هو ببياضٍ على قبر، فتأمَّله، فإذا هو إياه، فركضه برجله في التراب ومرَّغه وضربه ضرباً وجيعاً، فقال له: لا تفعل، والله ما هربت ولا أبقتُ، وإنما مررتُ بقبر أمي فأحييتُ أنْ أودَّعها، ولن أرجع إلى ما تكرهون، فقال الأسود: والله إنك لعبد سوء، تدعو أباك مرةً وأُمَّك أخرى! فهلاً كان هذا عند مواليك، فرفع يديه إلى السماء وقال: اللهم إن كانت لي عندك خطيئةٌ أخلقت بها وجهي، فأسألك بحقَّ آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن تغفرَ لي وترحمني. فضجَّت الملائكةُ في السماء، ونزل جبريلُ فقال له: يا يوسف، غَضَّ صوتك، فلقد أبكيتَ ملائكةَ السماء، أفتريدُ أن أقَلِّبَ الأرض فأجعلَ عاليها سافلها؟ قال: تثبَّت يا جبريل، فإنَّ الله حليمٌ لا يعجلُ، فضرب الأرضَ بجناحه فأظلمت، وارتفع الغبار، وكَسَفَت الشمس، وبقيت القافلة لا يعرفُ بعضها بعضاً، فقال رئيسُ القافلة: مَنْ أحدثَ منكم حدثاً؟ فإني أسافر منذ كيت وكيت ما أصابني قطُّ مثلُ هذا، فقال الأسود: أنا لطمْتُ ذلك الغلامَ العبراني، فرفع يده إلى السماء وتكلَّم بكلامٍ لا أعرفه، ولا أشكُّ أنه دعا علينا، فقال له: ما أردتُ

إلا هلاكنا! ايتنا به، فأتاه به، فقال له: يا غلام، لقد لطمك هذا العبد^(١)، فجاءنا ما رأيت، فإن كنت تقتصّ فاقصّ ممن شئت، وإن كنت تعفو فهو الظنّ بك، قال: قد عفوت رجاء أن يعفو الله عني، فأنجلت الغبرة، وظهرت الشمس، وأضاء مشارق الأرض ومغاربها، وجعل التاجر يزوره بالغداة والعشيّ ويكرمه، حتى وصل إلى مصر، فاغتسل في نيلها، وأذهب اللّه عنه كآبة السفر، وردّه عليه جماله، ودخل به البلد نهاراً، فسطع نوره على الجدران، وأوقفوه للبيع^(٢)، فاشتراه قطفير وزير الملك؛ قاله ابن عباس على ما تقدّم^(٣).

وقيل: إن هذا الملك لم يمُت حتى آمنَ وأتبع يوسفَ على دينه، ثم مات الملك ويوسفُ يومئذ على خزائن الأرض، فملك بعده قابوس وكان كافراً، فدعاه يوسف إلى الإسلام فأبى^(٤).

﴿أَكْرَمِي مَثْوَاهُ﴾ أي: منزله ومقامه بطيب المَطْعَم واللِّبَاس الحَسَن، وهو مأخوذ من ثوى بالمكان، أي: أقام به^(٥)، وقد تقدّم في «آل عمران»^(٦) وغيره.

﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾ أي: يكفينّا بعض المهمات إذا بلغ. ﴿أَوْ نَنْتَحِذُمْ وَلَدًا﴾. قال ابن عباس: كان حَصُوراً لا يُولَد له، وكذا قال ابن إسحاق: كان قطفير لا يأتي النساء ولا يُولَد له^(٧). فإن قيل: كيف قال: «أَوْ نَنْتَحِذُهُ وَلَدًا» وهو ملكه، والولدية مع

(١) قوله: هذا العبد، من (ظ).

(٢) الخبر من الإسرائيليات، وينظر عرائس المجالس للثعلبي ص ١١٩ - ١٢٠، والوسيط للواحدي ٦٠٥/٢.

(٣) ص ٢٩٩ من هذا الجزء.

(٤) تفسير الرازي ١٠٨/١٨.

(٥) تفسير الرازي ١٠٩/١٨.

(٦) ٣٥٧/٥.

(٧) قول ابن عباس ؓ ذكره الواحدي في الوسيط ٦٠٥/٢، والرازي في تفسيره ١٠٩/١٨ دون نسبة. وقول ابن إسحاق أخرجه الطبري ٦٣/١٣.

العَبْدِيَّةُ^(١) تتناقض؟ قيل له: يُعْتَقَهُ ثُمَّ يَتَّخِذُهُ وَلِذَا بِالتَّبْنِيِّ، وكان التَّبْنِيُّ في الأُمَمِ معلوماً عندهم، وكذلك كان في أوّل الإسلام، على ما يأتي بيانه في «الأحزاب»^(٢) إن شاء الله تعالى.

وقال عبد الله بن مسعود: أحسنُ الناسُ فِرَاسَةً ثلاثة، العزيزُ حينَ تفرَّسَ في يوسف، فقال: ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَخْذُمُ وَلَدًا﴾، وبنْتُ شُعَيْبٍ حينَ قالت لأبيها في موسى: ﴿أَسْتَجِرُّكَ إِنِّي خَيْرٌ مِنْ أَسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]، وأبو بكر حين استخلفَ عمر^(٣).

قال ابن العربي^(٤): عجباً للمفسرين في اتِّفَاقِهِمْ على جلبِ هذا الخبر! والفِرَاسَةُ هي علم غيب^(٥)، على ما يأتي بيانه في سورة الحجر^(٦)، وليس كذلك فيما نقلوه؛ لأن الصديق إنما ولَّى عمرَ بالتجربة في الأعمال والمواظبة على الصُّحبة وطولها، والاطِّلاع على ما شاهد منه من العلم والمِنَّة، وليس ذلك من طريق الفِرَاسَة، وأما بنْتُ شُعَيْبٍ؛ فكانت معها العلامةُ البينة على ما يأتي بيانه في «القصص»^(٧). وأما أمرُ العزيز فيمكن أن يُجعلَ فِرَاسَةً؛ لأنه لم يكن معه علامةٌ ظاهرة. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ الكاف في موضع نصب، أي: وكما أنقذناه من إخوته ومن الجُبِّ؛ فكذلك مكَّنَّا له، أي: عَطَفْنَا عليه قلبَ الملك الذي اشتراه حتى تمكَّن من الأمر والنهي في البلد الذي الملكُ مستولٍ عليه^(٨).

(١) في (ظ): والوالدية مع العبودية.

(٢) في تفسير الآيتين (٤) و(٣٧).

(٣) أخرجه الطبري ٦٤/١٣.

(٤) في أحكام القرآن ١٠٦٨/٣، وقول ابن مسعود رحمه السالف فيه.

(٥) في (م): غريب، وفي أحكام القرآن لابن العربي: غريبٌ حدّه.

(٦) في تفسير الآية (٧٥).

(٧) في تفسير الآية (٢٦).

(٨) إعراب القرآن للنحاس ٣٢٠/٢.

﴿وَنُعَلِّمُهُ مِنَ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ أي: فعلنا ذلك تصديقاً لقول يعقوب: ﴿وَرَبِّعَلَّمَكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٦]. وقيل: المعنى مكتناه لنُوحِي إليه بكلام منّا، ونُعَلِّمُهُ تأويله وتفسيره، وتأويل الرؤيا، وتمّ الكلام^(١).

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ الهاء راجعة إلى الله تعالى، أي: لا يغلبُ الله شيء، بل هو الغالبُ على أمر نفسه فيما يُريده أن يقول له: كُنْ، فَيَكُونُ. وقيل: ترجع إلى يوسف، أي: الله غالبٌ على أمر يوسف يُدَبِّرُهُ وَيَحُوطُهُ ولا يَكِلُهُ إلى غيره، حتى لا يَصِلَ إليه كَيْدُ كائِد^(٢).

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا يَطَّلَعُونَ على غَيْبِهِ. وقيل: المراد بالأكثر الجميع؛ لأن أحداً لا يعلم الغيب. وقيل: هو مُجْرَى على ظاهره، إذ قد يُطْلَعُ من يُريد على بعض غَيْبِهِ. وقيل: المعنى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن الله غالبٌ على أمره، وهم المشركون ومن لا يؤمن بالقَدَر^(٣).

وقالت الحكماء في هذه الآية: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ حيث أمره يعقوبُ ألا يقصَّ رؤياه على إخوته، فغلب أمرُ الله حتى قَصَّ، ثم أراد إخوته قتله، فغلب أمرُ الله حتى صار مَلِكاً وسجدوا بين يديه، ثم أراد الإخوة أن يَخْلَوْا لهم وجهُ أبيهم، فغلب أمرُ الله حتى ضاق عليهم قلبُ أبيهم وافتكره بعد سبعين سنة أو ثمانين سنة، فقال: ﴿يَكَاسِفٌ عَلَى يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤]، ثم تدبَّروا أن يكونوا من بعده قوماً صالحين، أي: تائبين، فغلب أمرُ الله حتى نسوا الذنبَ وأصرُّوا عليه حتى أقروا بين يدي يوسف في آخر الأمر بعد سبعين سنة، وقالوا لأبيهم: إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ، ثم أرادوا أن يخدعوا أباهم بالبكاء والقميص، فغلب أمرُ الله، فلم ينخدع، وقال: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾ [يوسف: ٨٣]، ثم احتالوا في أن تزول محبته من قلب أبيهم، فغلب أمرُ الله

(١) المصدر السابق.

(٢) الكلام بنحوه في تفسير البغوي ٤١٧/٢، وينظر النكت والعيون ٢٠/٣.

(٣) ينظر الوسيط للواحدى ٦٠٦/٢.

فازدادت المحبة والشوق في قلبه، ثم دَبَّرَت امرأَةُ العزيز أنها إن ابتردته بالكلام غلبته، فغلب أمرُ الله حتى قال العزيز: «اسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ» [يوسف: ٢٩]، ثم دَبَّرَ يوسف أن يتخلص من السجن بذكر الساقى، فغلب أمرُ الله فَتَسَّى الساقى، وَلَبِثَ يوسفُ في السجن بِضْعَ سنين^(١).

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٣١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ «أَشُدَّهُ» عند سيبويه جمع، واحده شِدَّة. وقال الكسائي: واحده شُدٌّ، كما قال الشاعر:

عَهْدِي بِهِ شَدُّ النَّهَارِ كَأَنَّمَا خُضِبَ الْبَنَانُ^(٢) ورأسه بِالْعِظْلَمِ^(٣)
وزعم أبو عبيدة^(٤) أنه لا واحد له من لفظه عند العرب، ومعناه استكمال القوة، ثم يكون النقصان بعد. وقال مجاهد وقتادة: الْأَشْدُّ ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً. وقال ربيعة وزيد بن أسلم ومالك بن أنس: الْأَشْدُّ بَلُوغُ الْحُلُمِ^(٥)، وقد مضى ما للعلماء في هذا في «النساء» و«الأنعام» مستوفى^(٦).

﴿ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ قيل: جعلناه المُستولِي على الحُكْم، فكان يحكم في سلطان الملك، أي: وآتيناه عِلْمًا بِالْحُكْمِ^(٧). وقال مجاهد: العقل والفهم والنبوة^(٨).

(١) الكلام بنحوه في زاد المسير ١٩٩/٤.

(٢) في (م): اللَّبَان، وهي رواية كما في الخزانة ٤٩٢/٩، واللَّبَان: الصدر.

(٣) قائله عترة العبيسي، وهو في ديوانه ص ٢٧، وفيه: مَدُّ النهار، بدل: شَدُّ النهار - وهما روايتان كما في الخزانة - وقد أورد البيت بلفظ المصنف النحاس في إعراب القرآن ٣٢١/٢، والكلام منه، والعظم: صبغ أحمر. اللسان (عظم).

(٤) في (د) و(ز) و(ظ) و(م): أبو عبيد، والمثبت من (ف) وإعراب القرآن للنحاس، وقول أبي عبيدة في كتابه مجاز القرآن ٣٠٥/١.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣٢١/٢، والأقوال السالفة أخرجها الطبري ٦٧/١٣، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢١١٨-٢١١٩.

(٦) ٦٠/٦ - ٦١ (النساء) و ١١١/٩ - ١١٢ (الأنعام).

(٧) إعراب القرآن للنحاس ٣٢١/٢.

(٨) أخرجه الطبري ٦٨/١٣ وابن أبي حاتم في تفسيره ٢١١٩/٧، بلفظ: العقل والعلم قبل النبوة.

وقيل: الحُكْمُ النبوة^(١)، والعِلْمُ علم الدين، وقيل: علم الرؤيا^(٢)، ومن قال: أوتي النبوة صبيّاً قال: لمّا بلغ أشدّه زُدناه فهماً وعِلْماً.

﴿وَكَذَلِكَ يَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ يعني المؤمنين. وقيل: الصابرين على النوائب كما صبر يوسف، قاله الضحاك^(٣). وقال الطبري^(٤): هذا وإن كان مخرجه ظاهراً على كل مُحْسِن؛ فالمراد به محمد ﷺ، يقول الله تعالى: كما فعلتُ هذا بيوسف بعد أن قاسى ما قاسى ثم أعطيتُهُ ما أعطيتُهُ، كذلك أنجيتك من مُشركي قومك الذين يقصدونك بالعداوة، وأمكّن لك في الأرض.

قوله تعالى: ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْت لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ يَدُوهَا وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ الشُّؤْمَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ وهي امرأة العزيز، طلبت منه أن يواقعها. وأصل المراودة الإرادة والطلب برفق ولين. والرُّود والرِّياد طلب الكلاء؛ وقيل: هي من رُويد؛ يقال: فلان يمشي رُويداً، أي: برفق؛ فالمراودة: الرفق في الطلب؛ يقال في الرجل: راودها عن نفسها، وفي المرأة: راودته عن نفسه. والرُّود: الثاني؛ يقال: أرودني: أمهلي.

﴿وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾ غلّقت للتكثير، ولا يقال: غلّقت الباب، وأغلقت يقع للكثير والقليل، كما قال الفرزدق في أبي عمرو بن العلاء:

ما زلتُ أغلّقُ أبواباً وأفتَحُهَا حتى أتيتُ أبا عمرو بن عَمَّارٍ^(٥)

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢١٢٠/٧ عن السدي.

(٢) ينظر النكت والعيون ٢١/٣، وزاد المسير ٢٠١/٤.

(٣) أورده ابن الجوزي في زاد المسير ٢٠١/٤ دون نسبة.

(٤) في تفسيره ٦٩/١٣.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣٢١/٢، والبيت في أدب الكاتب ص ٤٦١، والبيان والتبيين ١/٣٢١ وهو =

يقال: إنها كانت سبعة أبواب غلّقتها ثم دعتة إلى نفسها ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ أي: هَلُمَّ وَأَقْبِلْ وَتَعَالَ، ولا مصدر له ولا تصريح^(١).

قال النحاس^(٢): فيها سبع قراءات، فمن أجل ما فيها وأصحّه إسناداً ما رواه الأعمش عن أبي واثل قال: سمعتُ عبدَ الله بن مسعود يقرأ: «هَيْتَ لَكَ» قال: فقلت: إنَّ قوماً يقرؤونها: «هَيْتُ لَكَ»، فقال: «إنَّما أقرأ كما علّمت»^(٣).

قال أبو جعفر^(٤): وبعضهم يقول: عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ، ولا يبعد ذلك؛ لأنَّ قوله: «إنَّما أقرأ كما علّمت»، يدلُّ على أنه مرفوع. وهذه القراءة بفتح التاء والهاء هي الصحيحة من قراءة ابن عباس وسعيد بن جبيرة والحسن ومجاهد وعكرمة. وبها قرأ أبو عمرو بن العلاء وعاصمٌ والأعمشُ وحمزةٌ والكسائي^(٥).

قال عبد الله بن مسعود: لا تَنْطَعُوا^(٦) في القرآن؛ فإنما هو مثلُ قول أحدكم: هَلُمَّ وَتَعَالَ^(٧).

وقرأ ابن أبي إسحاق النَّحْوِيُّ: «وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ»؛ بفتح الهاء وكسر التاء. وقرأ

= فيهما برواية: ما زلت أفتح أبواباً وأغلقها. وقد يأتي غلّق مع المفرد، فيقال: غلّقتُ الباب، وذلك إذا أغلقت باباً واحداً مراراً، أو أحكمت إغلاق باب. مفردات الراغب (غلّق).

(١) الوسيط ٦٠٦/٢ - ٦٠٧.

(٢) في إعراب القرآن ٣٢٢/٢.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٠٠٤) و(٤٠٠٥)، وقد قيد صاحب بذل المجهود ٣٣٢/١٦ «هيت» الثانية في إحدى الروايتين بكسر الهاء وسكون الياء وضم التاء، والرواية الثانية مثلها ولكن بهمزة بدل الياء، أي: «هَيْتُ». وقد أخرجه مختصراً البخاري (٤٦٩٢).

(٤) في إعراب القرآن ٣٢٢/٢.

(٥) السبعة ص ٣٤٧، والتيسير ص ١٢٨ عن أبي عمرو وحمزة وعاصم والكسائي.

(٦) في (د) و(م): تَنْطَعُوا.

(٧) معاني القرآن للنحاس ٢١٠/٣، وأخرجه عبد الرزاق في التفسير ٣٢٠/١، وابن أبي شيبة ٤٨٨/١٠، والطبري ٧٧/١٣. قال ابن الأثير في النهاية (نطع): أراد النهي عن الملاحاة في القراءات المختلفة، وأنَّ مرجعها إلى وجه واحد من الصواب، كما أن هلم بمعنى تعال.

أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ وابن كثير: «هَيْتُ لَكَ»؛ بفتح الهاء وضمّ التاء^(١)؛ قال طَرَفَة:

ليس قومي بالأبْعَدِينَ إذا ما قال داعٍ من العَشيرة هَيْتُ^(٢)
فهذه ثلاثُ قراءاتٍ الهاءُ فيهنَّ مفتوحة.

وقرأ أبو جعفر وشيئةٌ ونافعٌ: «وَقَالَتْ هَيْتُ لَكَ» بكسر الهاء وفتح التاء^(٣).
وقرأ يحيى بن وثَّاب: «وَقَالَتْ هَيْتُ لَكَ» بكسر الهاء وبعدها ياءٌ ساكنةٌ والتاءُ مضمومة. ورؤي عن عليّ بن أبي طالب ؑ وابن عباس ومجاهد وعكرمة: «وَقَالَتْ هَيْتُ لَكَ» بكسر الهاء وبعدها همزة ساكنةٌ والتاء مضمومة^(٤).

وعن ابن عامر وأهل الشام: «وَقَالَتْ هَيْتُ» بكسر الهاء وبالهزمة وبفتح التاء^(٥).
قال أبو جعفر^(٦): «هَيْتُ لَكَ» بفتح التاء لالتقاء الساكنين؛ لأنه صوتٌ نحو: مَهْ وَصَهْ، يجب ألا يُعْرَبَ، والفتح خفيف^(٧)؛ لأنَّ قبلَ التاء ياءٌ مثل: أَيْنَ وكيف. ومَنْ كَسَرَ التاء فإنَّما كَسَرها لأنَّ الأصلَ الكسر؛ لأنَّ الساكن إذا حَرَّكَ حَرَّكَ إلى الكسر، ومَنْ ضَمَّ فَلانٌ فيه معنى الغاية، أي: قالت: دعائي لك، فلما حُذِفَت الإضافة بُنِيَ على الضم، مثل: حيثُ وبعْدُ.

وقراءة أهل المدينة فيها قولان: أحدهما: أن يكون الفتحُ لالتقاء الساكنين كما

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣٢٢/٢، وقراءة ابن كثير في السبعة ص ٣٤٧، والتيسير ص ١٢٨، وقراءة ابن أبي إسحاق في المحتسب ٣٣٧/١.

(٢) ديوان طرفه ص ١٤٣.

(٣) السبعة ص ٣٤٧، والتيسير ص ١٢٨، والنشر ٢/٢٩٣ عن نافع وأبي جعفر وابن ذكوان راوي ابن عامر.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣٢١/٢، وقراءة علي وابن عباس - ؑ - في المحتسب ٣٣٧/١.

(٥) السبعة ص ٣٤٧، والتيسير ص ١٢٨ وهي من رواية هشام عن ابن عامر.

(٦) هو النحاس، وكلامه في إعراب القرآن ٢/٣٢٢، وما قبله منه.

(٧) إلى هذا الموضع كلام النحاس، وما بعده من معاني القرآن للزجاج ٣/١٠٠.

مرّ. والآخر: أن يكون فعلاً من: هَاءَ يَهِيءُ، مثل: جاء يجيء. فيكون المعنى في «هَيْتَ» أي: حَسُنْتَ هَيْئَتَكَ [وخفف الهمزة]، ويكون «لَكَ» من كلام آخر، كما تقول: لَكَ أعني^(١).

وَمَنْ هَمَزَ وَضَمَّ التاء فهو فِعْلٌ بمعنى: تَهَيَّأْتُ لَكَ، وكذلك مَنْ قرأ: «هَيْتُ لَكَ». وأنكر أبو عمرو هذه القراءة؛ قال أبو عبيدة مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى^(٢): سئل أبو عمرو عن قراءة مَنْ قرأ بِكَسْرِ الهاء وَضَمَّ التاء مهموزاً، فقال أبو عمرو: باطل، جَعَلَهَا مِنْ تَهَيَّأْتُ، اذهب فاستعْرِضِ العربَ حتى تنتهيَ إلى اليمن؛ هل تعرفُ أحداً يقول هذا؟ وقال الكسائي أيضاً: لم تُحَكَّ «هَيْتُ» عن العرب. قال عكرمة: «هَيْتُ لَكَ» أي: تَهَيَّأْتُ لَكَ وَتَرَيْنَتْ وَتَحَسَّنْتَ^(٣)، وهي قراءةٌ غيرُ مَرْضِيَّةٍ؛ لأنها لم تُسمع في العربية.

قال النحاس^(٤): وهي جيّدة عند البصريين؛ لأنه يقال: هَاءَ الرجلُ يَهَاءُ وَيَهِيءُ هَيْئَةً، فهَاءُ يَهِيءُ مثلُ جاء يجيء، وهَيْتُ مثل: جئت.

وَكَسَرُ الهاء في «هَيْتَ» لغةٌ لقوم يُؤثِّرون كَسَرَ الهاء على فَتْحِهَا.

قال الزجاج^(٥): أجودُ القراءات: «هَيْتَ» بفتح الهاء والتاء. قال طرفة:

ليس قومي بالأبعدين إذا ما قال داعٍ من العشيرة هَيْتُ^(٦)

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٢٢ - ٣٢٣، وما سلف بين حاصرتين منه. وكذلك القول في «هَيْتَ» التي بالهمز وفتح التاء. الدر المصون ٦/ ٤٦٤ - ٤٦٥.

(٢) في مجاز القرآن ١/ ٣٠٦ - ٣٠٧.

(٣) قول عكرمة وقول الكسائي أخرجهما الطبري ١٣/ ٧٥ و ٧٦.

(٤) في معاني القرآن ٣/ ٤١٠.

(٥) في معاني القرآن ٣/ ١٠٠.

(٦) سلف هذا البيت قريباً، ووقع بعده في (م): بفتح الهاء والتاء. ولكن ذكر هذا البيت في هذا الموضع وهم من المصنف رحمه الله، فقد ذكر الزجاج في هذا الموضع البيتين اللذين سيردان بعده في علي، ثم قال: وحكى قطرب أنه أنشده بعض أهل الحجاز لطرفة...، شاهداً على قراءة «هَيْتَ» بضم التاء، ويدل على ذلك أنه قرن به بيتاً آخر من نفس القصيدة والتي هي بضم التاء في القافية.

وقال الشاعر في علي بن أبي طالب ؑ:

أَبْلَغُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِ مِنْ أَخَا الْعِرَاقِ إِذَا أَتَيْتَا
أَنَّ الْعِرَاقَ وَأَهْلَهُ سَلَّمَ إِلَيْكَ فَهَيْتَ هَيْتًا^(١)

قال ابن عباس والحسن: «هيت» كلمة بالسريانية؛ تدعوه إلى نفسها^(٢). وقال السُّدِّيُّ: معناها بالقبطية: هلم لك^(٣).

قال أبو عبيد: كان الكسائي يقول: هي لغة لأهل حُورَان وقعت إلى أهل الحجاز، معناه: تعال. قال أبو عبيد: فسألت شيخاً عالماً من حُورَان، فذكر أنها لغتهم^(٤). وبه قال عكرمة^(٥).

وقال مجاهد وغيره: هي لغة عربية تدعوه بها إلى نفسها، وهي كلمة حُتْ وإقبال على الأشياء^(٦).

قال الجوهري^(٧): يقال: هَوَّتَ به وهَيَّتَ به: إذا صاح به ودعاه. قال:

قَدْ رَأَيْتَنِي أَنَّ الْكَرِيَّ أَسْكَنًا لَوْ كَانَ مَعْنِيًّا بِهَا لَهَيَّتَا^(٨)

(١) مجاز القرآن ٣٠٥/١ ومعاني القرآن للزجاج ٣/١٠٠، وتفسير الطبري ٧٠/١٣، والحجة للفراسي ٤١٧/٤، والصاح (هيت)، ونسبه الطبري في التاريخ ٥٦٤/٤ لرجل من أهل العراق، وروايته في المصادر: عُتْق، بدل: سلم. ومعنى عُتْق، أي: أقبلوا إليك بجماعتهم، وقيل: هم مائلون إليك ومتظرون. اللسان (عتق)، والبيتان فيه.

(٢) النكت والعيون ٢٣/٣، وزاد المسير ٢٠٣/٤، وأخرجه الطبري ٧٢/١٣، جميعهم عن الحسن، ولم تقف عليه عن ابن عباس.

(٣) أخرجه الطبري ٧٢/١٣.

(٤) أخرجه الطبري ٧٤/١٣.

(٥) علقه البخاري قبل الحديث (٤٦٩٢)، ووصله الطبري ٧٢/١٣ من طريق عكرمة عن ابن عباس.

(٦) تفسير البغوي ٤١٧/٢، وأخرجه الطبري ٧٣/١٣.

(٧) في الصاح (هيت).

(٨) الحجة للفراسي ٤١٨/٤، والصاح (هيت)، والفاثق ٣١٥/٢. ونسبه الفارسي لبعض البغداديين.

أي: صاح. وقال آخر:

يَخْدُو بِهَا كُلُّ فَتًى هَيَّاتٍ^(١)

قوله تعالى: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ أي: أعوذ بالله وأستجير به مما دعوتني إليه، وهو مصدر، أي: أعوذ بالله معاذاً، فيُحذف المفعول^(٢) وينتصب المصدر بالفعل المحذوف، ويضاف المصدر إلى اسم الله كما يضاف المصدر إلى المفعول، كما تقول: مررتُ بزيد مرورَ عمرو، أي: كمروري بعمرو.

﴿إِنَّهُ رَبِّي﴾ يعني زوجها، أي: هو سيدي، أكرمني فلا أخونه؛ قاله مجاهد وابن إسحاق والسدي^(٣). وقال الزجاج: أي إنَّ الله ربِّي تَوَلَّاني بلطفه؛ فلا أركب ما حرَّمه^(٤). ﴿إِنَّهُ لَا يُلْحِقُ الظَّالِمُونَ﴾.

وفي الخبر أنها قالت له: يا يوسف، ما أَحَسَّنَ صورةَ وَجْهِكَ! قال: في الرَّجَمِ صَوْرَتِي رَبِّي. قالت: يا يوسف، ما أَحَسَّنَ شَعْرَكَ! قال: هو أَوْلُ شَيْءٍ يَبْلَى مِنِّي فِي قَبْرِي. قالت: يا يوسف، ما أَحَسَّنَ عَيْنَيْكَ! قال: بهما أنظر إلى رَبِّي. قالت: يا يوسف، ارفع بصرَكَ فانظر في وجهي، قال: إِنِّي أَخَافُ الْعَمَى فِي آخِرَتِي. قالت: يا يوسف، أدنو منك وتباعدُ مِنِّي؟! قال: أريد بذلك القربَ من رَبِّي. قالت: يا يوسف، القَيْطُونَ فرشتُه لك فادخل معي، قال: الْقَيْطُونَ لا يَسْتَرِنِي من رَبِّي. قالت: يا يوسف، فراش الحرير قد فرشتُه لك، قم فاقض حاجتي، قال: إذا يذهب من الجنة نصيبي. إلى غير ذلك من كلامها وهو يُراجعها إلى أنْ هَمَّ بِهَا^(٥).

(١) هو في الصحاح (هيت)، وأساس البلاغة (هيت).

(٢) في (ظ): فيحذف الفعل.

(٣) النكت والعيون ٢٣/٣، وأخرج قولهم الطبري ٧٨/١٣ - ٧٩. قال البغوي ٤١٨/٢: هذا قول أكثر المفسرين.

(٤) كذا ذكر المصنف وكذلك نقل الماوردي في النكت والعيون ٢٣/٣ عن الزجاج، والذي في معاني القرآن للزجاج ١٠١/٣: ﴿إِنَّهُ رَبِّي﴾ أي: إن العزيز صاحبي... فيكون هذا القول كالذي قبله.

(٥) نوارد الأصول ص ٢٤٩، والوسيط ٦٠٧/٢، وأخرجه الطبري ٨٠/١٣ مختصراً عن السدي =

وقد ذكر بعضهم: ما زال النساء يَمْلَنَ إلى يوسف مِثْلَ شهوةٍ حتى نَبَّأَ الله، فالتقى عليه هبة النبوة، فشغلت هيئته كلَّ مَنْ رآه عن حُسْنِهِ.

واختلف العلماء في همِّه، ولا خلاف أنَّ همَّها كان المعصية، وأمَّا يوسف فهمَّ بها ﴿لَوْلَا أَنْ رَمَا بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ ولكنَّ لَمَّا رأى البرهانَ ما همَّ؛ وهذا لوجوب العصمة للأنبياء؛ قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ الشَّوْءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ فإذا في الكلام تقديم وتأخير، أي: لولا أنَّ رأى برهانَ ربِّه همَّ بها^(١).

قال أبو حاتم: كنت أقرأ غريب القرآن على أبي عبيدة، فلما أتيتُ على قوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ يَوْءُ وَهَمَّ بِهَا﴾ الآية، قال أبو عبيدة: هذا على التقديم والتأخير. كأنه أراد: ولقد همَّتْ به، ولولا أنَّ رأى برهانَ ربِّه لهمَّ بها [أي: لم يهمَّ بها]^(٢).

وقال أحمد بن يحيى: أي: همَّتْ زليخاء بالمعصية وكانت مُصِرَّةً، وهمَّ يوسف ولم يواقع ما همَّ به؛ فبينَ الهمَّينِ فرق^(٣)، ذكر هذين القولين الهرويُّ في كتابه. قال جميل:

هَمَمْتُ بِهِمْ مِنْ بُشَيْنَةٍ لَوْ بَدَا شَفِيتُ غَلِيلَاتِ الْهَوَى مِنْ فُؤَادِيَا^(٤)
آخر:

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكَدْتُ وَلَيْتَنِي تَرَكْتُ عَلَى عِثْمَانَ تَبْكِي حَلَالَةً^(٥)

= والقيطون: المخدع بلغة أهل مصر. الصحاح (قطن). وقوله آخر الخبر: همَّ بها، لا يلتفت إليه، لأن الله تعالى قال: ﴿وَهُمْ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾. فامتنع الهمُّ لوجود البرهان، كما سيرد.

(١) إيضاح الوقف والابتداء لأبي بكر الأنباري ٧٢١/٢، والأضداد له ص ٤١٢، والمكتفى في الوقف والابتداء للداني ص ٣٢٥، وتفسير البغوي ٤١٨/٢. قال ابن الأنباري: فالوقف في هذا المذهب على: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ يَوْءُ﴾.

(٢) القطع والاشتاف للنحاس ٣٣١/١، وما بين حاصرتين منه.

(٣) تهذيب اللغة ٣٨٢/٥، والوسيط ٦٠٨/٢، وأحمد بن يحيى هو ثعلب.

(٤) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٢٤/٣.

(٥) قائله ضابئي بن الحارث البُرْجُمي، كما في الأضداد لأبي بكر الأنباري ص ٤١١، وطبقات فحول الشعراء ١٧٤/١، والخزانة ٣٢٣/٩. وكان قد هم بقتل عثمان ؓ، فأعلم بذلك، فضربه وحبسه وفي ذلك قال الآيات التي منها هذا البيت الخزانة ٣٢٦/٩.

فهذا كله حديثٌ نفسٍ من غير عزم.

وقيل: همَّ بها: تمنى زواجيتها^(١).

وقيل: همَّ بها، أي: بضربها ودفعها عن نفسه، والبرهان كفه عن الضرب؛ إذ لو ضربها لأوهم أنه قصدها بالحرام، فامتنعت، فضربها^(٢).

وقيل: إنَّ همَّ يوسف كان معصيةً، وأنه جلس منها مجلس الرجل من امرأته. وإلى هذا القول ذهب معظمُ المفسرين وعامتهم، فيما ذكر القشيري أبو نصر، وابنُ الأنباري والنحاس والماوردي وغيرهم^(٣)؛ قال ابن عباس: حلَّ الهميان وجلس منها مجلس الخاتن، وعنه: استلقت على قفاها، وقعد بين رجلها ينزع ثيابه. وقال سعيد ابن جبير: أطلق تِكةً سراويله. وقال مجاهد: حلَّ السراويل حتى بلغ الأليتين، وجلس منها مجلس الرجل من امرأته^(٤).

قال ابن عباس: ولمَّا قال: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ قال له جبريل: ولا حين هممتُ بها يا يوسف؟ فقال عند ذلك: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾^(٥). قالوا: والانكفافُ

(١) ذكره الثعلبي في عرائس المجالس ص ١٢٢ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) الأضداد لابن الأنباري ص ٤١١.

(٣) الأضداد ص ٤١٢، ومعاني القرآن للنحاس ٤١١/٣، والنكت والعيون ٢٥/٣.

(٤) أخرج هذه الأقوال الطبري ٨٢/١٣ - ٨٥ وكلها من الإسرائيليات المكذوبة. قال أبو حيان في البحر ٢٩٥/٥: طوّل المفسرون في تفسير هذين الهمين، ونسب بعضهم ليوسف ما لا يجوز نسبته لأحد الفساق، والذي اختاره أن يوسف لم يقع منه هم البتة، بل هو منفى لوجود رؤية البرهان، كما تقول: لقد قارفت لولا أن عصمك الله... وأما أقوال السلف فتعتقد أنه لا يصح عن أحد منهم شيء من ذلك؛ لأنها أقوال متكاذبة يناقض بعضها بعضاً، مع كونها قاذحة في بعض فساق المسلمين فضلاً عن المقطوع لهم بالعصمة، والذي روي عن السلف لا يساعد عليه كلام العرب؛ لأنهم قدّروا جواب «لولا» محذوفاً ولا يدل عليه دليل... إلى آخر كلامه. وذكر الألوسي في روح المعاني ٢١٥/١٢ عن الطبري قوله: وجلّ هذه الروايات بل كلها مأخوذ من مسألة أهل الكتاب.

(٥) أخرجه الحارث (٧١٦) (بغية الباحث)، والطبري ٢١٠/١٣، والبيهقي في الشعب (٧٢٩٠). قال الحارث: لا يصح، والأنبياء معصومون قبل البعثة وبعدها. اهـ. ثم إن سياق الآية يردُّ الخبر فإن قوله: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾... ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾... مما حكاه الله تعالى عن امرأة العزيز وليس هو من كلام يوسف، إذ لم يكن يوسف عليه السلام عندهم، بل بعد ذلك أحضره الملك. ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره.

في مثل هذه الحالة دالٌّ على الإخلاص، وأعظمُ للثواب.

قلت: وهذا كان سببَ ثناء الله تعالى على ذي الكِفَل، حَسَبَ ما يأتي بيانه في (ص) إن شاء الله تعالى^(١).

وجوابُ «لولا» على هذا محذوف، أي: لولا أن رأى برهان ربِّه لأمضى ما همُّ به^(٢)، ومثله: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٥] وجوابه: لم تتنافسوا.

قال ابن عطية^(٣): روي هذا القول عن ابن عباس وجماعة من السلف، وقالوا: الحكمةُ في ذلك أن يكون مثلاً للمذنبين ليروا أن توبتهم ترجع [بهم] إلى عفو الله تعالى، كما رجعت بمن^(٤) هو خيرٌ منهم، ولم يُؤيِّقه القُرْبُ من الذنب، وهذا كلُّه على أن همَّ يوسف بلغ فيما روت هذه الفرقةُ إلى أن جلس بين رجلَي زليخاء، وأخذ في حلِّ ثيابه ونكته ونحو ذلك، وهي قد استلقت له. حكاه الطبري^(٥).

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: وابنُ عباس ومن دونه لا يختلفون في أنه همُّ بها، وهم أعلمُ بالله وبتأويل كتابه، وأشدُّ تعظيماً للأنبياء من أن يتكلموا فيهم بغير علم. وقال الحسن: إنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يذكر معاصي الأنبياء ليعيِّرهم بها، ولكنَّه ذكَّرها لكيلا تياسوا من التوبة^(٦).

قال الغزويُّ: مع أن لزلَّة الأنبياء حكماً: زيادةَ الوجَل، وشدةَ الحياء بالخجل، والتخلِّي عن عُجبِ العمل، والتلذُّذُ بنعمة العفو بعد الأمل، وكونهم أئمة رجاء أهل الزلل.

(١) لم يذكر المصنف في قصته شيئاً في (ص)، وذكرها في تفسير سورة الأنبياء، الآية (٨٥).

(٢) معاني القرآن للزجاج ١٠١/٣.

(٣) في المحرر الوجيز ٢٣٣/٣ - ٢٣٤، وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٤) في (ظ) و(ف): من، وفي باقي النسخ: ممن، والمثبت من المحرر الوجيز.

(٥) ينظر تفسير الطبري ٨٠/١٣ - ٨٦.

(٦) معاني القرآن للنحاس ٤١٣/٣ - ٤١٤، وكلام أبي عبيد، يمكن أن يسلم به؛ فيما لو صحت تلك الروايات، وهيئات هيئات!

قال القُشيريُّ أبو نصر: وقال قوم: جرى من يوسف همٌّ، وكان ذلك الهمُّ حركةً طَبَعَ من غير تصميمٍ للْعَقْدِ على الفعل، وما كان من هذا القَيْلِ لا يُوَاخِذُ^(١) به العبد، وقد يخطر بقلب المرء وهو صائمٌ شربَ الماء البارد، وتناولَ الطعام اللذيذ، فإذا لم يأكل ولم يشرب، ولم يصمَّ عَزَمَهُ على الأكل والشرب، لا يُوَاخِذُ بما هَجَسَ في النفس، والبرهانُ صَرَفَهُ عن هذا الهمِّ حتى لم يَصِرْ عَزْماً مصمماً.

قلت: هذا قولٌ حسن. وممَّن قال به الحسن.

قال ابن عطية^(٢): الذي أقول به في هذه الآية: إِنَّ كُونَ يوسف نبياً في وقت هذه النازلة لم يصحَّ، ولا تظاهرت به روايةٌ، وإذا كان كذلك، فهو مؤمَّنٌ قد أُوتِيَ حُكْماً وعِلْماً، ويجوز عليه الهمُّ الذي هو إرادةُ الشيء دون مُوَافَقَتِهِ، وأن يستصحب الخاطر الرديء على ما في ذلك من الخطيئة، وإن فرضناه نبياً في ذلك الوقت، فلا يجوز عليه عندي إلَّا الهمُّ الذي هو خاطر، ولا يصحُّ عليه شيءٌ مما ذُكِرَ من حلِّ تَكَنُّهِ ونحوه؛ لأنَّ العصمة مع النبوة. وما روي من أَنَّهُ قيل له: تكونُ في ديوان الأنبياء وتَفْعَلُ فَعْلَ السفهاء؟!^(٣) فإنما معناه العِدَّةُ بالنبوة فيما بعد.

قلت: ما ذكره من التفصيل صحيح، لكنَّ قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ يدلُّ على أنه كان نبياً على ما ذكرناه، وهو قولُ جماعة من العلماء، وإذا كان نبياً فلم يَبْقُ إِلَّا أن يكون الهمُّ الذي همَّ به ما يَخْطُرُ في النفس ولا يَثْبُتُ في الصدر، وهو الذي رفع الله فيه المؤاخذه عن الخلق؛ إذ لا قدرة للمكلَّف على دَفْعِهِ، ويكون قوله: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾ - إن كان من قول يوسف - أي: من هذا الهمِّ، أو يكون ذلك منه على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة^(٤) النفس لما زكِّي به قبلُ وبُرِّي؛ وقد أخبر الله تعالى

(١) في (م): يؤخذ.

(٢) في المحرر الوجيز ٢٣٤/٣.

(٣) أخرجه الطبري ٨٩/١٣ - ٩٠ عن قتادة، وأخرجه الثعلبي في العرائس ص ١٢٢ عن ابن عباس مطولاً، وسيدكره المصنف قريباً في تفسير قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾.

(٤) في النسخ: لمخالفة، والمثبت من الشفا للقاضي عياض ٣٧٥/٢، والكلام منه.

عن حال يوسف من حين بلوغه فقال: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ۖ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [يوسف: ٢٢] على ما تقدّم بيانه، وَخَبَّرَ الله تعالى صِدْقَ، وَوَضَفَهُ صحيح، وكلامه حق، فقد عمل يوسف بما علّمه الله من تحریم الزنى ومقدّماته، وخيانة السيد والجار والأجنبي في أهله، فما تعرّض لامرأة العزيز، ولا أجاب إلى المُرادة، بل أدبر عنها وفرّ منها؛ حكمةً خُصَّ بها، وعملاً بمقتضى ما علّمه الله^(١).

وفي «صحيح» مسلم عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «قالت الملائكة: ربّ ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة، وهو أبصرُ به، فقال: ارقُبوه، فإنّ عملها فاكتبوها له بمثلها، وإنّ تركها فاكتبوها له حسنة؛ إنّما تركها من جرّاي»^(٢).

وقال عليه الصلاة والسلام مُخبراً عن ربّه: «إذا همّ عبدي بسيئة فلم يعملها، كُتِبَتْ حسنة»^(٣) فإنّ كان ما يهّمُّ به العبد من السيئة يُكتب له بتركها حسنة؛ فلا ذنب. وفي الصحيح: «إنّ الله تجاوزَ لأمتي عما حدّثت به أنفُسها ما لم تعمل أو تكلم به» وقد تقدّم^(٤).

قال ابن العربي^(٥): كان بمدينة السلام إمامٌ من أئمة الصوفية - وأيّ إمام - يُعرف بابن عطاء، تكلم يوماً على يوسف وأخباره حتى ذكر تبرّثه مما نُسب إليه من مكروه،

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٠٧٠. وقال أيضاً: وهذا يطمس وجوه الجهلة من الناس، والغفلة من العلماء في نسبتهم إليه ما لا يليق به، وأقل ما اقتحموا من ذلك أنه هتك السراويل، وهم بالفتك فيما رأوه من تأويل، وحاش لله ما علمت عليه من سوء، بل أبرّته مما برّاه الله منه... فما لهؤلاء المفسرين لا يكادون يفقهون حديثاً، ويقولون: فعل وفعل، والله إنما قال: همّ بها. اهـ. وقد استفاض الإمام الرازي رحمه الله في تفسيره ١٨/ ١١٥ - ١٢٠ في الكلام على هذه المسألة، وفي إثبات العصمة ليوسف عليه السلام مما نسب إليه، وذكر أن أصحاب هذه المقالة ما ذكروا آية يحتج بها، ولا حديثاً صحيحاً يعول عليه في تصحيح مقالاتهم.

(٢) صحيح مسلم (١٢٩)، وهو عند أحمد (٨٢١٩). قوله: «من جرّاي» أي: من أجلي. المفهم ١/ ٣٤٢.

(٣) أخرجه مطولاً أحمد (٧٢٩٦)، والبخاري (٧٥٠١) من حديث أبي هريرة ؓ. وأخرجه مسلم (١٣١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) ٤٨٧/٤.

(٥) في أحكام القرآن ٣/ ١٠٧٠ - ١٠٧١.

فقام رجلٌ من آخر مجلسه - وهو مشحونٌ بالخلقة من كلِّ طائفةٍ - فقال: يا شيخ، يا سيدنا، فإذا يوسفُ همٌّ وما تَمَّ؟ قال: نعم، لأنَّ العناية من تَمَّ. فانظر إلى حلاوة العالم والمتعلِّم، وانظر إلى فِطنة العامِّي في سؤاله، وجوابِ العالم في اختصاره واستيفائه؛ ولذلك قال علماء الصوفية: إِنَّ فائدة قوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ إنما أعطاه ذلك إِبَّانَ غَلْبة الشهوة لتكون له سبيلاً للعصمة.

قلت: وإذا تَقَرَّرَتْ عصمته وبراءته ببناءِ الله تعالى عليه، فلا يصحُّ ما قال مُضْعَب ابن عثمان: إِنَّ سليمان بن يسار كان من أحسن الناس وجهاً، فاشتاقته امرأة، فسأته نَفْسُها، فامتنع عليها وذكَرها، فقالت: إن لم تفعل لأشهرنَّك. فخرج وتركها، فرأى في منامه يوسفَ الصِّديق عليه السلام جالساً فقال: أنت يوسف؟ فقال: أنا يوسف الذي هممتُ، وأنت سليمانُ الذي لم تَهَمَّ^(١). فَإِنَّ هذا يقتضي أن تكون درجة الولاية أرفعَ من درجة النبوة، وهو مُحال؛ ولو قَدَرنا يوسفَ غيرَ نبيٍّ فدرجته الولاية، فيكون محفوظاً كهو، ولو غلَّقت على سليمان الأبواب، وروجع في المقال والخطاب، والكلام والجواب، مع طول الصُّحبة، لخيَفَ عليه الفتنة وعظيمُ المحنة، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَن رَّءَا بُرْهَانَ رَبِّي﴾ «أن» في موضع رفع؛ أي: لولا رؤيةُ برهانِ ربِّه، والجوابُ محذوفٌ لعِلْمِ السامع^(٢)، أي: لكان ما كان. وهذا البرهانُ غيرُ مذكور في القرآن؛ فروي عن عليِّ بن أبي طالب ؑ أن زليخاء قامت إلى صنمٍ مكلَّلٍ بالدرِّ والياقوت في زاوية البيت فسترته بثوب، فقال: ما تصنعين؟ قالت: أستحي من إلهي هذا أن يراني في هذه الصورة، فقال يوسف: أنا أوَّلَى أن أستحي من الله^(٣).

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٢/ ١٩٠ - ١٩١، والبيهقي في الشعب (٧١١) و(٧٢٨٠)، وإسناده منقطع كما ذكر الذهبي في السير ٤/ ٤٤٤.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٢٣.

(٣) أخرجه عن علي ؑ أبو نعيم في الحلية ٣/ ١٨١. وأخرجه الثعلبي في العرائس ص ١٢٣ عن علي بن الحسين، وكذا ذكره البخاري في التفسير ٢/ ٤٢٠ - ٤٢١، عن علي بن الحسين.

وهذا أحسن ما قيل فيه ؛ لأنّ فيه إقامة الدليل.

وقيل : رأى مكتوباً في سقف البيت ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّكُمْ كَانُمْ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢] ^(١).

وقال ابن عباس: بَدَتْ كَفُّ مَكْتُوبٍ عَلَيْهَا: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ [الانفطار: ١٠] ^(٢).

وقال قوم: تذكّر عهدَ الله وميثاقه.

وقيل: نودي يا يوسف! أنت مكتوبٌ في ديوان الأنبياء، وتعملُ عملَ السفهاء! ^(٣)

وقيل: رأى صورةَ يعقوبَ على الجدران ^(٤) عاضاً على أناملته يتوعّده، فسكن، وخرجت شهوته من أنامله. قاله قتادةٌ ومجاهدٌ والحسن والضحاك وأبو صالح وسعيد ابن جبير ^(٥).

وروى الأعمش عن مجاهد قال: حلَّ سراويله، فتمثَّلَ له يعقوبُ فقال له: يا يوسف! فولّى هارباً. وروى سفيان، عن أبي حصين، عن سعيد بن جبير قال: مثَّلَ له يعقوبُ، فضرب صدره، فخرجت شهوته من أنامله ^(٦). قال مجاهد: فولد لكلِّ واحدٍ من أولاد يعقوبَ اثنا عشر ذكراً، إلّا يوسفَ لم يولد له إلّا غلامان، ونقص بتلك

(١) أخرجه الطبري ٩٨/١٣ عن محمد بن كعب القرظي.

(٢) أخرجه مطولاً الثعلبي في العرائس ص ١٢٢ ، والواحدي في الوسيط ٦٠٨/٢ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) سلف ص ٣١٤ من هذا الجزء عن ابن عباس وقتادة.

(٤) في (ز) و(ظ): الجدار.

(٥) أخرج قولهم الطبري ٩٠/١٣ - ٩٧.

(٦) ذكر الخبرين النحاس في معاني القرآن ٤١٢/٣ ، وخبر سعيد بن جبير أخرجه الطبري ٩١/١٣ و ٩٢ . قال أبو حيان في البحر ٢٩٥/٥ : والبرهان الذي رآه يوسف هو ما آتاه الله من العلم الدال على تحريم ما حرّمه الله.

الشهوة ولده^(١).

وقيل غير هذا. وبالجمله: فذلك البرهانُ آيةٌ من آيات الله، أراها الله يوسف حتى قويَ إيمانه، وامتنع عن المعصية.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ الكاف من «كَذَلِكَ» يجوز أن تكون رفعاً، بأن يكون خبر ابتداءٍ محذوف، التقدير: [أمرُ] البراهين كذلك، و[يجوز أن] يكون نعتاً لمصدر محذوف؛ أي: أريناه البراهين رؤيةً كذلك^(٢).

والسوء: الشَّهوة، والفحشاء: المباشرة. وقيل: السوء: الثناء القبيح، والفحشاء: الزنى. وقيل: السوء: خيانهُ صاحبه، والفحشاء: ركوبُ الفاحشة. وقيل: السوء: عقوبةُ الملك العزيز^(٣).

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر: ﴿الْمُخْلِصِينَ﴾ بكسر اللام، وتأويلها: الذين أخلصوا طاعةَ الله. وقرأ الباقر بفتح اللام، وتأويلها: الذين أخلصهم الله لرسالته، وقد كان يوسف ﷺ بهاتين الصفتين؛ لأنه كان مخلصاً في طاعة الله تعالى، مُسْتَخْلَصاً لرسالة الله تعالى^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَقَ أَبَاكَ وَقَدَّتْ قَمِيصُكَ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَْا سَيْدَهَا لَدَا أَبَاكَ﴾

قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَقَ أَبَاكَ وَقَدَّتْ قَمِيصُكَ مِنْ دُبُرٍ﴾.

فيه مسألتان:

(١) النكت والعيون ٢٦/٣.

(٢) مشكل إعراب القرآن ٣٨٥/١، وبنحوه في إعراب القرآن للنحاس ٣٢٣/٢، وما سلف بين حاصرتين منهما.

(٣) تنظر هذه الأقوال في معاني القرآن للزجاج ١٠٢/٣ ومعاني القرآن للنحاس ٤١٦/٣، والنكت والعيون ٢٦/٣.

(٤) النكت والعيون ٢٦/٣، والقراءتان في السبعة ص ٣٤٨، والتيسير ص ١٢٨.

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ قال العلماء: وهذا من اختصار القرآن المعجز الذي يجتمع فيه المعاني؛ وذلك أنه لما رأى برهان ربّه؛ هرب منها، فتعاديا؛ هي لتردّه إلى نفسها، وهو ليهرب عنها، فأدرسته قبل أن يخرج، فقدت قميصه من دُبُر - أي: من خلفه - قبضت في أعلى قميصه فتخرق القميص عند طوقه، ونزل التّخريق إلى أسفل القميص^(١). والاستباق: طلبُ السّبق إلى الشيء، ومنه السّباق. والقُد: القطع، وأكثر ما يستعمل فيما كان طولاً؛ قال النّابغة: تَقْدُ السَّلُوقِيَّ الْمُضَاعَفَ نَسْجُهُ وتُوْقِدُ بِالضُّفَّاحِ نَارَ الْحُبَابِ^(٢) والقَطُّ: بالطاء يُستعمل فيما كان عَرْضاً^(٣).

وقال المفضل بن حرب: قرأت في مصحف: «فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ عَطَّ مِنْ دُبُرٍ»^(٤) أي: شقّ. قال يعقوب^(٥): العَطُّ: الشَّقُّ في الجلد الصحيح والثوب الصحيح.

وحذفت الألف من «أَسْتَبَقَا» في اللفظ؛ لسكونها وسكون اللام بعدها، كما يقال: جاءني عبد الله؛ في التثنية، ومن العرب من يقول: جاءني عبد الله؛ بإثبات الألف بغير همز، يجمع بين ساكنين؛ لأنّ الثاني مُدْغَم، والأوّل حرف مدّ ولين. ومنهم من يقول: عبد الله بإثبات الألف والهمز، كما تقول في الوقف^(٦).

الثانية: في الآية دليل على القياس والاعتبار، والعمل بالعرف والعادة؛ لما ذكر

(١) المحرر الوجيز ٢٣٥/٣.

(٢) ديوان النّابغة الذبياني ص ١١، وسلف ص ٢١٨ من هذا الجزء برواية: تَجْدُ السَّلُوقِيَّ...

(٣) المحرر الوجيز ٢٣٥/٣.

(٤) ذكرها الزمخشري في أساس البلاغة (عطط)، والصّغاني في العباب الزاخر (عطط) عن المفضل، وذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٣٦/٣ دون نسبة. قال الصغاني: لم أعلم أحداً من أهل الشّواذ قرأ بها. اهـ. ولم نقف على المفضل بن حرب.

(٥) هو ابن السكيت، وكلامه في تهذيب الألفاظ ١٠٤/١ مختصر بلفظ: العط: الشق، وينظر تهذيب اللغة ٨٦/١.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٢٣ - ٣٢٤.

من قد القميص مُقْبِلًا ومُذْبِرًا، وهذا أمرٌ انفرد به المالكية في كتبهم، وذلك أنَّ القميص إذا جُذ من خلف، تمرَّق من تلك الجهة، وإذا جُذ من قدام، تمرَّق من تلك الجهة، وهذا هو الأغلب^(١).

قوله تعالى: ﴿وَأَلْفَيَْا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ﴾ أي: وجدا العزيز عند الباب، وعُني بالسيد الزوج، والقبط يسمون الزوج سيِّداً^(٢). يقال: ألفاه وصادفه ووارطه ووالطه ولاطه، كلُّه بمعنى واحد. فلما رأت زوجها طلبت وجهاً للحيلة وكادت، فـ ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ أي: زنى ﴿إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ تقول: يُضرب ضرباً وجيعاً.

و«ما جزاء» ابتداء، وخبره: «أَنْ يُسَجَّنَ». «أَوْ عَذَابٌ» عطف على موضع «أَنْ يُسَجَّنَ»؛ لأنَّ المعنى: إلَّا السجن. ويجوز: أو عذاباً أليماً، بمعنى: أو يعذب عذاباً أليماً؛ قاله الكسائي^(٣).

قوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَذِبِكُمْ إِنَّ كَيْدَكُم عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾.
فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قال العلماء: لما برأت نفسها، ولم تكن صادقة في حبه - لأنَّ من شأن

(١) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٧١/٣ و ١٠٧٣.

(٢) النكت والعيون ٢٧/٣.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣٢٤/٢، وقرأ: «أو عذاباً أليماً» زيد بن علي، كما في البحر ٢٩٧/٥.

المحبّ إيثارَ المحبوب - قال: ﴿هِيَ زَوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾ نطق يوسف بالحق في مقابلة بَهْتِهَا وكذبها عليه. قال نوفّ الشامي وغيره: كان يوسف عليه السلام لم يَبْنِ عن^(١) كشف القضية، فلما بَعَثَ غضب فقال الحق^(٢).

الثانية: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ لأنهما لَمَّا تَعَارَضا في القول، احتاج الملك إلى شاهدٍ ليعلم الصادق من الكاذب، فشهد شاهدٌ من أهلها، أي: حَكَمَ حاكمٌ من أهلها؛ لأنّه حُكِّمَ منه، وليس بشهادة^(٣).
وقد اختلف في هذا الشاهد على أقوال أربعة:

الأوّل: أنه طفلٌ في المهد تكلم. قال السهيلي: وهو الصحيح؛ للحديث الوارد فيه عن النبي ﷺ؛ وهو قوله: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة» وذكر فيهم شاهد يوسف^(٤). وقال القشيري أبو نصر: قيل: كان صبياً في المهد في الدار وهو ابن خالتها. وروى سعيد بن جبّير، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ أنه قال: «تكلم أربعة وهم صغار» فذكر منهم شاهد يوسف^(٥)، فهذا قول.

الثاني: أن الشاهد قدّ القميص؛ رواه ابن أبي نجّيح عن مجاهد^(٦). وهو مجازٌ صحيح من جهة اللغة؛ فإنّ لسان الحال أبلغ من لسان المقال. وقد تضيف العرب الكلام إلى الجمادات، وتُخبر عنها بما هي عليه من الصفات، وذلك كثيرٌ في أشعارها وكلامها، ومن أحلاه قولٌ بعضهم: قال الحائط للوتد: لِمَ تَشْقِيْنِي؟ قال له: سَلْ مَنْ يَدْقُنِي. إلّا أن قول الله تعالى بعدُ: ﴿مِّنْ أَهْلِهَا﴾ يُبَيِّنُ أن يكون القميص^(٧).

(١) في (د) والمحرر الوجيز ٢٣٦/٣ (والكلام منه): على.

(٢) المحرر الوجيز ٢٣٦/٣، وأخرجه الطبري ١٠٤/١٣ بنحوه.

(٣) النكت والعيون ٢٧/٣ - ٢٨.

(٤) التعريف والإعلام ص ٨٠ - ٨١، والحديث سلف ١٣٩/٥.

(٥) أخرجه أحمد (٢٨٢٢)، والبزار (٥٤ - كشف)، والطبري ١٠٦/١٣، والحاكم ٤٩٦/٢ - ٤٩٧ مرفوعاً، وأخرجه أيضاً أحمد (٢٨٢١) موقوفاً.

(٦) أخرجه الطبري ١١١/١٣.

(٧) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٧٢/٣، ووقع فيه: ومن أجلاه، بدل: ومن أحلاه.

الثالث: أنه خَلَقَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ تعالى ليس بإنسي ولا بجني. قاله مجاهد أيضاً^(١). وهذا يرده قوله تعالى: ﴿مِنْ أَهْلِهَآ﴾.

الرابع: أنه رجلٌ حكيم ذو عقل، كان الوزير يستشيرُه في أموره، وكان من جملة أهل المرأة، وكان مع زوجها فقال: قد سمعتُ الاستِبدارَ^(٢) والجَلْبَةَ من وراء الباب، وشَقَّ القميص، فلا يُدرى أيُّكما كان قَدَّامَ صاحبه؛ فإن كان شَقَّ القميص من قَدَّامه فأنتِ صادقة، وإن كان من خلفه فهو صادق، فنظروا إلى القميص فإذا هو مشقوقٌ من خلف. هذا قول الحسن وعكرمة وقتادة والضَّحَّاك ومجاهد أيضاً والسدي. قال السدي: كان ابنُ عمها. وروي عن ابن عباس، وهو الصحيح في الباب. والله أعلم.

وروي عن ابن عباس - رواه عنه إسرائيل، عن سِماك، عن عكرمة - قال: كان رجلاً ذا لحية. وقال سفيان، عن جابر، عن ابن أبي مليكة، عن ابن عباس أنه قال: كان من خاصَّة الملك. وقال عكرمة: لم يكن بصبي، ولكن كان رجلاً حكيماً. وروي سفيان عن منصور، عن مجاهد قال: كان رجلاً^(٣).

قال أبو جعفر النحاس^(٤): والأشبهُ بالمعنى - والله أعلم - أن يكون رجلاً عاقلاً حكيماً شاووره الملك، فجاء بهذه الدلالة، ولو كان طفلاً لكانت شهادته ليوسف ﷺ تُعني عن أن يأتيَ بدليل من العادة؛ لأنَّ كلام الطفل آيةٌ معجزة، فكانت أوضح من الاستدلال بالعادة، وليس هذا بمخالفٍ للحديث: «تكلَّم أربعةٌ وهم صغار» منهم صاحب يوسف. يكون المعنى: صغيراً ليس بشيخ، وفي هذا دليلٌ آخر، وهو أن ابن عباس رضي الله عنهما روى الحديث عن النبي ﷺ، وقد تواترت الروايةُ عنه أنَّ صاحب يوسف ليس بصبي.

(١) النكت والعيون ٢٨/٣، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢١٢٨/٧ (١١٥٠٦). قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: هذا قول غريب.

(٢) في (ظ): الاستباق، ووقع في الوسيط ٦٠٩/٢، وزاد المسير ٢١١/٤: الاشتداد.

(٣) أخرج جميع ما سلف من أخبار في القول الرابع الطبري ١٠٧/١٣ - ١١٠.

(٤) في إعراب القرآن ٣٢٤/٢.

قلت: قد روي عن ابن عباس وأبي هريرة وابن جبير وهلال بن يساف والضحاك أنه كان صبيًا في المهد^(١). إلا أنه لو كان صبيًا تكلم، لكان الدليلُ نفسَ كلامه، دون أن يحتاج إلى استدلالٍ بالقميص، وكان يكون ذلك خرقَ عادة، ونوعَ معجزة. والله أعلم. وسيأتي مَنْ تكلم في المهد من الصبيان في سورة البروج^(٢) إن شاء الله.

الثالثة: إذا تنزلنا على أن يكون الشاهد طفلاً صغيراً، فلا يكون فيه دلالة على العمل بالأمارات كما ذكرنا، وإذا كان رجلاً، فيصح أن يكون حجةً بالحكم بالعلامة في اللقطة وكثير من المواضع، حتى قال مالك في اللصوص: إذا وجدت معهم أمتعة، فجاء قوم فادعواها وليست لهم بيّنة، فإنَّ السلطان يتلّوهم لهم في ذلك، فإن لم يأت غيرهم دفعها إليهم^(٣). وقال محمد في متاع البيت إذا اختلفت فيه المرأة والرجل: إنَّ ما كان للرجال فهو للرجل، وما كان للنساء فهو للمرأة، وما كان للرجل والمرأة فهو للرجل^(٤). وكان شريح وإياس بن معاوية يعملان على العلامات في الحكومات، وأصل ذلك هذه الآية^(٥). والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ قُبْلٍ﴾ «كان» في موضع جزمٍ بالشرط، وفيه من النحو ما يشكّل؛ لأنَّ حروف الشرط تردُّ الماضي إلى المستقبل، وليس هذا في «كان»؛ فقال المبرد محمد بن يزيد: هذا لقوة «كان»، وأنه يعبر بها عن جميع الأفعال. وقال الزجاج^(٦): المعنى: إن يكن، أي: إن يُعلم، والعلم لم يقع، وكذا الكون؛ لأنَّه يؤدّي عن العلم. «قَدْ مِنْ قُبْلٍ» فخبّر عن «كان» بالفعل الماضي، كما قال زهير:

(١) المحرر الوجيز ٢٣٦/٣، وأخرج قولهم الطبري ١٣/١٠٥ - ١٠٧.

(٢) عند تفسير الآيات (٤ - ٧) منها.

(٣) أحكام القرآن للكلبي الطبري ٢٣١/٣. والتلوّم: الانتظار والتمكث. الصحاح (لوم).

(٤) أحكام القرآن للجصاص ١٧١/٣، ومحمد هو ابن الحسن الشيباني.

(٥) أحكام القرآن للكلبي الطبري ٢٣١/٣.

(٦) في معاني القرآن ١٠٤/٣، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢/٣٢٤ وما قبله منه.

وكان طوى كُشْحاً على مُسْتَكِنَّةٍ فلا هو أبداهَا ولم يَتَقَدِّمُ^(١)
 وقرأ يحيى بن يعمر وابن أبي إسحاق: «مِنْ قُبْلُ» بضم القاف والباء واللام، وكذا
 «دُبُرُ»^(٢)؛ قال الزجاج^(٣): يجعلهما غايتين كَقُبْلُ وَبَعْدُ، كأنه قال: مِنْ قُبْلِهِ وَمِنْ دُبُرِهِ،
 فلما حذف المضاف إليه - وهو مراد - صار المضاف غايةً نفسه بعد أن كان المضاف
 إليه غايةً له.

ويجوز: «مِنْ قُبْلُ» و«مِنْ دُبُرُ» بفتح الراء واللام تشبيهاً بما لا ينصرف؛ لأنه
 معرفة ومزال عن بابهِ^(٤).

وروى محبوب عن أبي عمرو: «مِنْ قُبْلُ» و«مِنْ دُبُرُ» مخفَّفان مجروران^(٥).
 قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا قَمِيصَهُمْ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُمْ مِنْ كَاذِبِينَ﴾ قيل: قال لها
 ذلك العزيزُ عند قولها: «مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً»^(٦). وقيل: قاله لها الشاهد.
 والكيد: المكر والحيلة. وقد تقدَّم في «الأنفال»^(٧). ﴿إِنَّ كَيْدَكُمْ عَظِيمٌ﴾ وإنما قال:
 «عَظِيمٌ» لِعَظَمِ فَتْنَتِهِمْ واحتياالهنَّ في التخلص من ورطتهنَّ.

وقال مقاتل عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ
 كَيْدَ النِّسَاءِ أَعْظَمُ مِنْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ
 ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦] وقال: ﴿إِنَّ كَيْدَكُمْ عَظِيمٌ﴾»^(٨).

(١) ديوان زهير ص ٢٢، وإعراب القرآن للنحاس ٣٢٥/٢ (والكلام منه)، والخزانة ١٤/٣، و ٣/٤. قال
 البغدادى: يقال: طوى كُشْحَهُ على فعلة: إذا أضمَرها في نفسه. والمستكنة: المستترة، أي: أضمَر على
 غُذرة مستترة. والكشخ: الجنب، وقيل: الخاصة.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣٢٥/٢، والقراءات الشاذة ص ٦٣، والمحاسب ٣٣٨/١.

(٣) في معاني القرآن ١٠٣/٣، وذكره أيضاً النحاس في إعراب القرآن ٣٢٥/٢.

(٤) معاني القرآن للزجاج ١٠٣/٣، وإعراب القرآن للنحاس ٣٢٥/٢.

(٥) ذكرها عن أبي عمرو ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٣٦/٣، وهي في القراءات الشاذة ص ٦٣ عن
 الحسن.

(٦) كذا قال المصنف رحمه الله، وقد ذكر الزجاج في معاني القرآن ١٠٣/٣ أن المعنى: إن قولك: ما
 جزاء من أراد بأهلك سوءاً... من كيدكن.

(٧) ٤٧٩/٩.

(٨) لم نقف عليه. وإسناده في غاية الضعف، مقاتل - وهو ابن سليمان - كذبه وهجره ورُمي بالتجسيم، =

قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ القائل هذا هو الشاهد. و«يوسف» نداء مفرد، أي: يا يوسف. فحذف. «أَعْرِضْ عَنْ هَذَا» أي: لا تذكُرْه لأحدٍ واكْتُمْه. ثم أقبل عليها فقال: وأنتِ استغفري لذنبكِ يقول: استغفري زوجك من ذنبك؛ لا يعاقبك.

﴿إِنَّكَ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ ولم يقل: من الخاطئات؛ لأنه قَصَدَ الإخبار عن المذكر والمؤنث، فغلب المذكر، والمعنى: من الناس الخاطئين، أو من القوم الخاطئين، مثل: ﴿إِنَّمَا كُنتَ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [النمل: ٤٣] ﴿وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [التحریم: ١٢] ^(١).

وقيل: إنَّ القائل ليوسف: أعرض، ولها: استغفري، زوجها الملك؛ وفيه قولان: أحدهما: أنه لم يكن غيوراً؛ فلذلك كان ساكناً. وعدم الغيرة في كثير من أهل مصر موجود. الثاني: أنَّ الله تعالى سلبه الغيرة، وكان فيه لطفٌ بيوسف حتى كفي بإدرته وحلم عنها ^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتْلَهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٢٧﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِينَ لُمْتُنِّي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْنِي عَنْ نَفْسِهِ فَوَسْوَسَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْخَاصِرِينَ﴾ ﴿٢٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ ويقال: «نِسوة» بضم النون، وهي قراءة

= كما ذكر الحافظ ابن حجر في التقریب، ثم إن يحيى بن أبي كثير لا يروي عن الصحابة.

(١) تفسير البغوي ٤٢٢/٢.

(٢) في (د) و(ز) و(م): وعفا عنها، والمثبت من (ظ) و(ف)، وهو الموافق لما في النكت والعيون ٢٩/٣، والكلام منه عدا قوله: وعدم الغيرة في كثير من أهل مصر موجود، وما كان ينبغي للمصنف رحمه الله أن يقول هذا!!

الأعمش والمفضل والسلمي، والجمع الكثير: نساء^(١). ويجوز: وقالت نسوة، وقال نسوة، مثل: قالت الأعراب وقال الأعراب.

وذلك أن القصة انتشرت في أهل مصر، فتحدثت النساء. قيل: امرأة ساقى العزيز، وامرأة خبازه، وامرأة صاحب دوابه، وامرأة صاحب سجنه. وقيل: امرأة الحاجب. عن ابن عباس وغيره^(٢).

﴿تَرَاوِدُ فَتْنَهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ الفتى في كلام العرب: الشاب، والمرأة فتاة. ﴿وَقَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ قيل: شَغَفَهَا: غَلَبَهَا^(٣). وقيل: دخل حُبُّه في شَغَافها. عن مجاهد^(٤) وغيره. وروى عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: دخل تحت شَغَافها^(٥). وقال الحسن: الشَّغَاف^(٦): باطن القلب. السَّدْيُّ وأبو عبيدة^(٧): شَغَافُ القلب: غِلافُه؛ وهو جلدة عليه. وقيل: هو وَسْطُ القلب^(٨). والمعنى في هذه الأقوال متقارب، والمعنى: وصل حُبُّه إلى شَغَافها، فغلب عليه^(٩)؛ قال النابغة:

وقد حال همٌّ دون ذلك داخلٌ دخولَ الشَّغَافِ تبتغيه الأصابع^(١٠)

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣٢٥/٢، دون ذكر القراءة، وذكرها العكبري في الإملاء (على هامش الفتوحات الإلهية) ٣٣٠/٣ دون نسبة.

(٢) ينظر عرائس المجالس ص ١٢٣ - ١٢٤، وتفسير أبي الليث ١٥٩/٢، وتفسير البغوي ٤٢٢/٢، وزاد المسير ٢١٤/٤، وتفسير الرازي ١٢٦/١٨.

(٣) أخرج الطبري ١١٦/١٣ هذا القول عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه الطبري ١١٦/١٣.

(٥) معاني القرآن للنحاس ٤١٨/٣، وأخرجه الطبري ١١٥/١٣ من طريق عمرو عن عكرمة قوله.

(٦) في النسخ: الشغف، والمثبت من النكت والعيون ٣٠/٣، ومفردات الراغب (شغف)، وفيهما قول الحسن.

(٧) في (د) و(م): وأبو عبيد. وكلام أبي عبيدة في كتابه مجاز القرآن ٣٠٨/١، وذكره عن السدي الماوردي في النكت والعيون ٣٠/٣.

(٨) مفردات الراغب (شغف).

(٩) في معاني القرآن للنحاس ٤١٩/٣ (والكلام منه): فغلب على قلبها.

(١٠) معاني القرآن للنحاس ٤١٩/٣، وللزجاج ١٠٥/٣، والبيت في ديوان النابغة الذبياني ص ٧٩ =

وقد قيل : إِنَّ الشَّغاف داء. وأنشد الأصمعيُّ للراجز :

يتبعها وهي له شَعَفٌ^(١)

وقرأ جعفر^(٢) بن محمد وابن محيصن والحسن : «شَعَفَهَا» بالعين غير معجمة^(٣).

قال ابن الأعرابي : معناه أحرق حبه قلبها. قال : وعلى الأوّل العمل^(٤).

قال الجوهرى^(٥) : «شَعَفَهُ الحُبُّ : أحرق قلبه. وقال أبو زيد : أَمَرَضَهُ. وقد شُعِفَ

بكذا فهو مشعوف. وقرأ الحسن : «قَدْ شَعَفَهَا» قال : بَطَنَهَا حُبًّا.

قال النحاس^(٦) : معناه عند أكثر أهل اللغة : قد ذهب بها كلّ مذهب ؛ لأنّ شِعَافَ

الجبّال أعاليها ، وقد شُغِفَ بذلك شَغْفًا بإسكان الغين^(٧) : إذا أولع به ، إلا أن أبا

عبيد^(٨) أنشد بيت امرئ القيس :

أَيَقْتَلَنِي^(٩) وَقَدْ شَعَفْتُ فَوَادَهَا كَمَا شَعَفَ الْمَهْنُوَّةَ الرَّجُلُ الطَّالِي^(١٠)

= برواية : شاغلٌ مكان ، بدل : داخل دخول. وذكره البغدادي في الخزانة ٤٥٦/٢ وقال : تبتغيه الأصابع : أي تلتسمه أصابع المتطبّين ؛ هل انحدر نحو الطحال فيتوقّع على صاحبه الموت ؟.

(١) معاني القرآن للنحاس ٤١٩/٣ .

(٢) في (ف) و(م) : أبو جعفر ، وهو خطأ.

(٣) المحتسب ٣٣٩/١ .

(٤) ياقوتة الصراط لغلام ثعلب ص ٢٧٤ دون نسبة.

(٥) في الصحاح (شعف).

(٦) في معاني القرآن ٤١٩/٣ - ٤٢٠ .

(٧) في (ز) و(ف) ومطبوع معاني القرآن : شعف بذلك شغفًا بإسكان العين ، والمثبت من باقي النسخ وهو موافق لما في اللسان وتاج العروس (شغف).

(٨) في النسخ عدا (د) : أبا عبيدة ، والمثبت من (د) ومعاني القرآن.

(٩) في (م) : لتقتلني ، وفي (د) و(ز) : ليقتلني ، وفي (ظ) : فتقتلني ، والمثبت من (ف) والمصادر على ما يأتي.

(١٠) أمالي القاضي ٢٠٥/١ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤٢٠/٣ ، وهو في الديوان برواية : شغفت... كما شغف ، بالمعجمة ، وقال شارح الديوان : ويروى : شَعَفْتُ ، بالعين غير المعجمة ، والمعنى : بلغت الغاية حتى غلبتها على فوادها ، كما يبلغ القطران من الناقة المهنوءة ، وهي المَطْلِيَّةُ بالقطران ، وهي تستلذه حتى تكاد يغمى عليها.

قال: فشبهت لوعة الحب وجواه بذلك. ورُوي عن الشَّعْبِيِّ أنه قال: الشَّغْفُ بالغين المعجَّمة حُبٌّ، والشَّغْفُ بالعين غير المعجَّمة جنونٌ^(١).

قال النحاس^(٢): وحكي: «قد شَغَفَهَا» بكسر الغين، ولا يُعرف في كلام العرب إلا «شَغَفَهَا» بفتح الغين، وكذا «شَعَفَهَا»، أي: تركها مشعوفة.

وقال سعيد بن أبي عَرُوبَةَ عن الحسن: الشَّغَاف حجاب القلب^(٣)، والشَّعَاف سويداء القلب، فلو وصل الحبُّ إلى الشَّعَاف لماتت. وقال الحسن: ويقال: إنَّ الشَّغَاف الجلدة اللاصقة بالقلب التي لا ترى، وهي الجلدة البيضاء^(٤)، فلصق حبه بقلبها كلُّصوق الجلدة بالقلب.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَرْنَهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي: في هذا الفعل. وقال قتادة: «فَتَاهَا» وهو فتى زوجها؛ لأنَّ يوسف كان عندهم في حكم المماليك، وكان يُنفذ أمرها فيه. وقال مقاتلٌ، عن أبي عثمان النَّهْدِيِّ، عن سلمان الفارسي قال: إنَّ امرأة العزيز استوهبت زوجها يوسف، فوهبه لها وقال: ما تصنعين به؟ قالت: أتأخذه ولدًا، قال: هو لك، فربَّته حتى أَيْقَعَ وفي نفسها منه ما في نفسها، فكانت تنكشف له وتزجِّين وتدعوه من وجه اللطف، فعصمه الله^(٥).

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ أي: بغيبتهنَّ إياها، واحتيالهنَّ في ذمها. وقيل: إنها أطلعتهنَّ واستكتمتهنَّ^(٦) فأفشين سرَّها، فسمي ذلك مكرًا.

(١) النكت والعيون ٣/٣١، وأخرجه الطبري ١١٦/١٣ - ١١٧.

(٢) في إعراب القرآن ٢/٣٢٥.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٢١٣١/٧ (١١٥٢٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما. ولم نقف عليه عن الحسن، فقد سلف قول الحسن: الشَّغَاف باطن القلب.

(٤) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٣/٣٠ عن السدي وسفيان بنحوه، ولم نقف عليه عن الحسن.

(٥) لم نقف عليه.

(٦) في (م): استأمنتهن، وفي (د): استمكنتهن، والمثبت من باقي النسخ، وهو موافق لما في معاني القرآن للنحاس ٣/٤٢٠، والكلام منه.

وقوله: ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَ﴾ في الكلام حذف، أي: أرسلت إليهن تدعوهن إلى وليمة لتوقعهن فيما وقعت فيه^(١)؛ فقال مجاهد عن ابن عباس: إن امرأة العزيز قالت لزوجها: إني أريد أن أتخذ طعاماً فأدعو هؤلاء النسوة. فقال لها: افعلي. فاتخذت طعاماً، ثم نجدت لهن البيوت - نجدت، أي: زينت، والنجد: ما يُنجد به البيت من المتاع، أي: يُزين، والجمع: نُجود؛ عن أبي عبيد، والتنجيد: التزيين^(٢) - وأرسلت إليهن أن يحضرن طعامها، ولا تتخلف منكن امرأة ممن سميت.

قال وهب بن منبه: إنهن كن أربعين امرأة^(٣)، فجنن على كرو منهن، وقد قال فيهن أمية بن أبي الصلت:

حتى إذا جئنها قسراً ومهدت لهن أنضاداً وكباباً^(٤)
ويروى: أنماطاً.

قال وهب: فجنن وأخذن مجالسهن. ﴿وَأَعَدَّتْ لَكُنْ مَثَكَا﴾ أي: هيأت لهن مجالس يتكئتن عليها. قال ابن جبير: في كل مجلس جأء فيه غسل وأُترج وسكين حاذ. وقرأ مجاهد وسعيد بن جبير: «مَثَكَا» مخففاً غير مهموز^(٥)، والمثك هو الأترج بلغة القبط. وكذلك فسره مجاهد؛ روى سفيان، عن منصور، عن مجاهد قال: المَثَكَا مثقلاً: الطعام، والمثك مخففاً: الأترج^(٦)؛ وقال الشاعر:

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٢٥.

(٢) الصحاح (نجد).

(٣) ذكره البغوي ٢/ ٤٢٣.

(٤) كذا في النسخ، ولم نقف عليه. وأنضاداً جمع نَضْد، وهو ما نُفِِد من متاع، أو خياره. ونَضَّدْتُ المتاع ونَضَّدْتُهُ: ضمنت بعضه إلى بعض متيقاً أو مركوماً. ينظر أساس البلاغة والقاموس (نضد).

(٥) عرائس المجالس ص ١٢٤ عن مجاهد، وذكرها ابن جني في المحتسب ١/ ٣٣٩ عن ابن عباس وابن عمر وقتادة وغيرهم.

(٦) معاني القرآن للنحاس ٣/ ٤٢٠ - ٤٢١، وأخرجه الطبري ١٣/ ١٢٧. والأتراج: من فصيلة الحمضيات، يسمى بالشام الكباد، واحدته أترجة. معجم متن اللغة (ترج).

نَشْرَبُ الْإِثْمَ بِالْصُّوَاعِ جَهَارًا وَتَرَى الْمُتَّكَ بَيْنَنَا مُسْتَعَارًا^(١)
وقد تقول أزدُ شُوءة: الأترجة: المُتَّكة.

قال الجوهري: المُتَّك: ما تُبقية الخاتنة، وأصل المُتَّك: الزُّماوُزد. والمُتَّكاء من النساء: التي لم تُخَفَض. قال الفراء: حدثني شيخ من ثقات أهل البصرة أنَّ المُتَّك مخفَّفًا: الزُّماوُزد. وقال بعضهم: إنه الأترج. حكاه الأخفش^(٢). ابن زيد: أترجًا وعسلًا يؤكل به^(٣)؛ قال الشاعر:

فَظَلِلْنَا^(٤) بِنِعْمَةٍ وَاتَّكْنَا وَشَرِبْنَا الْحَلَالَ مِنْ قُلِيلِهِ^(٥)
أي: أكلنا.

النحاس: قوله تعالى: «وَأَعْتَدْتُ» من العتاد، وهو كلُّ ما جعلته عُدةً لشيء. «مُتَّكًا» أصح ما قيل فيه، ما رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: مجلساً. وأمّا قول جماعة من أهل التفسير إنه الطعام، فيجوز على تقدير: طعام مُتَّكاً، مثل: ﴿وَسَلِيَ الْقَرْيَةَ﴾ ودلّ على هذا الحذف: «وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سَكِينًا»؛ لأنَّ حضور النساء معهنَّ سكاكينُ إنما هو لطعامٍ يُقطع بالسكاكين. كذا قال في كتاب «إعراب القرآن»^(٦) له.

(١) سلف ٢١١/٩.

(٢) الصحاح (متك)، وقول الفراء في معاني القرآن له ٤٢/٢. قوله: الزُّماوُزد، هو طعام من البيض واللحم، معرب. اللسان (ورد). وقوله: لم تخفض، الخفض: ختان الجارية. اللسان (خفض).

(٣) أخرجه الطبري ١٢٩/١٣.

(٤) في (م): فظلنا.

(٥) قائله جميل بثينة، وهو في ديوانه ص ١٨٩، والمعاني الكبير لابن قتيبة ٤٥٧/١، والخزانة ٢١/١٠. قوله: الحلال، ذكر البغدادي عن الشيرازي أنه قال: هو النبيذ، وسماه حلالاً على وجه الخلاعة. قال البغدادي: ولا يَخْفَى أَنَّ حَمْلَهُ على ظاهره أنسب؛ لأن قائله مؤمن، وكان في عرفة في موسم الحج. والقلل جمع قلة، وهو إناء للعرب كالجرة.

(٦) ٣٢٦/٢.

وقال في كتاب «معاني القرآن»^(١): وروى مَعْمَرٌ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: «الْمَتَّكَاءُ: الطعام. وقيل: «المتكأ»: كلُّ ما اتَّكَيْ عليه عند طعامٍ أو شرابٍ أو حديث، وهذا هو المعروف عند أهل اللغة، إلَّا أنَّ الروايات قد صحت بذلك. وحكى القُتَيْبِيُّ^(٢) أَنَّهُ يُقال: اتَّكَأنا عند فلان، أي: أكلنا.

والأصل في «متكأ»: موتكأ، ومثله: مُتَزَنٌ ومُتَّعِدٌ؛ لأنه من وَزَنْتُ ووَعدْتُ ووَكَأْتُ، ويقال: اتَّكَأ يَتَّكِي اتَّكَاءً^(٣).

﴿كُلْ وَاجِدْ وَنَهْنَهَنَّ سَكِينًا﴾ مفعولان. وحكى الكسائي والفراء أَنَّ السَّكِين يذْكَرُ ويؤنث؛ وأنشد الفراء:

فَعَبَّتْ فِي السَّنَامِ غَدَاةً قُرَّ بِسَكِينٍ مُوَثَّقَةِ النَّصَابِ^(٤)
الجوهري: والغالب عليه التذكير؛ وقال:

يُرى ناصحاً فيما بدا فإذا خلا فذلك سَكِينٌ على الحَلْقِ حَاقِظٌ^(٥)
الأصمعي لا يَعْرِفُ في السَّكِينِ إلا التذكير^(٦).

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلِيهِنَّ﴾ بضمّ التاء لالتقاء الساكنين؛ لأنَّ الكسرة تَنْقُلُ إذا كان بعدها ضمة، وكُسِرُ^(٧) التاء على الأصل^(٨).

(١) ٤٢١/٣.

(٢) في تفسير الغريب ص ٢١٦، وتأويل المشكل ص ١٣٨.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣٢٦/٢.

(٤) المذكر والمؤنث للفراء ص ٢٧، وإعراب القرآن للنحاس ٣٢٦/٢ (والكلام منه)، والمذكر والمؤنث لأبي بكر الأنباري ٣٨٨/١، ومجالس العلماء للزجاجي ص ١٠١، والمخصص لابن سيده ١٦/١٧، واللسان (عيث) و(سكن)، وقال ابن منظور: عَيْثُ في السنام بالسكين: أثر.

(٥) الصحاح (سكن)، والبيت لأبي ذؤيب، وهو في ديوان الهذليين ١٥١/١. وقال شارح الديوان ويروي: على الحلق حائق.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٣٢٦/٢، وينظر المذكر والمؤنث لأبي بكر الأنباري ٣٨٩/١.

(٧) في (م): وكسرت.

(٨) قرأ أبو عمرو وعاصم وحمزة بكسر التاء، والباقون من السبعة بضمها. السبعة ص ٣٤٨ والتيسير ص ٧٨.

قيل: إنها قالت لهنّ: لا تقطعن ولا تأكلن حتى أُعْلِمَكُنَّ، ثم قالت لخادمها: إذا قلت لك: ادعُ لي إيلا، فادعُ يوسف. وإيل: صنم كانوا يعبدونه. وكان يوسف عليه السلام يعمل في الطين، وقد شدّ مِئزره وحسّر عن ذراعيه، فقالت للخادم: ادعُ لي إيلا، أي: ادعُ لي الربّ، وإيل بالعبرانية: الربّ. قال: فعَجِبَت النسوة وقلن: كيف يجيء؟! فصعدت الخادم فدعت يوسف، فلما انحدر قالت لهنّ: اقطعن ما معكنّ. ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ بالمُدَى، حتى بلغت السكاكين إلى العظم؛ قاله وهب ابن مُنبّه.

سعيد بن جبیر: لم يخرج عليهنّ حتى زينتته، فخرج عليهم فجاءة فدهشن فيه، وتحيرن لحسن وجهه وزينته وما عليه، فجعلن يقطعن أيديهنّ، ويحسبن أنّهن يقطعن الأثرَج.

اختلف في معنى: «أَكْبَرْنَهُ»؛ فروى جَوْبِر، عن الضّحاك، عن ابن عباس: أَعْظَمْنَهُ وَهَبْنَهُ^(١).

وعنه أيضاً: أَمْنَيْنَ وَأَمْذَيْنَ من الدّهش؛ وقال الشاعر:

إذا ما رأين الفحل من فوق قارّة صَهَلْنَ وَأَكْبَرْنَ المنى المدفّقاً^(٢)

وقال ابن سمعان عن عدّة من أصحابه أنهم قالوا: أَمْذَيْنَ عشقاً.

وهب بن مُنبّه: عشقته حتى مات منهنّ عشرة في ذلك المجلس دَهْشاً وحيرة ووَجْداً بيوسف^(٣).

(١) أخرجه الطبري ١٣/١٣١ - ١٣٢ من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه ابن أبي حاتم ٧/٢١٣٥ (١١٥٥٣) من طريق أبي روق، عن الضّحاك، عن ابن عباس. قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/٢٣٩: هذا قول الجمهور.

(٢) أخرج الشعر والقول قبله أبو الشيخ عن الكميت، كما في الدر المنثور ٤/١٦، ولم تقف عليه عن ابن عباس. والقارة: الجبيل الصغير المنقطع عن الجبال، أو الصخرة العظيمة. القاموس (قار).

(٣) عرائس المجالس ص ١٢٤.

وقيل: معناه: حِضْن من الدَّهْش؛ قاله قتادة ومقاتل والسُّدي^(١). قال الشاعر:
 نَأْتِي النِّسَاءَ عَلَى أَطْهَارِهِنَّ وَلَا نَأْتِي النِّسَاءَ إِذَا أُكْبِرْنَ إِنْجَبَارًا^(٢)
 وأنكر ذلك أبو عبيدة^(٣) وغيره، وقالوا: ليس ذلك في كلام العرب، ولكنه يجوز
 أن يَكْنَ حِضْن من شدة إعظامهنَّ له، وقد تفرع المرأة، فَتُسْقَط ولدها أو تَحِيض.
 قال الزجاج^(٤): يقال: أَكْبَرَنه، ولا يقال: حِضْنه، فليس الإكبار بمعنى الحيض.
 وأجاب الأزهري^(٥) فقال: يجوز أَكْبَرَتْ بمعنى حاضت؛ لأنَّ المرأة إذا حاضت
 في الابتداء خرجت من حَيْز الصغر إلى الكبر، قال: والهَاءُ في «أَكْبَرَتْهُ» يجوز أن
 تكون هاء الوقف لا هاء الكناية.

وهذا مزِيْف؛ لأن هاء الوقف تسقط في الوصل، وأمثلة منه قول ابن الأنباري:
 إِنَّ الهَاءَ كَنَاءَةٌ عَنْ مُصَدِّرِ الْفِعْلِ، أَي: أَكْبَرْنَ إِكْبَارًا، بمعنى حِضْن حَيْضًا. وعلى قول
 ابن عباس الأولِ تعود الهاء إلى يوسف؛ أي: أعظم يوسف وأجللته.
 قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ قال مجاهد: قَطَّعْنَهَا حَتَّى أَلْقَيْنَهَا^(٦). وقيل:
 خَدَشْنَهَا. وروى ابن أبي نجيج عن مجاهد قال: حَزًّا بِالسَّكِينِ؛ قال النحاس^(٧): يريد

(١) لم نقف عليه عنهم، وأخرجه الطبري ١٣/١٣١، وابن أبي حاتم ٧/٢١٣٥ (١١٥٥١) و(١١٥٥٢) من طريق عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس، عن أبيه، عن جده ابن عباس. قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/٢٣٩: هذا قول ضعيف من معناه منكور، وليس عبد الصمد من رواة العلم رحمه الله. اهـ وينظر تهذيب اللغة ١٠/٢١٢.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/١٠٦، وتفسير الطبري ١٣/١٣٢، والمحرر الوجيز ٣/٢٣٩. قال الطبري: لا أحسب له أصلًا؛ لأنه ليس بالمعروف عند الرواة. وقال ابن عطية: البيت مصنوع مختلق.

(٣) في مجاز القرآن ١/٣٠٩.

(٤) في معاني القرآن ٣/١٠٦.

(٥) في تهذيب اللغة ١٠/٢١١ - ٢١٢.

(٦) المحرر الوجيز ٣/٢٣٩ وأخرجه الطبري ١٣/١٣٥. قال ابن عطية: فظاهرُ هذا أنه بانت الأيدي، وذلك ضعيف من معناه.

(٧) في معاني القرآن ٣/٤٢٢، وما قبله منه، وأخرج قول مجاهد الطبري ١٣/١٣٣.

مجاهد أنه ليس قطعاً تبين منه اليد، إنما هو خدشٌ وحزٌّ، وذلك معروفٌ في اللغة أن يقال إذا خدش الإنسان يد صاحبه: قطع يده.

وقال عكرمة: «أَيْدِيَهُنَّ»: أكمَامَهُنَّ، وفيه بُعد. وقيل: أناملَهُنَّ، أي: ما وجدن المأ في القطع والجرح، أي: لشغلِ قلوبهنَّ بيوسف.

والتقطيع يشير إلى الكثرة، فيمكن أن ترجع الكثرة إلى أن كلَّ واحدةٍ^(١) جرحت يدها في مواضع، ويمكن أن يرجع إلى عددهنَّ.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ أي: معاذَ الله. وروى الأصمعي عن نافع أنه قرأ كما قرأ أبو عمرو بن العلاء: ﴿وَقُلْنَ حَاشَا لِلَّهِ﴾ بإثبات الألف وهو الأصل^(٢)، ومَنْ حَذَفَهَا جعل اللام في (الله) عوضاً منها. وفيها أربع لغات، يقال: حَاشَاكَ، وَحَاشَا لَكَ، وَحَاشَ لَكَ، وَيُقَالُ: حَاشَا زَيْدٍ وَحَاشَا زَيْدًا؛ قال النحاس^(٣): وسمعت علي بن سليمان يقول: سمعت محمد بن يزيد يقول: التَّضْبُ أَوْلَى؛ لأنه قد صحَّ أنها فعلٌ؛ لقولهم: حَاشَ لزيد، والحرف لا يُحذف منه^(٤)، وقد قال النابغة:

وَلَا أَحَاشِي مِنَ الْأَقْوَامِ مِنْ أَحَدٍ^(٥)

وقال بعضهم: حَاشَ حرفٌ، وأحاشي فعل. ويدلُّ على كون حاشا فعلاً وقوعُ حرف الجرِّ بعدها^(٦). وحكى أبو زيد عن أعرابيٍّ: اللهم اغفر لي ولمن يسمع، حاشا

(١) في (م): أن يرجع الكثرة إلى واحدة، وفي (د) و(ز) و(ظ): إلى كل واحدة، والمثبت من (ف).

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣٢٦/٢، وقراءة أبي عمرو في السبعة ص ٣٤٨، والتيسير ص ١٢٨، ورواية الأصمعي عن نافع أخرجه ابن مجاهد في السبعة ص ٣٤٨، وليست هي المشهورة عنه.

(٣) في إعراب القرآن ٣٢٦/٢، وما قبله منه.

(٤) يعني حذف الألف من «حاشا»، والحذف إنما يكون في الفعل. أسرار العربية لأبي البركات الأنباري ص ١٩١.

(٥) وصدرة: ولا أرى فاعلاً في الناس يشبهه، وهو في ديوان النابغة ص ٣٣، والخزانة ٤٠٣/٣. قال البغدادى: قوله: ولا أحاشي، أي: لا أستثني أحداً ممن يفعل الخير. والشاهد فيه: تصرّف الفعل حاشا، والتصرّف من خصائص الأفعال. أسرار العربية ص ١٩١.

(٦) ينظر أسرار العربية ص ١٩٠ - ١٩٢. وقال أبو البركات: وحرف الجر إنما يتعلق بالفعل؛ لأن الحرف لا يتعلق بالحرف.

الشيطانَ وأبا الأصبع، فَصَبَّ بها^(١).

وقرأ الحسن: «وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ» بإسكان الشين، وعنه أيضاً: «حاشَ الإله». ابن مسعود وأبيّ: «حَاشَى^(٢) الله» بغير لام، ومنه قول الشاعر:

حاشا أبي ثوبان إن به ضئاً عن المَلْحَاةِ والشَّثْمِ^(٣)

قال الزجاج: وأصلُ الكلمة من الحاشية، والحشَا بمعنى الناحية، تقول: كنت في حشَا فلانٍ، أي: في ناحيته، فقولك: حاشا لزيد، أي: تنحى زيدٌ من هذا وتباعد عنه، والاستثناء إخراجٌ وتنحيةٌ عن جملة المذكورين^(٤).

وقال أبو عليّ: هو «فاعل» من المحاشاة؛ أي: حاشا يوسفٌ وصار في حاشيةٍ وناحيةٍ مما قُرِفَ به^(٥)، أو من أن يكون بشراً؛ فحاشا وحاشٌ في الاستثناء حرفٌ جرٌّ عند سيويوه^(٦)، وعلى ما قال المبرّد وأبو عليّ فعل.

قوله تعالى: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ قال الخليل وسيويوه: «ما» بمنزلة ليس؛ تقول: ليس زيدٌ قائماً، و﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ و﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ [المجادلة: ٢]. وقال الكوفيون: لَمَّا

(١) المحتسب ٣٤٢/١، وشرح المفصل ٨٥/٢، والمغني ص ١٦٥.

(٢) في (د) و(ز) و(م): حاش، وكذلك وقعت في القراءات الشاذة ص ٦٣، والمثبت موافق لما في المحتسب ٣٤١/١، والمحزر الوجيز ٢٣٩/٣، والبحر ٣٠٣/٥، والدر المصون ٤٨٦/٦. وينظر ما سلف من القراءات في هذه المصادر.

(٣) مجاز القرآن ٣١٠/١، والحجة للفارسي ٤٢٢/٤، والمحتسب ٣٤١/١، والمحزر الوجيز ٢٤٠/٣. وهو في المفضليات ص ٣٦٧، والأصمعيات ص ٢١٨، منسوب للجميع الأسدي برواية:

حاشا أبا ثوبان إن أبا عمرو بن عبد الله إن به ضئاً عن المَلْحَاةِ والشَّثْمِ
ثوبان ليس بـبُكْمَةٍ قَدْ

(٤) بنحوه في معاني القرآن للزجاج ١٠٧/٣.

(٥) بنحوه في الحجة للفارسي ٤٢٢/٤ - ٤٢٣، وينظر مشكل إعراب القرآن ٣٨٦/١، وتقدير الكلام على ما ذكر في هذين المصدرين: «حاش لله» أي: بُعد يوسف عن هذا الذي رمي به لله، أي: لخوفه الله ومراقبته له. وسيدكر المصنف نحوه عن أبي نصر القشيري.

(٦) الكتاب ٣٤٩/٢.

حذفت الباء نصبت، وشرحُ هذا - فيما قاله أحمد بن يحيى - أنك إذا قلت: ما زيد بمنطلق، فموضعُ الباء موضعُ نصب، وهكذا سائرُ حروف الخفض، فلما حذفت الباء نصبت لتدلَّ على محلِّها، قال: وهذا قولُ الفراء، قال: ولم تعمل «ما» شيئاً، فالزمهم البصريون أن يقولوا: زيدُ القمر؛ لأنَّ المعنى: كالقمر. فردَّ أحمد بن يحيى بأن قال: الباء أَدْخِلُ في حروف الخفض من الكاف؛ لأنَّ الكاف تكون اسماً.

قال النحاس^(١): لا يصحُّ إلَّا قولُ البصريين، وهذا القول يتناقض؛ لأنَّ الفراء أجاز نصّاً: ما بمنطلقٍ زيد، وأنشد:

أَمَّا وَاللَّهِ أَنْ لَوْ كُنْتَ حُرًّا وَمَا بِالْحُرِّ أَنْتَ وَلَا الْعَتِيقُ^(٢)

وَمَنَعَ نصّاً النصب، ولا نعلم بين النحويين اختلافاً أنه جائز: ما فيك براغبٍ زيد، وما إليك بقاصدٍ عمرو، ثم يحذفون الباء ويرفعون. وحكى البصريون والكوفيون: ما زيدٌ منطلقٌ بالرفع، وحكى البصريون أنها لغةُ تميم، وأنشدوا:

أَتِيماً تَجْعَلُونَ إِلَيَّ زَيْدًا وَمَا تَتِيْمٌ لِذِي حَسَبٍ نَدِيدُ^(٣)

النَّدُ والنَّدِيدُ والنَّدِيدَةُ: المِثْلُ والنَّظِيرُ^(٤). وحكى الكسائي أنها لغةُ تِهَامَةٍ ونَجْدٍ. وزعم الفراء أنَّ الرفع أقوى الوجهين. قال أبو إسحاق: وهذا غلط؛ كتابُ الله عزَّ وجلَّ ولغةُ رسول الله ﷺ أقوى وأولى^(٥).

قلت: وفي مصحف حفصة رضي الله عنها: «مَا هَذَا بِبَشَرٍ» ذكره العُزْنَوِيُّ.

(١) في إعراب القرآن ٣٢٧/٢ - ٣٢٨، وينظر قول سيبويه في الكتاب ٥٧/١ - ٦٩ و ١٢٢، وقول الفراء في معاني القرآن له ٤٢/٢.

(٢) معاني القرآن للفراء ٤٤/٢، والخزانة ١٤١/٤.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣٢٦/٢، والبيت لجريز، وهو في ديوانه ٣٣١/١، والخزانة ٢٧/٣، ورواية الديوان: أتيم، بدل: أتيماً.

(٤) الصحاح (ندد).

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣٢٦/٢، وكلام الفراء في معاني القرآن له ٤٢/٢، وكلام أبي إسحاق وهو الزجاج في معاني القرآن له ١٠٨/٣.

قال القُشَيْرِيُّ أبو نصر: وذكرت النسوة أنَّ يوسفَ أحسنُ من صورة البشر، بل هو في صورة ملك، وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤] والجمع بين الآيتين أنَّ قولهنَّ: ﴿حَسَّ لِلَّهِ﴾ تبرئةً ليوسف^(١) عما رمت به امرأة العزيز من المراودة، أي: بعدُ يوسف عن هذا، وقولهنَّ: (الله) أي: لخوفه، أي براءةً لله من هذا، أي: قد نجا يوسف من ذلك، فليس هذا من الصورة في شيء، والمعنى: أنه في التبرئة عن المعاصي كالملائكة؛ فعلى هذا لا تناقض.

وقيل: المراد تنزيهه عن مُشابهة البشر في الصورة؛ لفرط جماله، وقوله: ﴿لِلَّهِ﴾ تأكيدٌ لهذا المعنى، فعلى هذا المعنى قالت النسوة ذلك ظناً منهنَّ أنَّ صورة الملك أحسن، وما بلغهنَّ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، فإنه من كتابنا. وقد ظنَّ بعض الضَّعَفَةِ أنَّ هذا القول لو كان ظناً باطلاً منهنَّ، لوجبَ على الله أن يردَّ عليهنَّ، ويبيِّن كذبهنَّ، وهذا باطل؛ إذ لا وجوبَ على الله تعالى، وليس كلُّ ما يخبر به الله سبحانه من كُفْرِ الكافرين وكذب الكاذبين يجب عليه أن يقرن به الردُّ عليه، وأيضاً أهلُ العرف قد يقولون في القبيح: كأنه شيطان، وفي الحسن: كأنه ملك، أي: لم ير مثله؛ لأنَّ الناس لا يَرَوْنَ الملائكة، فهو بناءٌ على ظنٍّ في أنَّ صورة الملك أحسن، أو على الإخبار بطهارة أخلاقه وبعده عن التُّهم.

﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ﴾ أي: ما هذا إلا ملك، وقال الشاعر:

فَلَسْتُ لِإِنْسِي وَلَكِنْ لِمَلَأِكٍ تَنْزَلُ مِنْ جَوْ السَّمَاءِ يَصُوبُ^(٢)

وروي عن الحسن: «ما هذا بشري»؛ بكسر الباء والشين، أي: ما هذا عبداً مُشْتَرِي، أي: ما ينبغي لمثل هذا أن يُباع، فوضع المصدر موضع اسم المفعول، كما قال: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ [المائدة: ٩٦] أي: مَصِيدُهُ، وشبَّهه كثير. ويجوز أن يكون المعنى: ما هذا بثمان، أي: مثله لا يثمن ولا يقوِّم، فيراد بالشراء على هذا:

(١) في (ظ): أن قوله حاش لله تنزيه ليوسف.

(٢) سلف ١/ ٣٩٣.

الْثَّمَنُ الْمَشْتَرَى بِهِ، كقولك: ما هذا بألف، إذا نفيت قول القائل: هذا بألف. فالباء على هذا متعلّقة بمحذوف هو الخبر^(١)، كأنه قال: ما هذا مقدّراً بشراء.

وقراءة العامة أشبه؛ لأنّ بعده: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ مبالغة في تفضيله في جنس الملائكة تعظيماً لشأنه، ولأنّ مثل «بِشْرَى» يكتب في المصحف بالياء^(٢).

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنْنِي فِيهِ﴾ لَمَّا رأت افتتانهنّ بيوسف أظهرت عُذْرَ نفسها بقولها: «لُمْتُنْنِي فِيهِ» أي: في حبه.

و«ذلك» بمعنى «هذا»، وهو اختيار الطّبري^(٣). وقيل: الهاء للحب، و«ذلك» على بابه^(٤)، والمعنى: ذلكنّ الحبّ الذي لُمْتُنْنِي فِيهِ، أي: حبّ هذا هو ذلك الحبّ. واللوم: الوصف بالقبيح. ثم أقرت وقالت: ﴿وَلَقَدْ زَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعَصَمَ﴾ أي: امتنع.

وسمّيت العصمة عصمةً لأنّها تمنع من ارتكاب المعصية. وقيل: «استعصم» أي: استعصى^(٥)، والمعنى واحد.

﴿وَلَكِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُوهُ لَيْسَجَنَ﴾ عاودته المراودة بمحضّرٍ منهنّ، وهتكّت جلباب الحياء، ووعدت بالسجن إن لم يفعل، وإنما فعلت هذا حين لم تخشَ لوماً ولا مقالاً، خلاف أوّل أمرها إذ كان ذلك بينه وبينها.

﴿وَلْيَكُونَا مِنَ الصّٰغِرِيْنَ﴾ أي: الأذلاء. وخطّ المصحف: «وليكوناً» بالألف، وتقرأ بنون مخفّفة للتأكيد، ونون التأكيد تثقل وتخفّف، والوقف على قوله: «لَيْسَجَنَ» بالنون لأنها مثقّلة، وعلى «ليكوناً» بالألف لأنها مخفّفة، وهي تشبه نون الإعراب في

(١) المحاسب ٣٤٢/١.

(٢) معاني القرآن للنحاس ٤٢٣/٣، وينظر النكت والعيون ٣٣/٣.

(٣) في تفسيره ١٤١/١٣.

(٤) المحرر الوجيز ٢٤١/٣، وقوله: على بابه، أي: في الإشارة إلى غائب، كما ذكر ابن عطية.

(٥) أخرجه الطبري ١٤٢/١٣ عن قتادة. ووقع في (ظ): استعف، بدل: استعصى.

قولك: رأيت رجلاً، وزيداً، وعمراً، ومثله قوله: ﴿لَتَسْفُكُنَّ بِالْأَيْمِ﴾ [العلق: ١٥] ونحوها، الوقف^(١) عليها بالألف، كقول الأعشى:

وَلَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهُ فَاعْبُدَا^(٢)

أراد: فاعبدا^(٣)، فلماً وقف عليه كان الوقف بالألف.

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا فَصَرَفَ عَنْي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْنَا وَأَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ فاستجاب لمرئيه فصرف عنه كيدهنَّ إنَّه هو السميع العليم ﴿٣٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ أي: دخول السجن، فحذف المضاف؛ قاله الزجاج والنحاس^(٤). «أحبُّ إليَّ» أي: أسهل عليَّ وأهون من الوقوع في المعصية، لا أنَّ دخول السجن مما يُحبُّ على التحقيق.

وحكى أن يوسف عليه السلام لما قال: ﴿السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ أوحى الله إليه: «يا يوسف! أنت حبست نفسك حيث قلت: السجن أحبُّ إليَّ، ولو قلت: العافية أحبُّ إليَّ، لعوفيت»^(٥).

وحكى أبو حاتم أن عثمان بن عفان ؓ قرأ: «السِّجْن» بفتح السين، وحكى أن ذلك قراءة ابن أبي إسحاق وعبد الرحمن الأعرج ويعقوب، وهو مصدر: سَجَنَهُ سَجْنًا^(٦).

(١) في (ظ): والوقف. والمثبت من باقي النسخ. وتفسير الطبري ١٣/١٤٢ - ١٤٣، والكلام منه.

(٢) تفسير الطبري ١٣/١٤٣، وصدره عنده: وصلَّ على حين العشيات والضحى، وهو في الديوان ص ١٨٧ برواية:

وَذَا النَّصْبِ الْمَنْصُوبِ لَا تَنْسَكُنَّه وَلَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ...

(٣) في تفسير الطبري: فاعبُدُنَّ.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/١٠٨، وإعراب القرآن للنحاس ٢/٣٢٨.

(٥) عيون الأخبار لابن قتيبة ١/٧٩.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٢٨، وقراءة يعقوب في النشر ٢/٢٩٥، وهو من العشرة.

﴿وَلَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ﴾ أي: كيد النسوان. وقيل: كيد النسوة اللاتي رأينه؛ فإنهنَّ أَمَرْنَه بمطاعة امرأة العزيز، وقلن له: هي مظلومة، وقد ظلمتها. وقيل: طلبت كل واحدة أن تخلو به للنصيحة في امرأة العزيز، والقصد بذلك أن تعدله في حقها، وتأمره بمساعدتها، فلعله يُجيب، فصارت كل واحدة تخلو به على حدة فتقول له: يا يوسف، اقض لي حاجتي فأنا خير لك من سيدتك. تدعوه كل واحدة لنفسها وتراوده، فقال: يا رب كانت واحدة فصرن جماعة.

وقيل: كيد امرأة العزيز فيما دعت إليه من الفاحشة، وكنت عنها بخطاب الجمع؛ إمّا تعظيماً لشأنها^(١) في الخطاب، وإمّا ليعدل عن التصريح إلى التعريض. والكيد: الاحتيال والاجتهاد؛ ولهذا سُميت الحرب كيداً؛ لاحتيال الناس فيها؛ قال عمر بن لُجَا:

نراءث كني تكيدك أم بشر
وكيد بالتبرج ما تكيد^(٢)
﴿أَصْبُ إِلَيْنَ﴾ جواب الشرط، أي: أمل إليهن؛ من صبا يصبو: إذا مال واشتاق، صُبُوا وصَبُو^(٣)؛ قال:

إلى هند صبا قلبي وهند مثلها يضي^(٤)
أي: إن لم تَلُطَف بي في اجتناب المعصية وقعت فيها^(٥). ﴿وَإِنْ يَنْ لَّيُجَاهِلِينَ﴾ أي: ممن يرتكب الإثم ويستحق الذم، أو ممن يعمل عمل الجهال؛ ودل هذا على أنَّ

(١) في (د) و(ز) و(م): لتعظيم شأنها، والمثبت من (ظ) و(ف)، وهو الموافق لما في النكت والعيون ٣٤/٣، والكلام منه.

(٢) الموشى لأبي الطيب الوشاء ص ١١٢ برواية: ... أم عمرو وكيدك...، ومتهى الطلب ٢٩٩/٧ برواية:

بدت فتبرجت لك أم بدر وكيداً بالتبرج...

(٣) تفسير البغوي ٤٢٤/٢.

(٤) قائله يزيد بن ضبة، كما في مجاز القرآن ٣١١/١، والأغاني ١٠٢/٧، وهو في تفسير الطبري ١٤٥/١٣ دون نسبة.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣٢٨/٢.

أحداً لا يمتنع عن معصية الله إلا بعون الله؛ ودلّ أيضاً على قُبْح الجهل والذمّ لصاحبه.

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ﴾ لَمَّا قَالَ: «وَالَا تَضُرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ»؛ تعرّض للدعاء، وكأنه قال: اللهم اصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ؛ فاستجاب له دعاءه، ولطفَ به، وعصمه عن الوقوع في الزنى. «كَيْدَهُنَّ» قيل: لأنهنَّ جمعٌ قد راودنه عن نفسه. وقيل: يعني كَيْدَ النساء. وقيل: يعني كَيْدَ امرأة العزيز، على ما ذكر في الآية قبل، والعموم أولى.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَجُجُنَّهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ ﴿٣٥﴾

فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ﴾ أي: ظهر للعزيز وأهل مَشُورته ﴿مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ﴾ أي: علامات براءة يوسف - من قَدْ القميص من دُبُر، وشهادة الشاهد، وحَزُّ الأيدي، وقلة صبرهنَّ عن لقاء يوسف - أن يسجنوه كتماناً للقصة ألا تشيع في العامة، وللحيلولة بينه وبينها. وقيل: هي البركات التي كانت تنفتح عليهم ما دام يوسف فيهم. والأول أصح.

قال مقاتل عن مجاهد عن ابن عباس في قوله: ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ﴾ قال: [قَدْ] القميص من الآيات، وشهادة الشاهد من الآيات، وقطعُ الأيدي من الآيات، وإعظامُ النساء إياه من الآيات^(١).

وقيل: ألجأها الخجلُ من الناس، والوجلُّ من اليأس، إلى أن رضيت بالحجاب مكانَ خَوْفِ الذهاب، لتشتفي إذا مُنعت من نظره؛ قال:

وما صَبَابَةٌ مشتاقٍ على أَمَلٍ من اللُّقاء كمشتاقٍ بلا أَمَلٍ^(٢)

(١) زاد المسير ٢٢١/٤، وما سلف بين حاصرتين منه، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢١٣٩/٧ (١١٥٨٢) من طريق عكرمة عن ابن عباس بلفظ: من الآيات: قد القميص، وأثر السكين.

(٢) البيت للمتنبي، وهو في ديوانه ص ٣٣٦.

أو كادته رجاء أن يَمَلَّ حَبْسَهُ فيبذل نفسه.

الثانية: قوله تعالى: ﴿لَيْسَ جُنَّتُهُ﴾ «يَسْجُنَّتُهُ» في موضع الفاعل، أي: ظهر لهم أن يسجنوه. هذا قول سيبويه. قال المبرد: وهذا غلط؛ لا يكون الفاعل جملة، ولكن الفاعل ما دلَّ عليه «بَدَأَ»، وهو مصدر، أي: بدا لهم بَدَاءً؛ فحذف [الفاعل] لأنَّ الفعل يدلُّ عليه، كما قال الشاعر:

وَحُقَّ لِمَنْ أَبُو مُوسَى أَبُوهُ يُوقِّقُهُ الَّذِي نَصَبَ الْجِبَالَ^(١)
أي: وحقَّ الحقُّ، فحذف.

وقيل: المعنى: ثم بدا لهم رأيٌ لم يكونوا يعرفونه، وحذف هذا لأنَّ في الكلام دليلاً عليه، وحذف أيضاً القول، أي: قالوا: لَيْسَ جُنَّتُهُ^(٢). واللام جوابٌ ليمينٍ مضمر. قاله الفراء^(٣)، وهو فعل مذكَّر لا فعل مؤنَّث، ولو كان فعلاً مؤنَّثاً لكان: لَيْسَ جُنَّتَانِ، ويدلُّ على هذا قوله: ﴿لَهُمْ﴾ ولم يقل: لهنَّ، فكأنَّه أخبر عن النسوة وأعوانهنَّ، فغلب المذكر. قاله أبو علي.

وقال السُّدِّي: كان سببُ حبس يوسف أنَّ امرأة العزيز شكَّت إليه أنه شهَّرها ونشَر خبرها^(٤)، فالضمير على هذا في «لَهُمْ» للملك.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿حَقَّقَ حِينَ﴾ أي: إلى مدَّةٍ غير معلومة. قاله كثير من المفسِّرين^(٥). وقال ابن عباس: إلى انقطاع ما شاع في المدينة^(٦). وقال سعيد بن

(١) البيت لذی الرمة، وهو في ديوانه ١٥٤٦/٣، وإعراب القرآن للنحاس ٣٢٩/٢، والكلام وما سلف بين حاصرتين منه.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣٢٩/٢.

(٣) في معاني القرآن ٤٤/٢.

(٤) أخرجه الطبري ١٥٠/١٣.

(٥) النكت والعيون ٣٥/٣.

(٦) ذكره الرازي ١٨/١٣٣، وأورده الواحدي في الوسيط ٦١٢/٢، والبغوي ٤٢٥/٢ عن عطاء.

جُبَيْر: إلى ستة أشهر^(١). وحكى الكَيَّا أنه عَنَى ثلاثةَ عَشَرَ شهراً^(٢). عِكْرمة: سبع سنين^(٣). الكَلْبِيُّ: خمس سنين^(٤). مقاتل: [اثنتي عشرة سنة]^(٥). وقد مضى في «البقرة»^(٦) القول في الحين وما يرتبط به من الأحكام. وقال وهب: أقام في السجن اثنتي عشرة سنة^(٧). و«حتى» بمعنى إلى، كقوله: ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: ٥].

وجعل الله الحبسَ تطهيراً ليوسف ﷺ من هَمِّه بالمرأة. وكأنَّ العزيز - وإن عرف براءة يوسف - أطاع المرأة في سجن يوسف. قال ابن عباس: عَثَرَ يوسف ثلاث عثرات، حين هَمَّ بها فسُجِنَ، وحين قال للفتى: ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ فلبث في السجن بضع سنين، وحين قال لإخوته: ﴿إِنكُم لَسَارِقُونَ﴾ فقالوا: ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾^(٨).

الرابعة: أكره يوسف عليه السلام على الفاحشة بالسجن، وأقام [فيه] خمسة أعوام، وما رضي بذلك لعظيم منزلته وشريف قدره، ولو أكره رجلٌ بالسجن على الزنى ما جاز له [ذلك] إجماعاً. فإن أكره بالضرب، فقد اختلف فيه العلماء؛ والصحيح أنه إذا كان فادحاً فإنه يسقط عنه إثم الزنى وحده. وقد قال بعض علمائنا: إنه لا يسقط عنه الحدّ، وهو ضعيف؛ فإنَّ الله تعالى لا يجمع على عبده العذابين،

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٢١٤١/٧ (١١٥٩١) وذكره الماوردي في النكت والعيون ٣٤/٣.

(٢) كذا في النسخ، والذي في أحكام القرآن للكلبي ٢٣٧/٣: ثلاث عشرة سنة.

(٣) في (د) و(ز) و(م): تسع سنين، والمثبت من باقي النسخ والمصادر، وقد أخرجه الطبري ١٥١/١٣، وابن أبي حاتم ٢١٤١/٧ (١١٥٩٢)، وذكره الماوردي في النكت والعيون ٣٤/٣.

(٤) تفسير أبي الليث ١٦١/٢، وتفسير البغوي ٤٢٥/٢.

(٥) قوله: اثنتي عشرة سنة، سقط من النسخ الخطية، والمثبت من الوسيط ٦١٣/٢، وتفسير الرازي ١٣٣/١٨.

(٦) ٤٧٨/١ - ٤٨٠.

(٧) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ٣٢٣/٢ بلفظ: لبث يوسف في السجن سبع سنين، وكذا ذكر الجصاص في أحكام القرآن ١٧٣/٣.

(٨) أخرجه الطبري ١٤٩/١٣. والحاكم ٣٤٦/٢. وقال الذهبي في تلخيصه: وهو خبر منكر.

ولا يُصِرُّهُ بين بلأين؛ فإنه من أعظم الحرج في الدين^(١)، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكَ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]. وسيأتي بيان هذا في «النحل» إن شاء الله^(٢). وصبر يوسف [على السجن]، واستعاذ به من الكيد^(٣)، فاستجاب له على ما تقدّم.

قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبَأْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُزْقَايَاهُ إِلَّا نَبَأَكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ تُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ﴾ «فتيان» تثنية فتى، وهو من ذوات البياء، وقولهم: الفتوة، شاذ^(٤). قال وهب وغيره: حُمل يوسف إلى السجن مقيداً على حمار، وطيف به: هذا جزاء من يعصي سيده^(٥)، وهو يقول: هذا أيسر من مُقَطَّعات النيران، وسرايل القطران، وشراب الحميم، وأكل الزقوم.

فلما انتهى يوسف إلى السجن وجد فيه قوماً قد انقطع رجاؤهم، واشتدّ بلاؤهم، فجعل يقول لهم: اصبروا وأبشروا تؤجروا، فقالوا له: يا فتى، ما أحسن حديثك!

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٠٧٤، وما سلف بين حاصرتين منه، إلا أنه وقع فيه. وأقام فيه سبعة أعوام، بدل: خمسة أعوام.

(٢) عند تفسير الآية (١٠٦) منها.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٠٧٤، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٢٨، ووقع في (م): الفتو، بدل: الفتوة. والفتوة - على قول - جمع فتى. قال سيويه: أبدلوا الواو في الجمع والمصدر بدلاً شاذاً. الصحاح (فتا).

(٥) ذكر ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٢٤٢ عن ابن عباس نحوه، إلا أن فيه: ونودي عليه في أسواق مصر: إن يوسف العبراني أراد سيده، فهذا جزاؤه أن يسجن.

لقد بورك لنا في جوارك، مَنْ أنت يا فتى؟ قال: أنا يوسف ابن صفى الله يعقوب، ابن ذبيح الله إسحاق، ابن خليل الله إبراهيم^(١).

وقال ابن عباس: لما قالت المرأة لزوجها: إن هذا العبد العبراني قد فضحني، وأنا أريد أن تسجنه، فسجنه في السجن، فكان يُعزِّي فيه الحزين، ويعود فيه المريض، ويداوي فيه الجريح، ويصلي الليل كله، ويبكي حتى تبكي معه جُذُر البيوت وسقفها والأبواب، وطهر به السجن، واستأنس به أهل السجن، فكان إذا خرج الرجل من السجن رجع حتى يجلس في السجن مع يوسف، وأحبّه صاحب السجن فوسّع عليه فيه، ثم قال له: يا يوسف! لقد أحبتك حباً لم أحب شيئاً حبك، فقال: أعوذ بالله من حبك! قال: ولم ذلك؟ فقال: أحبني أبي ففعل بي إخواني ما فعلوه، وأحبّتي سيدتي فنزل بي ما ترى. فكان في حبسه حتى غضب الملك على خبّازه وصاحب شرابه، وذلك أنّ الملك عُمر فيهم فملّوه، فدسّوا إلى خبّازه وصاحب شرابه أن يسمّاه جميعاً، فأجاب الخبّاز وأبى صاحب الشراب، فانطلق صاحب الشراب فأخبر الملك بذلك، فأمر الملك بحبسهما، فاستأنسا بيوسف، فذلك قوله: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٌ﴾.

وقد قيل: إن الخبّاز وضع السمّ في الطعام، فلما حضر الطعام قال السّاقى: أيها الملك! لا تأكل فإنّ الطعام مسموم. وقال الخبّاز: أيها الملك لا تشرب! فإن الشراب مسموم، فقال الملك للسّاقى: اشرب. فشرّب فلم يضرّه، وقال للخبّاز: كلّ. فأبى، فجرّب الطعام على حيوان فنفق مكانه، فحبسهما سنة، وبقي في السجن تلك المدة مع يوسف^(٢).

واسم السّاقى منجا، والآخر مجلث؛ ذكره الثعلبي عن كعب. وقال النقاش:

(١) أخرجه الطبري ١٣/١٥٧ - ١٥٨ عن قتادة مطولاً، وفي هذا الخبر نظر، فالذبيح هو إسماعيل على الصحيح.

(٢) ينظر عرائس المجالس ص ١٢٤ - ١٢٦، وتفسير البغوي ٢/٤٢٥، والمحزر الوجيز ٣/٢٤٣، وزاد المسير ٤/٢٢٢.

اسم أحدهما شرهم، والآخر سرهم؛ الأول بالشين المعجمة، والآخر بالسين المهملة. وقال الطبري: الذي رأى أنه يعصر خمراً هو نبو، قال السهيلي: وذكر اسم الآخر ولم أقيده^(١).

وقال «فتيان» لأنهما كانا عبيدين، والعبد يسمى فتى، صغيراً كان أو كبيراً؛ ذكره الماوردي^(٢).

وقال القشيري: ولعل الفتى كان اسماً للعبد في عرفهم؛ ولهذا قال: ﴿تَزَوَّدُ فَتْنَهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾. ويحتمل أن يكون الفتى اسماً للخادم وإن لم يكن مملوكاً، ويمكن أن يكون حبسهما مع حبس يوسف أو بعده أو قبله، غير أنهما دخلا معه البيت الذي كان فيه.

﴿قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ أي: عنباً. كان يوسف قال لأهل السجن: إني أعبر الأحلام، فقال أحد الفتيين لصاحبه: تعال حتى نجرب هذا العبد العبراني، فسألاه من غير أن يكونا رأيا شيئاً. قاله ابن مسعود^(٣).

وحكى الطبري^(٤): أنهما سألاه عن علمه، فقال: إني أعبر الرؤيا، فسألاه عن رؤياهما. قال ابن عباس ومجاهد: كانت رؤيا صدق رأياها وسألاه عنها؛ ولذلك صدق تأويلها^(٥). وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً»^(٦).

(١) التعريف والإعلام ص ٨١، وعنه نقل المصنف قول الطبري والنقاش. وقول الطبري في تفسيره ١٥١/١٣ - ١٥٢؛ أخرجه عن ابن إسحاق، وذكر فيه أن اسم الآخر: مجلت.

(٢) في النكت والعيون ٣/٣٦.

(٣) أخرجه الطبري ١٥٣/١٣ و ١٦٧ - ١٦٨.

(٤) في تفسيره ١٥٢/١٣ - ١٥٣، ونقله المصنف عنه بواسطة الماوردي في النكت والعيون ٣/٣٦.

(٥) النكت والعيون ٣/٣٦، إلا أنه وقع فيه: ابن إسحاق، بدل: ابن عباس، وكذلك أخرجه الطبري ١٥٣/١٣ - ١٥٤ عن مجاهد وابن إسحاق.

(٦) قطعة من حديث أخرجه أحمد (٧٦٤٢)، ومسلم (٢٢٦٣) عن أبي هريرة ؓ.

وقيل: إنها كانت رؤيا كذب سألناه عنها تجريباً، وهذا قول ابن مسعود والسدي^(١).

وقيل: إن المصلوب منهما كان كاذباً، والآخر صادقاً. قاله أبو مجلز^(٢).
وروى الترمذي عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «مَنْ تَحَلَّمَ كاذباً؛ كُفِّ يومَ القيامة أن يَعْقِدَ بين شَعيْرَتَيْنِ [ولن يَعْقِدَ بينهما]». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح^(٣).

وعن عليّ عن النبي ﷺ قال: «مَنْ كَذَبَ في حُلْمِهِ؛ كُفِّ يومَ القيامة عَقْدُ شَعيْرة». قال: حديث حسن^(٤).

قال ابن عباس: لَمَّا رَأَى رُؤْيَاهُمَا أَصْبَحَا مَكْرُوبَيْنِ، فقال لهما يوسف: ما لي أراكما مكروبين؟ قالَا: يا سيدنا، إِنَّا رَأَيْنَا مَا كَرِهْنَا، قال: فَقُصِّا عَلَيَّ، فَقُصِّا عَلَيْهِ، قالَا: نَبَّئْنَا بِتَأْوِيلِ مَا رَأَيْنَا. وهذا يدلُّ على أنها كانت رؤيا منام^(٥).

﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ فإحسانه أَنَّهُ كان يَعُودُ المَرَضَى وَيُدَاوِيهِمْ، وَيُعْزِي الحَزَانَى^(٦). قال الضحاك: كان إذا مرض الرجل من أهل السجن قام به، وإذا ضاق وسَّعَ له، وإذا احتاج جَمَعَ له، وسأل له^(٧).

وقيل: «مِنَ الْمُحْسِنِينَ» أي: العالمين الذين أحسنوا العلم؛ قاله الفراء^(٨).

(١) أخرجه عن السدي الطبري ١٣/١٥٣، وسلف عن ابن مسعود.

(٢) النكت والعيون ٣/٣٦.

(٣) سنن الترمذي (٢٢٨٣)، وما سلف بين حاصرتين منه، وأخرجه أيضاً أحمد (١٨٦٦)، والبخاري (٧٠٤٢). وأخرجه أحمد (١٠٥٤٩) من حديث أبي هريرة ؓ.

(٤) سنن الترمذي (٢٢٨١)، وهو عند أحمد (٥٦٨).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٤/٢٢٣ من طريق أبي صالح عن ابن عباس.

(٦) ذكره ابن الجوزي ٤/٢٢٣ من طريق مجاهد عن ابن عباس.

(٧) عرائس المجالس ص ١٢٥ - ١٢٦، وفيه: وسأله ربه، بدل: وسأل له، وأخرجه الطبري ١٣/١٥٦ - ١٥٧.

(٨) في معاني القرآن ٢/٤٥.

وقال ابن إسحاق: مِنَ الْمُحْسِنِينَ لَنَا إِنْ فَسَّرْتَهُ^(١)، كما تقول: افعل كذا وأنت مُحْسِن.

قال: فما رأيكما؟ قال الخبَّاز: رأيت كأنني اخْتَبَرْتُ في ثلاثة تنانير، وجعلته في ثلاث سِلَالٍ، فوضعتُه على رأسي، فجاء الطير فأكل منه. وقال الآخر: رأيتُ كأنني أخذت ثلاثةَ عناقيدَ من عنبٍ أبيض، فعصرتهن في ثلاث أوانٍ، ثم صفَّيته فسقيتُ الملكَ كعادتي فيما مضى^(٢)، فذلك قوله: ﴿إِنِّي أَرِنِّي أَغَصِرُ خَمْرًا﴾ أي: عنبًا، بلغة عُمان؛ قاله الضَّحَّاك^(٣). وقرأ ابن مسعود: «إِنِّي أَرَانِي أَغَصِرُ عِنْبًا»^(٤). وقال الأصمعي: أخبرني المعتمر بن سليمان أنه لقي أعرابيًا معه عنبٌ فقال له: ما معك؟ قال: خمر. وقيل: معنى «أَغَصِرُ خَمْرًا» أي: عنبَ خمرٍ، فحذف المضاف^(٥). ويقال: خَمْرَةٌ وَخَمْرٌ وَخُمُورٌ، مثل تمرَةٍ وَتَمْرٍ وَتُمُورٍ^(٦).

﴿قَالَ﴾ لهما يوسف: ﴿لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُزْقَانِي﴾ يعني لا يجيئكما غداً طعامٌ من منزلكما ﴿إِلَّا بَنَاتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ لتعلما أنني أعلم تأويلَ رؤياكما، فقالا: افعل! فقال لهما: يجيئكما كذا وكذا، فكان على ما قال، وكان هذا من علم الغيب خُصَّ به يوسف. وبيَّن أنَّ الله خَصَّه بهذا العلم؛ لأنه ترك ملةَ قومٍ لا يؤمنون بالله، يعني دين الملك.

ومعنى الكلام عندي: العلم بتأويل رؤياكما، والعلم بما يأتیکما من طعامكما، والعلم بدين الله، فاسمعوا أولاً ما يتعلَّق بالدين لتَهْتَدُوا، ولهذا لم يعبرَ لهما حتى دعاهما إلى الإسلام، فقال: ﴿يَصْدِجِي السِّجْنِ أَزْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَّاحِدُ

(١) أخرجه الطبري ١٣/١٥٨، وذكره الماوردي في النكت والعيون ٣/٣٧.

(٢) عرائس المجالس ص ١٢٥، وتفسير البغوي ٢/٤٢٥، وزاد المسير ٤/٢٢٣.

(٣) أخرجه الطبري ١٣/١٥٥.

(٤) المحتسب ١/٣٤٣.

(٥) الوسيط ٢/٦١٣، وخبر الأصمعي عن المعتمر ذكره أيضاً ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/٢٤٣.

(٦) الصحاح (خمر).

أَلْقَهُارُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿١﴾ الآية كلها، على ما يأتي.

وقيل: علم أن أحدهما مقتول، فدعاهما إلى الإسلام لیسعدا به.

وقيل: إن يوسف كره أن يعبر لهما ما سألاه؛ لِمَا عَلِمَهُ مِنَ الْمَكْرُوهِ عَلَى أَحَدِهِمَا، فأعرض عن سؤالهما، وأخذ في غيره فقال: ﴿لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ﴾ في النوم ﴿إِلَّا نَبَأُكُمَا﴾ بتفسيره في اليقظة؛ قاله السُّدِّيُّ^(١). فقالا له: هذا من فعل العَرَّافِينَ وَالْكَهَنَةِ! فقال لهما يوسف عليه السلام: ما أنا بكاهن، وإنما ذلك مما عَلَّمَنِيهِ رَبِّي^(٢)، إني لا أخبركما به تكهنًا وتنجيماً، بل هو بوحى من الله عز وجل.

وقال ابن جريج: كان الملك إذا أراد قتل إنسان صنع له طعاماً معروفاً، فأرسل به إليه، فالمعنى: لا يأتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ فِي الْيَقَظَةِ، فعلى هذا: «تُرْزَقَانِيهِ»، أي: يجري عليكما من جهة الملك أو غيره^(٣). ويحتمل: يرزقكما الله. قال الحسن: كان يخبرهما بما غاب، كعيسى عليه السلام^(٤). وقيل: إنما دعاهما بذلك إلى الإسلام، وجعل المعجزة التي يستدلان بها إخبارهما بالغيوب.

قوله تعالى: ﴿وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ لأنهم أنبياء على الحق ﴿مَا كَانُوا﴾ أي: ما ينبغي ﴿لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ «مِنْ» للتأكيد، كقولك: ما جاءني من أحد. وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا﴾ إشارة إلى عصمته من الزنى ﴿وَعَلَى النَّاسِ﴾ أي: على المؤمنين الذين عصمهم الله من الشرك.

وقيل: ﴿ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا﴾ إذ جعلنا أنبياء، ﴿وَعَلَى النَّاسِ﴾ إذ جعلنا الرسل إليهم. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ على نعمه بالتوحيد^(٥) والإيمان.

(١) بنحوه في المحرر الوجيز ٢٤٤/٣.

(٢) عرائس المجالس ص ١٢٦، وتفسير البغوي ٤٢٦/٢.

(٣) تفسير الطبري ١٦١/١٣ - ١٦٢.

(٤) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٣٧/٣.

(٥) في (م): على نعمة التوحيد.

قوله تعالى: ﴿يَصْدِجِي السَّجَنَ ۖ أَزْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَبَّيْتُمُوهَا أَنْثَرُ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَصْدِجِي السَّجَنَ﴾ أي: يا ساكني السجن، وذكر الضحبة لطول مقامهما فيه، كقولك: أصحاب الجنة، وأصحاب النار^(١). ﴿أَزْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ﴾ أي: في الصغر والكبر والتوسط، أو متفرقون في العدد. ﴿خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ وقيل: الخطاب لهما ولأهل السجن، وكان بين أيديهم أصنامٌ يعبدونها من دون الله تعالى، فقال ذلك إلزاماً للحجة، أي: آلهة شتى لا تضُرُّ ولا تنفع «خيرٌ أم الله الواحد القَهَّارُ» الذي قهر كل شيء، نظيره: ﴿اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩]. وقيل: أشار بالتفرق إلى أنه لو تعدد الإله، لتفرقوا في الإرادة ولعلَّ بعضهم على بعض، ويَبِّين أنها إذا تفرقت لم تكن آلهة.

قوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً﴾ بَيَّنَّ عجز الأصنام وضعفها، فقال: «مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ» أي: من دون الله، إلا ذوات أسماء لا معاني لها. ﴿سَبَّيْتُمُوهَا﴾ من تلقاء أنفسكم. وقيل: عنى بالأسماء المسميات، أي: ما تعبدون إلا أصناماً ليس لها من الإلهية شيء إلا الاسم؛ لأنها جمادات.

وقال: «مَا تَعْبُدُونَ» وقد ابتدأ بخطاب الاثنين؛ لأنه قصَدَ جميع من هو على مثل حالهما من الشُّرك^(٢).

﴿إِلَّا أَسْمَاءً سَبَّيْتُمُوهَا أَنْثَرُ وَأَبَاؤُكُمْ﴾ فحذف المفعول الثاني للدلالة، والمعنى: سَبَّيْتُمُوهَا آلهة من عند أنفسكم. ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ ذلك في كتاب. قال سعيد بن جبير:

(١) تفسير البغوي ٢/٤٢٧، والمحرم الوجيز ٣/٢٤٥.

(٢) تفسير البغوي ٢/٤٢٧.

﴿مِنْ سُلْطَانٍ﴾ أي: من حجة^(١). ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ الذي هو خالق الكل ﴿أَمَرَ آلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾. ﴿ذَلِكَ الَّذِي أَلْقَيْتُمْ﴾. أي: القويم. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَصْنَعِ الْبَحْرَ﴾ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ فُضِيَ الْأَمْرُ إِلَى الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٣٩﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾ أي: قال للسَّاقِي: إنك تُرُدُّ على عملك الذي كنت عليه مِن سَقْيِ الملك بعد ثلاثة أيام، وقال للآخر: وأما أنت فتُدْعَى إلى ثلاثة أيام، فتصلب فتأكل الطيرُ من رأسك، قال: والله ما رأيتُ شيئاً؛ قال: رأيتُ أو لم ترَ ﴿فُضِيَ الْأَمْرُ إِلَى الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾^(٢).

وحكى أهل اللغة أَنَّ سَقَى وَأَسْقَى لغتان بمعنى واحد، كما قال الشاعر:

سَقَى قَوْمِي بَنِي مَجْدٍ وَأَسْقَى نُمَيْرًا وَالْقَبَائِلَ مِنْ هَلَالٍ^(٣)

قال النحاس^(٤): الذي عليه أكثرُ أهل اللغة أَنَّ معنى سقاه: ناوله فشرب، أو صبَّ الماء في حلقه. ومعنى أسقاه: جعل له سُقياً؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٧].

الثانية: قال علماؤنا^(٥): إن قيل: مَنْ كَذَبَ في رؤياه ففسرها العابرُ له، أيلزمه حُكْمُهَا؟ قلنا: لا يلزمه، وإنما كان ذلك في يوسف لأنه نبي، وتعبيرُ النبي حُكْم، وقد قال: إنه يكون كذا وكذا، فأوجَدَ اللهُ تعالى ما أخبر كما قال، تحقيقاً لنبوته.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٣٠.

(٢) أخرج هذا الكلام بنحوه الطبري ١٣/ ١٦٧ - ١٦٩ عن عبد الله بن مسعود ؓ وغيره.

(٣) قائله ليبد، وقد سلف البيت ٢/ ١٣٥.

(٤) في إعراب القرآن ٢/ ٣٣٠، وما قبله منه.

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٠٧٥.

فإن قيل: فقد روى عبد الرزاق^(١)، عن مَعْمَر، عن قَتَادَةَ قال: جاء رجل إلى عمر ابن الخطاب فقال: إني رأيتُ كأنِّي أَعْشَبْتُ، ثم أْجْدَبْتُ، ثم أَعْشَبْتُ، ثم أْجْدَبْتُ، فقال له عمر: أنت رجلٌ تؤمن ثم تكفر، ثم تؤمن ثم تكفر، ثم تموت كافراً؛ فقال الرجل: ما رأيت شيئاً! فقال له عمر: قد قُضِيَ لك ما قُضِيَ لصاحب يوسف.

قلنا: ليست لأحدٍ بعد عمر؛ لأن عمر كان محدثاً، وكان إذا ظنَّ ظناً كان، وإذا تكلم به وقع، على ما ورد في أخباره، وهي كثيرة؛ منها: أنه دخل عليه رجلٌ، فقال له: أظنُّكَ كاهناً، فكان كما ظنَّ. خرَّجه البخاري^(٢).

ومنها: أنه سأل رجلاً عن اسمه، فقال له فيه أسماء النار كلها^(٣)، فقال له: أدرك أهلك فقد احترقوا، فكان كما قال. خرَّجه «الموطأ»^(٤). وسيأتي لهذا مزيد بيان في سورة الحجر^(٥) إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ ﴿٤١﴾

فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ﴾ «ظن» هنا بمعنى أيقن، في قول أكثر المفسرين. وفسره قتادة على الظن الذي هو خلاف اليقين؛ قال: إنما ظنَّ يوسفُ نجاته؛ لأنَّ العابرَ يظنُّ ظناً، وربُّكَ يخلق ما يشاء. والأول أصحُّ، وأشبهه بحال

(١) في مصنفه (٢٠٣٦٢).

(٢) في صحيحه (٣٨٦٦) مطولاً.

(٣) في أحكام القرآن: فقال له أسماء فيها النار كلها.

(٤) ٩٧٣/٢ عن يحيى بن سعيد عن عمر، وهو منقطع، وأخرجه عبد الرزاق (١٩٨٦٤) عن معمر، عن رجل، عن ابن المسيب. وعزاه ابن حجر في الإصابة ١٢٨/٢ لعبد الرزاق ولكنه قال: عن الزهري، عن ابن المسيب. وأخرجه أبو القاسم بن بشران من طريق موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما كما في الإصابة ١٢٨/٢.

(٥) عند تفسير الآية (٧٥) منها.

الأنبياء، وأنَّ ما قاله للفتَّين في تعبير الرؤيا كان عن وحي، وإنما يكون ظناً في حكم الناس، وأما في حقَّ الأنبياء فإنَّ حكمهم حقُّ كيفما وقع^(١).

الثانية: قوله تعالى: ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي: سيِّدك، وذلك معروف في اللغة أن يقال للسَّيد: رب؛ قال الأعشى:

رَبِّي كَرِيمٌ لَا يَكْذُرُ نِعْمَةً وَإِذَا تُنْوِشِدَ بِالْمَهَارِقِ أَنْشَدَا^(٢)
أي: اذكر ما رأيته، وما أنا عليه من عبارة الرؤيا للملك، وأخبره أنني مظلومٌ محبوسٌ بلا ذنب.

وفي «صحيح» مسلم وغيره عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: اسقِ رَبِّكَ، أطعم رَبِّكَ، وضئِ رَبِّكَ، وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: رَبِّي، وَلِيَقُلْ: سيِّدي، مولاي، وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عبيدِ أمتي، وليقل: فتاي فتاتي غلامي»^(٣).

وفي القرآن: ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ ﴿إِلَّا رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٥٠] ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ [يوسف: ٢٣] أي: صاحبي، يعني العزيز. ويقال لكلِّ مَنْ قام بإصلاح شيء وإتمامه: قد رَبَّه يَرْبُّهُ، فهو رَبٌّ له^(٤).

قال العلماء: قوله عليه الصلاة والسلام: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ» «وليقل» من باب الإرشاد إلى إطلاق اسم الأولى، لا أن إطلاق ذلك الاسم محرَّم؛ ولأنه قد جاء عنه عليه الصلاة والسلام: «أَنْ تَلِدَ الْأُمَةُ رَبَّهَا»^(٥) أي: مالِكها وسيِّدَها، وهذا موافقٌ

(١) ينظر تفسير الطبري ١٧١/١٣، والمحرر الوجيز ٢٤٦/٣ - ٢٤٧، وقول قتادة أخرجه الطبري ١٧١/١٣.

(٢) معاني القرآن للنحاس ٤٢٨/٣، والبيت في ديوان الأعشى ص ٢٧٩ برواية: ينشد. ووقع في (ظ) و(م): في المهارق، وكذا ذكره ابن قتيبة في المعاني الكبير ٥٤٧/١ وقال: في بمعنى الباء، وقال في شرحه: لا يكدرُ نعمةً بالمتن، وإذا ناشدوه بالمهارق - وهي كتب الأنبياء - أنشدهم، أي: أجابهم.

(٣) صحيح مسلم (٢٢٤٩): (١٥)، وأخرجه أحمد (٨١٩٧) والبخاري (٢٥٥٢)، وسلف ١٨٨/٥ مختصراً.

(٤) ينظر تهذيب اللغة ١٧٧/١٥، وإكمال المعلم ١٨٨/٧.

(٥) قطعة من حديث جبريل الطويل، أخرجه أحمد (٩٥٠١)، والبخاري (٥٠)، ومسلم (٩): (٥) عن أبي هريرة ؓ، وسلف ٢١١/١ برواية: ربها.

للقرآن في إطلاق ذلك اللفظ، فكان محلُّ التَّهْيِ في هذا الباب ألاَّ نَتَّخِذَ هذه الأسماء عادةً فنترك الأولى والأحسن.

وقد قيل: إنَّ قول الرجل: عبدي وأمتي، يجمع معنيين:

أحدهما: أنَّ العبودية بالحقيقة إنما هي لله تعالى، ففي قول الواحد من الناس لمملوكه: عبدي وأمتي، تعظيمٌ عليه، وإضافةٌ له إلى نفسه بما أضافه الله تعالى به إلى نفسه؛ وذلك غير جائز.

والثاني: أنَّ المملوك يدخله من ذلك شيءٌ في استصغاره بتلك التسمية، فيَحْمِلُهُ ذلك على سوء الطاعة.

وقال ابن شعبان في «الزاهي»: لا يقل السيد: عبدي وأمتي، ولا يقل المملوك: رَبِّي ولا رَبَّتِي^(١). وهذا محمولٌ على ما ذكرناه.

وقيل: إنما قال النبي ﷺ: «لا يقل العبدُ: رَبِّي، وليقل: سيدي»؛ لأنَّ الربَّ من أسماء الله تعالى المستعملة بالاتفاق، واختُلف في السيد؛ هل هو من أسماء الله تعالى أم لا؟ فإذا قلنا: ليس من أسماء الله، فالفرق واضح؛ إذ لا التباس ولا إشكال [يلزم من إطلاقه]. وإذا قلنا: إنه من أسمائه، فليس في الشهرة والاستعمال كللفظ الربِّ، فيحصل الفرق^(٢).

وقال ابن العربي^(٣): يحتمل أن يكون ذلك جائزاً في شرع يوسف عليه السلام.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿فَأَنسَلْهُ الشَّيْطَانُ ذَكَرَ رَبِّهِ﴾ الضمير في «فَأَنسَأَهُ» فيه

(١) إكمال المعلم ١٨٧/٧، وقال القاضي عياض بعد أن ذكر قول ابن شعبان: وذكر حديثاً في ذلك، وهو نحو مما في كتاب مسلم. اهـ وابن شعبان هو محمد بن القاسم بن شعبان العمّاري المصري، أبو إسحاق، شيخ المالكية، من ولد عمار بن ياسر، ويعرف بابن القُرْطِي نسبة إلى بيع القرط. توفي سنة (٣٥٥هـ). السير ٧٨/١٦.

(٢) المفهم ٥٥٤/٥، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٣) في أحكام القرآن ١٠٧٧/٣.

قولان:

أحدهما: أنه عائدٌ إلى يوسف عليه السلام، أي: أنساه الشيطان ذِكرَ الله عزَّ وجلَّ؛ وذلك أنه لما قال يوسف لساقى الملك - حين علم أنه سينجو ويعود إلى حالته الأولى مع الملك -: «أذْكَرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ» نسيَ في ذلك الوقت أن يشكو إلى الله ويستغيث به، وَجَنَحَ إلى الاعتصام بمخلوق^(١)؛ فعوقب باللبث.

قال عبد العزيز بنُ عمير الكِندي^(٢): دخل جبريل على يوسف النبي عليه السلام في السجن، فعرفه يوسف، فقال: يا أخا المنذرين! ما لي أراك بين الخاطئين؟! فقال جبريل عليه السلام: يا طاهرَ الطَّاهرين^(٣)! يُقرئك السلام ربُّ العالمين ويقول: أما اسْتَحْيَتْ إذ استغثت بالآدميين؟! وعزَّتي لألبثَّك في السجن بِضْعَ سنين؛ فقال: يا جبريل! أهو عني راضٍ؟ قال: نعم! قال: لا أبالي الساعة^(٤).

وروي أنَّ جبريل عليه السلام جاءه فعاتبه عن الله تعالى في ذلك وطوَّل سَجْنَه، وقال له: يا يوسف! مَنْ خَلَّصَكَ مِنَ القتل من أيدي إخوتك؟! قال: الله تعالى، قال: فمن أخرجك من الجُبِّ؟ قال: الله تعالى، قال: فمن عَصَمَكَ مِنَ الفاحشة؟ قال: الله تعالى، قال: فمن صَرَفَ عَنْكَ كَيْدَ النساء؟ قال: الله تعالى، قال: فكيف وَثَّقَتْ بمخلوق وتركت ربَّك فلم تسأله؟! قال: يا ربِّ، كلمةٌ زَلَّتْ مِنِّي، أسألك يا إله إبراهيم وإسحاق والشيخ يعقوب عليهم السلام أن ترحمَنِي؛ فقال له جبريل: فَإِنَّ عَقوبَتَكَ أن تلبثَ في السجن بِضْعَ سنين^(٥).

(١) المحرر الوجيز ٢/٢٤٧.

(٢) ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة ٤/٢٣٤ في الطبقة السادسة من أهل الشام، وقال: أصله من خُرَّاسان، لكنه سكن دمشق.

(٣) في (م): ابن الطاهرين.

(٤) تفسير أبي الليث ٢/١٦٣، وذكره الثعلبي في عرائس المجالس ص ١٢٧، والواحدي في الوسيط ٢/٦١٤ دون نسبة. وذكره البغوي ٢/٤٢٨ عن الحسن.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ٧/٢١٤٩ - ٢١٥٠ (١١٦٤٢) عن أنس رضي الله عنه بنحوه، وذكره بنحوه أيضاً مختصراً الثعلبي في عرائس المجالس ص ١٢٧.

وروى أبو سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «رَجِمَ الله يوسف، لولا الكلمة التي قال: ﴿أَذْكُرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ ما لبث في السجن بضْعَ سنين»^(١).

وقال ابن عباس: عوقب يوسف بطول الحبس بضع سنين لمَّا قال للذي نجا منهما: ﴿أَذْكُرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾، ولو ذَكَرَ يوسفُ ربَّه لخلَّصه^(٢).

وروى إسماعيل بن إبراهيم، عن يونس، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «لولا كلمة يوسف - يعني قوله: ﴿أَذْكُرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ - ما لبث في السجن ما لبث» قال: ثم يبكي الحسن ويقول: نحن ينزل بنا الأمرُ فنشكو إلى الناس^(٣).

وقيل: إنَّ الهاء تعود على النَّاجي، فهو النَّاسي، أي: أنسى الشيطان السَّاقِي أن يذكرَ يوسفَ لربِّه، أي: لسيِّده. وفيه حذف، أي: أنساه الشيطانُ ذِكْرَه لربه^(٤). وقد رجَّح بعض العلماء هذا القولَ فقال: لولا أنَّ الشيطان أنسى يوسفَ ذِكْرَ الله لَمَّا استحقَّ العقابَ باللبث في السجن؛ إذ النَّاسي غيرُ مؤاخَذ.

وأجاب أهل القول الأوَّل: بأنَّ النسيان قد يكون بمعنى التَّرك، فلمَّا ترك ذِكْرَ الله ودعاه الشيطان إلى ذلك عوقب.

ردَّ عليهم أهل القول الثاني بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَّا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥]، فدلَّ على أنَّ النَّاسِي هو السَّاقِي لا يوسفُ، مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢]، فكيف يصحُّ أن يضاف نسيانه إلى الشيطان، وليس له على الأنبياء سلطنة؟!

قيل: أمَّا النسيان فلا عصمةً للأنبياء عنه إلا في وجهٍ واحد، وهو الخبرُ عن الله

(١) أخرجه ابن حبان (٦٢٠٦)، وابن أبي حاتم ٢١٤٨/٧ (١١٦٣٤).

(٢) النكت والعيون ٤٠/٣، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢١٥٠/٧ (١١٦٤٣) دون قوله: ولو ذكر يوسف ربه لخلَّصه.

(٣) أخرجه أحمد في الزهد ص ١٠٣، والطبري ١٧٣/١٣.

(٤) تفسير البغوي ٤٢٨/٢.

تعالى فيما يبلغونه، فإنهم معصومون فيه، وإذا وقع منهم النسيانُ حيث يجوز وقوعه؛ فإنه يُنسب إلى الشيطان إطلاقاً، وذلك إنما يكون فيما أخبر الله عنهم [أو يخبرون به عن أنفسهم]، ولا يجوز لنا نحن ذلك فيهم^(١)؛ قال ﷺ: «نَسِيَ آدَمُ، فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ». وقال: «إنما أنا بشرٌ أنسى كما تنسون». وقد تقدّم^(٢).

الرابعة: قوله تعالى: ﴿فَلَيْتَ فِي السَّجَنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ البِضْعُ: قطعة من الدهر مختلفٌ فيها؛ قال يعقوبٌ عن أبي زيد: يقال: بَضِعَ وبِضِعَ، بفتح الباء وكسرِها^(٣)، قال أكثرهم: ولا يقال: بَضِعَ ومثّه، وإنما هو إلى التسعين^(٤).

وقال الهَرَوِيُّ: العرب تستعمل البِضْعَ فيما بين الثلاث إلى التسع. والبِضْعُ والبِضْعَةُ واحد، ومعناها: القطعة من العدد.

وحكى عن أبي عبيدة أنه قال^(٥): البضع ما دون نصفِ العقد. يريد ما بين الواحد إلى أربعة، وهذا ليس بشيء.

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر الصديق ﷺ: «وكم البِضْعُ؟» فقال: ما بين الثلاث إلى السبع، فقال: «اذهب فزايِدْ في الحَظَرِ»^(٦).

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٠٧٦ - ١٠٧٧، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٢) تقدم الحديث الأول ١/ ٢٩٣ - ٢٩٤، والحديث الثاني ٨/ ٤٢١.

(٣) بنحوه في إصلاح المنطق ص ٣٦، وتهذيب اللغة ١/ ٤٨٨.

(٤) هو في تفسير الطبري بنحوه ١٣/ ١٧٧.

(٥) المثبت من (ظ)، وفي غيرها: وحكى أبو عبيدة أنه قال، وينظر تهذيب اللغة ١/ ٤٨٨، والمحزر الوجيز ٣/ ٢٤٧.

(٦) الحَظَرُ: الذي يوضع في النضال والرهان، فمن سبق أخذه. تهذيب اللغة ٧/ ٢٢٤. وقال ذلك رسول الله ﷺ لأبي بكر ﷺ عند مراهنته المشركين في غلب الروم لفارس. وقد أخرجه الطبري ١٨/ ٤٥٥ - ٤٥٦ من حديث ابن مسعود ﷺ بلفظ: «اذهب فزايدهم وازدد ستين» وأخرجه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير عند تفسير أول آيات سورة الروم من حديث البراء بن عازب ﷺ بلفظ: «تعرض لهم وأعظم الخطر...». وأخرجه بنحوه أحمد (٢٤٩٥)، والترمذي (٣١٩١) و(٣١٩٣)، والنسائي في الكبرى (١١٣٢٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. قال الترمذي: حسن غريب. وأخرجه بنحوه =

وعلى هذا أكثر المفسرين، أنَّ البضع سبع؛ حكاه الثعلبي^(١). قال الماوردي: وهو قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقُطِرَب.

وقال مجاهد: من ثلاثٍ إلى تسع. وقاله الأصمعي. ابن عباس: من ثلاث إلى عشرة^(٢). وحكى الزجاج أنه ما بين الثلاث إلى الخمس. قال الفرّاء: والبضع لا يُذكر إلا مع العشرة والعشرين إلى التسعين، ولا يذكر بعد المئة^(٣).

وفي المدة التي لبث فيها يوسف مسجوناً ثلاثة أقاويل:

أحدها: سبع سنين؛ قاله ابن جريج وقتادة ووهب بن مُنَبِّه؛ قال وهب: أقام أيوب في البلاء سبع سنين، وأقام يوسف في السجن سبع سنين.

الثاني: اثنتا عشرة سنة؛ قاله ابن عباس.

الثالث: أربع عشرة سنة؛ قاله الضحاك^(٤).

وقال مقاتل، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: مكث يوسف في السجن خمساً وبضعاً. واشتقاقه من بضع الشيء، أي: قطعته، فهو قطعة من العدد، فعاقب الله يوسف بأن حُبِسَ سبع سنين، أو تسع سنين بعد الخمس التي مضت، فالبضع مدة العقوبة، لا مدة الحبس كله^(٥).

= أيضاً الترمذي (٣١٩٤) من حديث يّار بن مُكْرَم الأسلمي، وقال: صحيح حسن غريب. ولم يقع في أي من هذه الروايات أن البضع من الثلاث إلى السبع، وإنما وقع في بعضها أنه من الثلاث إلى التسع، وفي بعضها أنه مادون العشر. وكذا استدل به ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٤٧/٣ على أن البضع من الثلاث إلى التسع.

(١) في عرائس المجالس ص ١٢٧، وكذلك حكى الواحدي في الوسيط ٦١٤/٢، والبنوي ٤٢٨/٢.

(٢) النكت والعيون ٤٠/٣، وقول مجاهد أخرجه الطبري ١٧٦/١٣، وأخرج عن ابن عباس أن البضع ما دون العشرة، وكذا ذكره عنه البنوي ٤٢٨/٢.

(٣) النكت والعيون ٤٠/٣، وكلام الزجاج في معانيه ١١٢/٣، وقد رجح فيه قول مجاهد والأصمعي.

(٤) ذكر هذه الأقوال الماوردي في النكت والعيون ٤٠/٣ - ٤١، عدا قول وهب بن منبه، وسيأتي تخريج خبره.

(٥) ذكر الثعلبي في عرائس المجالس ص ١٢٧ نحوه عن الكلبي.

قال وهَّب بن مُثَبِّه: حُبِسَ يوسف في السجن سبع سنين، ومكث أيوب في البلاء سبع سنين، وعُذِّبَ بُخْتَنَصْرُ بالمشخ سبع سنين^(١).

وقال عبد الله بن راشد البصري^(٢) عن سعيد بن أبي عروبة: إِنَّ البضع ما بين الخمس إلى الاثنتي عشرة سنة.

الخامسة: في هذه الآية دليل على جواز التعلُّق بالأسباب وإن كان اليقين حاصلًا، فإنَّ الأمور بيد مُسَبِّبها، ولكنه جعلها سلسلة، ورَكَّبَ بعضها على بعض، فتحرَّيكها سُنَّة، والتعويلُ على المنتهى يقين. والذي يدلُّ على جواز ذلك نسبة ما جرى من النسيان إلى الشيطان، كما جرى لموسى في لقيا الحَضِر؛ وهذا يبيِّن فتأملوه^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا سَمَانُ الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنْتَ لِلرُّؤْيَا مَعْبُورًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ﴾ لَمَّا دنا فَرَجُ يوسف عليه السلام، رأى الملك رؤياه، فنزل جبريل، فسَلَّمَ على يوسف، وبشَّره بالفرج وقال: إِنَّ الله مُخْرِجُكَ من سجنك، ومُمْكِّنُ لك في الأرض، يَذِلُّ لك ملوكها، ويطيعك جبابرتها، ومُعْطِيكَ الكلمة العليا على إخوانك، وذلك بسبب رؤيا رآها الملك، وهي كَيْتٌ وكَيْت، وتأويلها كذا وكذا. فما لبث في السجن أكثر مما رأى الملك الرؤيا حتى خرج، فجعل الله الرؤيا أولاً ليوسف بلاءً وشدةً، وجعلها آخرًا بشري ورحمة.

وذلك أَنَّ الملك الأكبر الريَّان بن الوليد رأى في نومه كأنما خرج من نهرٍ يابس سبعُ بقراتٍ سِمَان، في أثرهنَّ سبعُ عِجَاف - أي: مهازيل - وقد أقبلت العِجَاف على

(١) أخرجه عبد الرزاق ٣٢٣/١، والطبري ١٧٥/١٣، ووقع عند عبد الرزاق: وعذب بختنصر حوّل في السبع سبع سنين، وعند الطبري مثله إلا أنه قال: يجول، بدل: حوّل.

(٢) لم تقف على ترجمته.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٠٧٧.

السَّمان، فأخذن بأذانهنَّ فأكلنَّهنَّ، إلَّا القرنين، ورأى سبعَ سنبلاتٍ خُضِرٍ قد أقبل عليهن سبعٌ يابساتٌ، فأكلنَّهنَّ حتى أتبن عليهنَّ، فلم يبقَ منهنَّ شيءٌ وهنَّ يابسات، وكذلك البقرُ كنَّ عِجافاً، فلم يزد فيهنَّ شيءٌ من أَكْلِهِنَّ السَّمان، فهالته الرؤيا، فأرسل إلى الناس وأهل العلم منهم والبَصَرِ بالكهانة والنَّجامة والعرافة والسَّحر، وأشراف قومهِ، فقال: «يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ»، فقَصَّ عليهم، فقال القوم: أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ^(١).

قال ابن جريج: قال لي عطاء: إنَّ أضغاث الأحلام: الكاذبة المخطئة من الرؤيا. وقال جُوَيْر، عن الضَّحَّاك، عن ابن عباس قال: إن الرؤيا: منها حقٌّ، ومنها أضغاث أحلام، يعني بها الكاذبة^(٢).

وقال الهَرَوِيُّ: قوله تعالى: ﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾ أي: أخلاط أحلام^(٣). والضَّغْث في اللغة: الحُزْمَة من الشيء، كالْبَقْل والكَلأ وما أشبههما، أي: قالوا: ليست رؤياك بيّنة، والأحلام: الرؤيا المختلطة^(٤).

وقال مجاهد: أضغاث الرؤيا: أهاولُها. وقال أبو عبيدة: الأضغاث: ما لا تأويلَ له من الرؤيا^(٥).

قوله تعالى: ﴿سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ﴾ حذفت الهاء من «سبع» فرقاً بين المذكَر والمؤنث. «سِمَانٍ» مِن نَعَبِ البقرات، ويجوز في غير القرآن: سبعٌ بقراتٍ سِمَاناً،

(١) بنحوه في عرائس المجالس ص ١٢٧، والوسيط ٦١٥/٢، وتفسير البغوي ٤٢٨/٢.

(٢) لم نقف عليه عن ابن عباس، وأخرج الطبري ١٨٠/١٣، من طريق جوير وغيره نحوه عن الضحاك قوله.

(٣) ذكر الماوردي في النكت والعيون ٤١/٣ هذا القول عن معمر وقتادة.

(٤) ينظر معاني القرآن للنحاس ٤٣١/٣، وتهذيب اللغة ٤/٨ - ٦.

(٥) النكت والعيون ٤٢/٣، وقول أبي عبيدة في كتابه مجاز القرآن ٣١٢/١. وقول مجاهد أخرجه الطبري

نَعْتُ لِلسَّبْعِ، وكذا خُضْرًا؛ قال الفَرَّاءُ: ومثله: ﴿سَبْعَ سَنَوَاتٍ طَبَاقًا﴾ [الملك: ٣] (١).
وقد مضى في سورة البقرة اشتقاقها ومعناها (٢).

وقال علي بن أبي طالب ؑ: المَعَزُ والبقر إذا دخلت المدينة، فإن كانت سِمَانًا فهي سِنِّي رخاء، وإن كانت عِجَافًا كانت شِدَادًا، وإن كانت المدينة مدينة بحرٍ وإِبَانٌ سفر، قدمت سفنٌ على عددها وحالها، وإِلَّا كانت فِتْنًا مُتَرَادِفَةً، كأنها وجوه البقر - كما في الخبر: «يُشَبِّهُ بَعْضُهَا بَعْضًا» (٣). وفي خبر آخر في الفتن: «كَأَنَّهَا صَيَاصِييُ البقر» (٤). يريد: لَتَشَابُهِهَا - إِلَّا أَنْ تَكُونَ صُفْرًا كُلُّهَا، فإنها أمراضٌ تدخل على الناس، وإن كانت مختلفة الألوان، شنيعة القرون، وكان الناس ينفرون منها، أو كان النار والدخان يخرج من أفواهها، فإنه عسكر أو غارة، أو عدوٌ يضرب عليهم وينزل بساحتهم (٥).

وقد تدلُّ البقرة على الزوجة والخادم والغلة والسنة؛ لما يكون فيها من الولد والغلة والنبات.

﴿يَاكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾ من عَجْفٍ يَعْجَفُ؛ على وزن: عَظُمَ يَعْظُمُ، وروي: عَجِفَ يَعْجَفُ؛ على وزن: حَمِدَ يَحْمَدُ.

قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّأُ الْكَلْبُ أَفْتَوِي فِي رُءُوسِي﴾ جَمْعُ الرُّوْيَا: رُؤَى، أي: أخبروني بحُكْمِ هذه الرؤيا. ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ العبارة مشتقة من عبور النهر، فمعنى عَبَرْتُ النهر: بلغت شاطئه، فعابِرُ الرؤيا يَعْبُرُ بما يؤول إليه أمرها. واللام في «الرؤيا»

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣٣١/٢، وكلام الفراء في معاني القرآن له ٤٧/٢.

(٢) ١٧٨/٢.

(٣) قطعة من حديث حذيفة ؑ أخرجه أحمد (٢٣٣٢٨) بلفظ: «فتن كقطع الليل المظلم يتبع بعضها بعضاً، تأتيكم مشبهة كوجوه البقر». وقد سلف بنحوه ١٨٨/٢.

(٤) أخرجه أحمد (١٧٠٠٤) من حديث عبد الله بن حوالة ؑ وصياصي البقر: قرونها. اللسان (صيص).

(٥) ذكر هذا الكلام في كتاب تفسير الأحلام المنسوب لابن سيرين ص ٢١٤ دون نسبة.

للتَّيِّبِينَ، أي: إن كنتم تَعْبُرُونَ، ثم بَيَّنَّ فقال: للرُّؤْيَا؛ قاله الزَّجَّاجُ^(١).

قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾ ﴿٤٤﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿أَضْغَتْ أَحْلَامٌ﴾ قال الفَرَّاءُ: ويجوز: أضغاث أحلام^(٢)؛ قال النحاس: النصبُ بعيد؛ لأنَّ المعنى: لم ترَ شيئاً له تأويلٌ، إنما هي أضغاث أحلام^(٣)، أي: أخلاط. وواحد الأضغاث ضِغْثٌ، يقال لكلِّ مختلِطٍ من بَقْلِ أو حشيشٍ أو غيرهما: ضِغْثٌ^(٤)؛ قال الشاعر:

كضِغْثٍ حُلِمَ غُرٌّ مِنْهُ حَالِمَةٌ^(٥)

﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: بتأويل الأحلام المختلطة^(٦). نَفَّوْا عن أنفسهم علمَ ما لا تأويلَ له، لا أَنَّهُمْ نَفَّوْا عن أنفسهم علمَ التأويل.

وقيل: نَفَّوْا عن أنفسهم علمَ التعبير. والأضغاثُ على هذا: الجماعاتُ من الرؤيا التي منها صحيحةٌ ومنها باطلة، ولهذا قال السَّاقِي: «أَنَا أُبَيِّنُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ»، فعَلِمَ أَنَّ القومَ عجزوا عن التأويل، لا أَنَّهُمْ ادَّعَوْا أَلَّا تأويلَ لها.

وقيل: إنهم لم يقصِّدوا تفسيراً، وإنما أرادوا مَحْوَهَا من صدر المَلِكِ حتى لا تَشْغَلَ بَالَهُ^(٧)، وعلى هذا أيضاً فعندهم علم.

(١) في معاني القرآن ١١٢/٣. قال الزمخشري في الكشاف ٣٢٣/٢: وَعَبَّرَ الرُّؤْيَا - بالتخفيف - هو الذي اعتمده الأَبَات.

(٢) يعني في اللغة، لا في القراءة، أي: رأيت أضغاث أحلام. معاني القرآن للفراء ٤٧/٢، وإعراب القرآن للنحاس ٣٣١/٣.

(٣) إعراب القرآن ٣٣١/٢.

(٤) معاني القرآن للنحاس ٤٣١/٣.

(٥) ذكره أبو عبيدة في مجاز القرآن ٣٥/١، والماوردي في النكت والعيون ٤٢/٣.

(٦) معاني القرآن للزجاج ١١٣/٣، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٣٣١/٣.

(٧) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٧٨/٣.

و«الأحلام» جمع حلم، والحلم بالضم: ما يراه النائم؛ تقول منه: حلم بالفتح واختلم، وتقول: حلمت بكذا وحلمته، قال:

فحلمتها وبنو رقيدة دونها لا يبعدن خيالها المحلوم^(١)
وأصله: الأناة، ومنه الحلم ضد الطيش؛ فقليل لما يرى في النوم: حلم؛ لأن النوم حالة أناة وسكون ودعة^(٢).

الثانية: في الآية دليل على بطلان قول من يقول: إن الرؤيا على أول ما تُعبر^(٣)؛ لأن القوم قالوا: «أضغاث أحلام» ولم تقع كذلك؛ فإن يوسف فسرها على سني الجذب والخصب، فكان كما عبر، وفيها دليل على فساد [الرواية] أن الرؤيا على رجل طائر، فإذا عبرت وقعت^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونْ﴾^(٥) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ يَسْمَانِ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ^(٦) ﴿٤١﴾
قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا﴾ يعني ساقى الملك. ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ أي: بعد

(١) الصحاح (حلم)، والبيت للأخطل، وهو في ديوانه ص ٨٨. ورقيدة: أبو حي من العرب يقال لهم: الرفيدات. اللسان (رفد).

(٢) النكت والعيون ٤٢/٣.

(٣) أخرج ابن ماجه (٣٩١٥) عن أنس بن مالك ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «... والرؤيا لأول عابر». قال الحافظ في الفتح ٤٣٢/١٢: وهو حديث ضعيف فيه يزيد الرقاشي، ولكن له شاهد أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه بسند حسن وصححه الحاكم عن أبي رزين العقيلي...، وينظر هذا الشاهد في التعليق الذي سيأتي.

(٤) أحكام القرآن للكميا ٢٣٢/٤، ونقله الكيا عن أحكام القرآن للجصاص ١٧٣/٣، وما سلف بين حاصرتين منهما: وقوله: الرؤيا على رجل طائر... هو حديث مرفوع أخرجه أحمد (١٦١٨٢) وأبو داود (٥٠٢٠) والترمذي (٢٢٧٩) وابن ماجه (٣٩١٤) من حديث أبي رزين العقيلي ؓ. قال الترمذي: حديث حسن صحيح. قال السندي في شرح سنن ابن ماجه ٤٥١/٢: قوله: «رجل طائر» بكسر الراء، كأنها معلقة بطائر، قيل: هذا مثل، والمراد أنها لا يستقر قرارها ما لم تعبر.

حين؛ عن ابن عباس وغيره^(١)، ومنه ﴿إِنَّ أُمَّةً مَّعْدُودَةً﴾ [هود: ٨] وأصله: الجملة من الحين.

وقال ابن درستويه^(٢): والأمة لا تكون الحين إلا على حذف مضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه، كأنه قال - والله أعلم - : وأذكر بعد حين أمة، أو بعد زمن أمة، وما أشبه ذلك، والأمة: الجماعة الكثيرة من الناس.

قال الأخفش: هو في اللفظ واحد، وفي المعنى جمع. وكل جنس من الحيوان أمة؛ وفي الحديث: «لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها»^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ﴾ أي: تذكر حاجة يوسف، وهي قوله: «أذكرني عند ربك». وقرأ ابن عباس فيما روى عفان، عن همام، عن قتادة، عن عكرمة، عنه: «وأذكر بعد أمه»؛ النحاس^(٤): والمعروف من قراءة ابن عباس وعكرمة والضحاك^(٥): «وأذكر بعد أمه»، بفتح الهمزة وتخفيف الميم، أي: بعد نسيان؛ قال الشاعر:

أُمِّهْتُ وَكُنْتُ لَا أُنْسَى حَدِيثاً كَذَاكَ الدَّهْرُ يُودِي بِالْعُقُولِ^(٦)
وعن شُبَيْل بن عَزْرَةَ الضُّبَيْعِي^(٧): «بعد أمه» بفتح الألف وإسكان الميم وهاء

(١) أخرجه الطبري ١٨١/١٣ - ١٨٤.

(٢) هو عبد الله بن جعفر بن درستويه بن المرزبان، أبو محمد الفارسي النحوي، تلميذ المبرد، وكان ناصراً لنحو البصريين، توفي سنة (٣٤٧هـ). السير ٥٣١/١٥.

(٣) الصحاح (أمم). والحديث أخرجه أحمد (١٦٧٨٨) وأبو داود (٢٨٤٥) والترمذي (١٤٨٦) والنسائي ١٨٥/٧ وابن ماجه (٣٢٠٥) من حديث عبد الله بن مغفل المزني. قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٤) في معاني القرآن ٤٣٢/٣، وما قبله منه، وذكر القراءة ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٦٤، وابن جني في المحتسب ٣٤٤/١.

(٥) قوله: والضحاك، ليس في معاني القرآن، وأخرج القراءة عنه وعن ابن عباس وعكرمة وغيرهم الطبري ١٨٤/١٣ - ١٨٦.

(٦) الصحاح (أمه).

(٧) اضطرب الاسم في النسخ الخطية، والمثبت من (م) وهو الصواب، قال الحافظ في التقریب: شُبَيْل - بالتصغير - بن عَزْرَةَ بفتح المهملة بعدها زاي ساكنة ثم راء، أبو عمرو البصري النحوي، وقال في التهذيب ١٥٢/٢: روى عن أنس وغيره، وقال ابن حبان: كان من أفاضل أهل البصرة وقرائهم. اهـ والقراءة - التي ستأتي - ذكرها عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٤٩/٣. وأخرجها الطبري ١٨٦/١٣ عن مجاهد.

خالصة. وهو مثل الأمّة، وهما لغتان، ومعناها: النسيان. ويقال: أمة يأمه أمها: إذا نسي؛ فعلى هذا: «وَأَذْكُرْ بَعْدَ أَمَةٍ»؛ ذكره النحاس^(١). ورجلٌ أمةٌ^(٢): ذاهبُ العقل.

قال الجوهري: وأما ما في حديث الزُّهري: «أمة» بمعنى: أقرّ واعترف، فهي لغةٌ غيرُ مشهورة^(٣).

وقرأ الأشهب العَقِيلِيّ: «بَعْدَ إِمَّةٍ»، أي: بعد نعمة، أي: بعد أن أنعم الله عليه بالنِّجاة^(٤).

ثم قيل: نسي الفتى يوسف؛ لقضاء الله تعالى في بقائه في السجن مُدة. وقيل: ما نسي، ولكنه خاف أن يذكّر الملك الذنب الذي بسببه حُبس هو والخبّاز، فقوله: «وَأَذْكُرْ» أي: ذكّر وأخبر.

قال النحاس^(٥): أصل اذْكُر: اذتكر، والذالُ قربةُ المخرج من التاء، ولم يَجُزْ إدغامُها فيها؛ لأنّ الذالَ مجهورةٌ، والتاء مهموسةٌ، فلو أدغموا ذهب الجهر، فأبدلوا من موضع التاء حرفاً مجهوراً، وهو الدال، وكان أولى من الطاء؛ لأنّ الطاء مُطَبَّقة، فصار: اذْكُر، فأدغموا الذال في الدال [فصار: اذْكُر. وحكى الخليل وسيبويه أنّ من العرب مَنْ يقول: اذْكُر، فيدغم الدال في الذال] لرخاوة الذال^(٦) ولينها.

ثم قال: «أَنَا أَنبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ» أي: أنا أخبركم. وقرأ الحسن: «أنا آتِيكُمْ

(١) في إعراب القرآن ٣٣١/٢، وقال السمين في الدر المصون ٥٠٨/٦: يقال: أمة يأمه أمها وأمها بفتح الميم وسكونها.

(٢) بعدها في (د) و(ف): ووامه، وفي (ز): وأمة، وفي (ظ): وأمة، والمثبت من (م). وجاء في تهذيب اللغة ٤٧٥/٦ عن الفراء: أمة الرجل فهو مأموه، وهو الذي ليس له عقل.

(٣) الصحاح (أمة). وحديث الزهري هو: من امتحن في حدٍّ فأمة ثم تبرأ، فليست عليه عقوبة: غريب الحديث لأبي عبيد ٤٧٧/٤.

(٤) المحتسب ٣٤٤/١، وهي أيضاً في القراءات الشاذة ص ٦٤.

(٥) في إعراب القرآن ٣٣١/٢، وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٦) في النسخ: الدال، والمثبت من إعراب القرآن، وهو الصواب لأن الدال من الحروف الشديدة.

بتأويله»، وقال: كيف ينبتهم العِلج؟! قال النحاس^(١): ومعنى: «أَنْبَتُكُمْ» صحيح حسن، أي: أنا أخبركم إذا سألتُ.

﴿فَارْسِلُون﴾ خَاطَبَ الْمَلِكَ وَلَكِنْ بِلَفْظِ التَّعْظِيمِ، أَوْ خَاطَبَ الْمَلِكَ وَأَهْلَ مَجْلِسِهِ. **يُوسُفُ** نَدَاءٌ مَفْرَدٌ، وَكَذَا **الصَّدِيقُ** أي: الْكَثِيرُ الصَّدَقُ^(٢). ﴿أَفَيْتَنَا﴾ أي: فَارْسَلُوهُ، فَجَاءَ إِلَى يُوسُفَ فَقَالَ: أَيُّهَا الصَّدِيقُ، وَسَأَلَهُ عَنْ رُؤْيَا الْمَلِكِ. ﴿لَعَلَّيْ أَنْجِعُ إِلَى آلَتَانِ﴾ أي: إِلَى الْمَلِكِ وَأَصْحَابِهِ. ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ التَّعْبِيرُ، أَوْ «لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ» مَكَانَكَ مِنَ الْفَضْلِ وَالْعِلْمِ فَتَخْرُجُ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ بِالنَّاسِ الْمَلِكَ وَحْدَهُ تَعْظِيماً لَهُ.

قوله تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُونَهُ فِي سَبِيلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ﴾ (٤٧)

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ﴾ لَمَّا أَعْلَمَهُ بِالرُّؤْيَا جَعَلَ يَفْسِّرُهَا لَهُ، فَقَالَ: السَّبْعُ مِنَ الْبَقَرَاتِ السَّمَانِ وَالسُّنْبُلَاتِ الْخَضِرِ سَبْعُ سِنِينَ مُخْصِبَاتٍ، وَأَمَّا الْبَقَرَاتُ الْعِجَافُ وَالسُّنْبُلَاتُ الْيَابِسَاتُ فَسَبْعُ سِنِينَ مُجْدِبَاتٍ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ أي: مُتَوَالِيَةً مُتَتَابِعَةً، وَهُوَ مُصَدَّرٌ عَلَى غَيْرِ الْمَصْدَرِ^(٣)؛ لِأَنَّ مَعْنَى «تَزْرَعُونَ»: تَدَابُونُ^(٤) كَعَادَتِكُمْ فِي الزَّرَاعَةِ سَبْعَ سِنِينَ. وَقِيلَ: هُوَ حَالٌ، أَي: دَائِبِينَ. وَقِيلَ: صِفَةٌ لِسَبْعِ سِنِينَ، أَي: دَائِبَةٌ.

وحكى أبو حاتم عن يعقوب: «دَأَبًا» بتحريك الهمزة، وكذا روى حفص عن

(١) في معاني القرآن ٣/ ٤٣٣، وما قبله منه، والقراءة ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٦٤.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٣١.

(٣) في (د) و(ز): الصدر.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٣٣. وهذا القول ذكره السمين في الدر المصون ٦/ ٥١٠ عن المبرد، وأنه من باب. قعدت القرفصاء. قال السمين: وفيه نظر؛ لأنه ليس نوعاً خاصاً به، بخلاف القرفصاء مع القعود، وذكر عن سيويه: أنه منصوب بفعل مقدر، تقديره: تدابون.

عاصم، وهما لغتان، وفيه قولان: قول أبي حاتم: أنه من دَبَّ. قال النحاس^(١): ولا يعرف أهل اللغة إلا دَابَّ. والقول الآخر: أنه حُرِّكَ لأنَّ فيه حرفاً من حروف الحلق؛ قاله الفراء، قال^(٢): وكذلك كلُّ حرفٍ فُتِحَ أوَّلُهُ وسُكِّنَ ثانيه، فتثقله جائزٌ إذا كان ثانيه همزة، أو هاء، أو عيناً، أو غيناً، أو حاء، أو خاء، وأصله العادة؛ قال:

كدأبك من أمِّ الحوِيرث قبلها

وقد مضى في «آل عمران» القول فيه^(٣).

﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾ قيل: لئلا يتسوس، وليكون أبقي؛ وهكذا الأمر في ديار مصر. ﴿إِلَّا قَلِيلاً مِّمَّا نَأْكُلُونَ﴾ أي: استخرجوا ما تحتاجون إليه بقدر الحاجة؛ وهذا القول منه أمر، والأول خبر. ويَحْتَمِلُ أن يكون الأول أيضاً أمراً وإن كان الأظهر منه الخبر؛ فيكون معنى: «تَزْرَعُونَ»، أي: ازرعوا^(٤).

الثانية: هذه الآية أصلٌ في القول بالمصالح الشرعية؛ التي هي: حفظ الأديان، والنفوس، والعقول، والأنساب، والأموال، فكلُّ ما تَضَمَّنَ تحصيلَ شيءٍ من هذه الأمور فهو مصلحة، وكلُّ ما يُفَوِّت شيئاً منها فهو مفسدة، ودفعه مصلحة، ولا خلاف أنَّ مقصود الشرائع إرشاد الناس إلى مصالحهم الدنيوية؛ ليحصلَ لهم التمكن من معرفة الله تعالى وعبادته الموصِلَتَيْنِ إلى السعادة الأخروية، ومراعاة ذلك فضلٌ من الله عزَّ وجلَّ ورحمةٌ رَحِمَ بها عباده، من غير وجوبٍ عليه ولا استحقاق؛ هذا مذهب كافة المحققين من أهل السُنَّة أجمعين؛ وبسطه في أصول الفقه.

(١) في إعراب القرآن ٣٣٢/٢، وما قبله منه. وينظر تفسير البغوي ٤٢٩/٢، وقراءة حفص في السبعة ص ٣٤٩، والتيسير ص ١٢٩.

(٢) في معاني القرآن ٤٧/٢.

(٣) ٣٥/٥، وسلف البيت ثَمَّ، وهو لامرئ القيس، وعجزه: وجارتها أم الرباب بمأسل، وهو في ديوانه ص ٩ برواية: كوينك، بدل: كدأبك.

(٤) الكشف ٣٢٥/٢، وقال السمين في الدر المصون ٥٠٩/٦: ولا مدخل لأمره لهم بالزراعة؛ لأنهم يزرعون على عادتهم، أمرهم أو لم يأمرهم.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ﴾ ﴿٤٨﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ يعني السنين المُجْدِبَاتِ. ﴿يَأْكُلْنَ﴾ مجاز، والمعنى: يأكل أهلهن. ﴿مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ أي: ما أذخرتم لأجلهن^(١)؛ ونحوه قول القائل:

نهارك يا مغرور سهو وغفلة وليلك نوم والردى لك لازم^(٢)
والنهار لا يسهو، والليل لا ينام؛ وإنما يُسهى في النهار، ويُنَام في الليل.

وحكى زيد بن أسلم عن أبيه: أن يوسف كان يضع طعام اثنين، فيقرّبه إلى رجلٍ واحدٍ، فيأكل بعضه، حتى إذا كان يومُ قرّبه له فأكله كله، فقال يوسف: هذا أوّل يومٍ من السبع الشّداد^(٣).

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ نصب على الاستثناء. ﴿مِمَّا تَحْصِنُونَ﴾ أي: ممّا تحبسون لتزرعوا^(٤)؛ لأن في استبقاء البذر تحصينَ الأقوات. وقال أبو عبيدة: تُحْرِزون^(٥). وقال قتادة: «تُحْصِنُونَ»: تدّخرون^(٦). والمعنى واحد، وهو يدلّ على جواز احتكار الطعام إلى وقت الحاجة.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣٣٢/٢.

(٢) نسبه ابن رشيقي في العمدة ٣٧/١، والعاملي في الكشكول ٣٨٢/٢ لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى. وجاء في الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري ص ٣٣١، وصفة الصفوة لابن الجوزي ١٢٤-١٢٥ أن عمر كان يتمثل به. وهو في تفسير الطبري ١٩٠/١٣ - ١٩١ دون نسبة.

(٣) النكت والعيون ٤٤/٣.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣٣٢/٢.

(٥) مجاز القرآن ٣١٣/١، وأخرجه الطبري ١٩٢/١٣ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) أخرجه الطبري ١٩١/١٣ - ١٩٢.

الثانية: هذه الآية أصلٌ في صحّة رؤيا الكافر، وأنها تُخرَج على حَسَب ما رأى، لا سِيَّما إذا تعلَّقت بمؤمن، فكيف إذا كانت آيةً لنبيٍّ، ومعجزةً لرسول، وتصديقاً لمصطفى للتبليغ، وحقّةً للواسطة بين الله جلّ جلاله وبين عباده^(١)؟

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعَصِرُونَ﴾ ﴿٤٨﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ﴾ هذا خبرٌ من يوسف عليه السلام عمّا لم يكن في رؤيا الملك، ولكنه من علم الغيب الذي آتاه الله؛ قال قتادة: زاده الله عِلْمَ سَنَةٍ لم يسألوه عنها^(٢)، إظهاراً لفضله، وإعلاماً بمكانه من العلم ومعرفة.

﴿فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾ من الإغاثة أو الغوث؛ غَوَّثَ الرجل، قال: واغوثاه، والاسم: الغوث والغوث والغوث، واستغاثني فلانٌ فأغثته، والاسم: الغياث؛ صارت الواو ياءً لكسرة ما قبلها. والغيث: المطر، وقد غاث الغيث الأرض، أي: أصابها؛ وغاث الله البلادَ يَغِيثُها غَيْثاً، وَغِيثَتِ الأرضُ تُغَاثُ غَيْثاً، فهي أرضٌ مَغِيثَةٌ ومَغْيُوثَةٌ^(٣). فمعنى: «يُغَاثُ النَّاسُ»: يُمَطَّرُونَ.

﴿وَفِيهِ يَعَصِرُونَ﴾ قال ابن عباس: يعصرون الأعناب واللّٰهْن؛ ذكره البخاري^(٤).

وروى حجاجٌ عن ابن جريج قال: [قال ابن عباس:] يعصرون العنب خمرًا، والسَّمِسِمَ دُهْنًا، والزيتون زيتًا^(٥).

وقيل: أراد حلبَ الألبان لكثرتها^(٦)؛ ويدلُّ ذلك على كثرة النبات.

وقيل: «يَعَصِرُونَ» أي: يَنْجُونَ، وهو من العُصرة، وهي المَنْجاة؛ قاله

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٠٧٧.

(٢) أخرجه الطبري ١٣/١٩٣، وما بعده من كلام ابن العربي في أحكام القرآن ٣/١٠٧٨.

(٣) الصحاح (غوث) و(غيث).

(٤) قبل الحديث (٦٩٩٢)، ووصله الطبري ١٣/١٩٤.

(٥) أخرجه الطبري ١٣/١٩٤، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٦) أخرجه الطبري ١٣/١٩٥ عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: فيه يحلبون.

أبو عبيدة^(١). والعَصْر بالتحريك: المَلَجَا والمَنْجَاة، وكذلك العُضْرَة؛ قال أبو زُبَيْد^(٢):

صَادِيًا يَسْتَنْغِيثُ غَيْرَ مُغَاثٍ وَلَقَدْ كَانَ عُضْرَةَ الْمَنْجُودِ
وَالْمَنْجُود: الْفَرْع^(٣). واعتصرتُ بفلان وتَعَصَّرْتُ، أي: التجأت إليه. قال أبو
الغوث: «يُعَصِّرُونَ»: يَسْتَعْلِلُونَ؛ وهو من عَصَرَ العنب. واعتصرت ماله، أي:
استخرجته من يده^(٤).

وقرأ عيسى: «تُعَصِّرُونَ» بضمّ التاء وفتح الصاد^(٥)، ومعناه: تُمَطِّرُونَ؛ من قول
الله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّابًا﴾ [النبا: ١٤]، وكذلك معنى «تُعَصِّرُونَ» بضمّ التاء
وكسر الصاد، فيمن قرأه كذلك^(٦).

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِي بِهَذَا قُلُوبًا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسَأَلَهُ
مَا بَالُ اللَّيْسَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ
رَأَوْنَهُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ
الْعَزِيزِ الْفَنِّ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَأَوْنَهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِي بِهَذَا﴾ أي: فذهب الرسول فأخبر الملك، فقال:

(١) في (د) و(م): قال أبو عبيدة، والمثبت من باقي النسخ، وقول أبي عبيدة في مجاز القرآن ٣١٣/١، ونقله المصنف عنه بواسطة الجوهري في الصحاح (عصر) وما بعده منه. وقد رده الطبري ٢٠٥/١٣ وقال: يكفي من الشهادة على خطئه خلافه قول جميع أهل العلم من الصحابة والتابعين.

(٢) حرمله بن منذر الطائي، ويقال: المنذر بن حرمله. كان نصرانياً واختلف في إسلامه. وهو أحد المعمرين، يقال عاش مئة وخمسين سنة. الإصابة ١٥٤/١١. والبيت في تفسير الطبري ١٣/١٩٧، وأمالى البيهقي ص ٨، والصحاح (عصر)، والاقتضاب ص ٣٩٠.

(٣) معاني القرآن للنحاس ٤٣٥/٣.

(٤) الصحاح (عصر)، وأبو الغوث الأعرابي ممن سمع منهم الجوهري، وقد ورد ذكره في الصحاح في غير موضع.

(٥) ذكرها أبو حيان في البحر ٣١٦/٥، وذكر عن عيسى أيضاً أنه قرأ: «يُعَصِّرُونَ» بضم الياء وفتح الصاد، وكذلك ذكرها عنه ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٦٤، وابن جني في المحتسب ٣٤٤/١.

(٦) لم تقف على هذه القراءة.

اثتوني به ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ﴾ أي: يأمره بالخروج، قال: ﴿آتِجْ إِلَيَّ رَيْكَ فَسْأَلُهُ مَا بَالُ النَّسْوَةِ﴾ أي: حال النسوة ﴿الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾. فأبى أن يخرج إلا أن تصح براءته عند الملك مما قُذِفَ به، وأنه حُبِسَ بلا جُرْمٍ^(١).

وروى الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْكَرِيمَ ابْنَ الْكَرِيمِ ابْنَ الْكَرِيمِ ابْنَ الْكَرِيمِ يَوْسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ». قال: «وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السَّجْنِ مَا لَبِثْتُ، ثُمَّ جَاءَنِي الرَّسُولُ، أَجَبْتُ»، ثم قرأ: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ آتِجْ إِلَيَّ رَيْكَ فَسْأَلُهُ مَا بَالُ النَّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾؛ قال: «وَرَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى لَوْطٍ، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ إِذْ قَالَ: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَيَّ رُكْنٌ شَدِيدٌ﴾ فَمَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ نَبِيًّا إِلَّا فِي ذُرْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ»^(٢).

وروى البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يَرْحُمُ اللَّهُ لَوْطًا لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ، وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السَّجْنِ مَا لَبِثْتُ يَوْسُفُ لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ، وَنَحْنُ أَحَقُّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لَهُ: ﴿أَوَلَمْ تَوْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنْ لَيْطَمِينَ قَلْبِي﴾» [البقرة: ٢٦٠]^(٣).
وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «يَرْحَمُ اللَّهُ أَخِي يَوْسُفَ، لَقَدْ كَانَ صَابِرًا حَلِيمًا، وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السَّجْنِ مَا لَبِثْتُ؛ أَجَبْتُ الدَّاعِيَ وَلَمْ أَلْتَمِسِ الْعُذْرَ»^(٤). وروي نحوه هذا الحديث من طريق عبد الرحمن بن القاسم صاحب مالك، في كتاب التفسير من «صحيح» البخاري، وليس لابن القاسم في الديوان غيره^(٥). وفي رواية الطبري^(٦):

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٣٢، وينظر أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٠٧٩.

(٢) سنن الترمذي (٣١١٦)، وهو عند أحمد (٨٣٩١). وقد سلفت القطعة الأخيرة منه ص ١٨١ من هذا الجزء. والعبارة الأولى أخرجها أحمد (٨٣٩١) من حديث أبي هريرة ؓ، وأخرجها أيضاً (٥٧١٢)، والبخاري (٣٣٩٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) صحيح البخاري (٤٦٩٤)، وهو عند أحمد (٨٣٢٨ - ٨٣٢٩)، ومسلم (١٥١). وسلف ٤/ ٣١٠.

(٤) أخرج نحوه أحمد (٨٥٥٤)، والطبري ١٣/ ٢٠٠ - ٢٠١، والحاكم ٢/ ٣٤٦. من حديث أبي هريرة ؓ. وكلام المصنف في المحرر الوجيز ٣/ ٢٥٢.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٢٥٢، والحديث المشار إليه عند البخاري هو حديث أبي هريرة السالف.

(٦) في تفسيره ١٣/ ٢٠٠.

«يرحم الله يوسف، لو كنت أنا المحبوس ثم أرسل إليّ، لخرجتُ سريعاً، إن كان لحليماً ذا أناة».

وقال ﷺ: «لقد عجبْتُ من يوسف وصبره وكرمه، والله يغفر له حين سئل عن البقرات، لو كنت مكانه لَمَا أخبرْتُهم حتى أَشْتَرِطَ أن يُخْرِجُونِي، ولقد عجبْتُ منه حين أتاه الرسولُ، ولو كنتُ مكانه لبادَرْتُهم الباب»^(١).

قال ابن عطية^(٢): كان هذا الفعلُ من يوسف عليه السلام أناةً وصبراً، وطلباً لبراءة الساحة، وذلك أنه - فيما روي - خشي أن يخرج وينال من الملك مرتبةً، ويسكت عن أمر ذنبه صفحاً، فيراه الناس بتلك العين أبداً ويقولون: هذا الذي راود امرأة مولاة، فأراد يوسف عليه السلام أن يبين براءته، ويحقق منزلته^(٣) من العفة والخير، وحينئذٍ يخرج للإحطاء والمنزلة؛ فلهذا قال للرسول: ارجع إلى ربك وقل له: ما بال النسوة؟ ومقصودُ يوسف عليه السلام إنما كان: وقل له: يستقصي عن ذنبي، وينظر في أمري، هل سُجنت بحق أو بظلم. ونكّب عن [ذكر] امرأة العزيز حُسْنَ عشرة، ورعايةً لذيّام الملك العزيز له.

فإن قيل: كيف مدح النبي ﷺ يوسف بالصبر والأناة وترك المبادرة إلى الخروج، ثم هو يذهب بنفسه عن حالة قد مدح بها غيره؟

فالوجه في ذلك: أن النبي ﷺ إنما أخذ لنفسه وجهاً آخر من الرأي، له جهةٌ أيضاً من الجودة، يقول: لو كنتُ أنا لبادرت بالخروج، ثم حاولت بيان عذري بعد ذلك. وذلك أن هذه القصص والنوازل [إنما] هي معرضةٌ لأن يقتدي الناسُ بها إلى يوم القيامة، فأراد رسول الله ﷺ حَمْلَ الناس على الأخْزَم من الأمور؛ وذلك أن

(١) أخرجه الطبري ٢٠٢/١٣، والطبراني (١١٦٤٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، والكلام في أحكام القرآن لابن العربي ١٧٩/٣.

(٢) في المحرر الوجيز ٢٥٢/٣. وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٣) في المحرر الوجيز: أن تبين براءته، وتحقق منزلته.

الْمُتَعَمِّقُ^(١) في مثل هذه النازلة، التارك فرصة الخروج من مثل ذلك السجن، ربما نتج له [من ذلك] البقاء في سجنه، وانصرفت نفس مُخْرِجِه عنه، وإن كان يوسف عليه السلام أَمِنَ من ذلك بعلمه من الله؛ فغيره من الناس لا يأمن ذلك، فالحالة التي ذهب النبي ﷺ بنفسه إليها حالة حزم [ومدح]، وما فعَلَه يوسف عليه السلام صبرٌ عظيمٌ وجَلْدٌ.

قوله تعالى: ﴿فَسَأَلُهُ مَا بَأَلَ النَّسْوَةِ﴾ ذَكَرَ النَّسَاءَ جملةً ليدخل فيهنَّ امرأة العزيز، مدخل العموم بالتلويح، حتى لا يقع عليها تصريح؛ وذلك حُسْنُ عِشْرَةٍ وأدب، وفي الكلام محذوف، أي: فاسأله أن يتعرَّفَ ما بَأَلَ النَّسْوَةِ.

قال ابن عباس: فأرسل الملك إلى النسوة وإلى امرأة العزيز - وكان قد مات العزيز - فدعاهنَّ فـ ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ﴾ أي: ما شأنكنَّ ﴿إِذْ رَاوَدَتْهُنَّ يُوسُفُ عَنْ نَفْسِهِ﴾ وذلك أن كلَّ واحدةٍ منهنَّ كلَّمت يوسف في حقِّ نفسها، على ما تقدَّم^(٢)، أو أراد قول كلِّ واحدة: قد ظلمت امرأة العزيز، فكان ذلك مراودةً منهنَّ. ﴿قُلْتُ حَسْبُ اللَّهِ﴾ أي: معاذ الله ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾ أي: زنى. ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْفَنِّ حَصَصَ الْحَقُّ﴾ لما رأت إقراره ببراءة يوسف، وخافت أن يشهدنَّ عليها إن أنكرت، أقرت هي أيضاً، وكان ذلك لطفاً من الله بيوسف.

و«حَصَصَ الْحَقُّ» أي: تبين وظهر، وأصله: حَصَصَ، فقيل: حَصَصَ، كما قال: كُبِّبُوا، في كُبِّبُوا، وكَفَّكَ في كَفَّكَ؛ قاله الزَّجَّاج وغيره^(٣).

وأصل الحَصِّ: استئصال الشيء؛ يقال: حصَّ شعره: إذا استأصله جزاً^(٤)؛ قال

(١) في النسخ: وذلك أن ترك الحزم في مثل، والمثبت من المحرر الوجيز، ويعني بالمتعمق: المبالغ في الأمر المتشدّد فيه.

(٢) ص ٣٤٠ من هذا الجزء.

(٣) ذكره عن الزجاج الماوردي في النكت والعيون ٤٧/٣، وقاله أيضاً النحاس في معاني القرآن ٨٩/٥، والطبري ٢٠٦/١٣.

(٤) تفسير الطبري ٢٠٦/١٣.

أبو قيس بن الأُسَلْت^(١):

قَدْ حَصَّتْ الْبَيْضَةُ رَأْسِي فَمَا أَطْعَمُ نَوْمًا غَيْرَ تَهْجَاعٍ
وَسَنَّةٌ حَصَاءٌ، أَي: جرداء لا خير فيها؛ قال جرير:

يَأْوِي إِلَيْكُمْ بَلَا مَنْ وَلَا جَحْدٍ مَنْ سَاقَهُ السَّنَةُ الْحَصَاءُ وَالذَّيْبُ
كأنه أراد أن يقول: والضَّبُعُ، وهي السنة المُجْدِبَةُ؛ فوضع الذئب موضعه لأجل
القافية^(٢)؛ فمعنى «حَصَّصَ الْحَقُّ»، أي: انقطع عن الباطل بظهوره وثباته؛ قال:

أَلَا مُبْلَغٌ عَنِّي خِدَاشًا فَإِنَّهُ كَذُوبٌ إِذَا مَا حَصَّصَ الْحَقُّ ظَالِمٌ^(٣)
وقيل: هو مشتق من الحِصَّة؛ فالمعنى: بانت حِصَّةُ الْحَقِّ من حِصَّةِ الْبَاطِلِ^(٤).
وأصله^(٥) مأخوذ من قولهم: حَصَّ شَعْرَهُ: إِذَا اسْتَأْصَلَ قِطْعَةً [فظهرت مواضعه]،
ومنه: الحِصَّةُ مِنَ الْأَرْضِ: إِذَا قُطِعَتْ مِنْهَا. وَالْحِصْحِصُ بِالْكَسْرِ: التُّرَابُ
وَالْحِجَارَةُ؛ ذكره الجوهري^(٦).

﴿أَنَا زَوْدَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ وهذا القول منها - وإن لم يكن سأل عنه -
إظهاراً لتوبتها، وتحقيقاً لصدق يوسف وكرامته؛ لأنَّ إقرار المُقَرَّرِ على نفسه أقوى من
الشهادة عليه، فجمع الله تعالى ليوسف لإظهار صدقه الشهادة والإقرار، حتى لا
يخامرَ نفساً ظنّاً، ولا يخالطها شكٌّ^(٧).

(١) الأوسي، مختلف في اسمه، فقيل: صيفي، وقيل: الحارث، وقيل: عبد الله، وقيل صرمة. واختلف
في إسلامه. الإصابة ٣٠٩/١١. والبيت في المفضليات ص ٢٨٤، والكمال ٢٣٥/١، والصحاح
(حصص)، والخزانة ٤١١/٣.

(٢) الصحاح (حصص)، والبيت في ديوان جرير ٣٤٩/١ (بشرح ابن حبيب).

(٣) النكت والعيون ٤٧/٣.

(٤) معاني القرآن للزجاج ١١٥/٣، وزاد المسير ٢٣٧/٤.

(٥) وقع قبلها في النسخ قوله: وقال مجاهد وقتادة، وهو وهم، والكلام في النكت والعيون ٤٧/٣، وما
سيرد بين حاصرتين منه.

(٦) في الصحاح (حصص).

(٧) النكت والعيون ٤٧/٣.

وَشَدَّدْتَ النُّونَ فِي «خَطْبُكَ» و«رَاوَدْتَن» لأنها بمنزلة الميم والواو في المذكر^(١).

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ (٥١) وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٢﴾

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ اختلف فيمن قاله، فقيل: هو من قول امرأة العزيز، وهو متصل بقولها: ﴿الْفَنِّ خَصَصَ الْحَقُّ﴾^(٢) أي: أقررت بالصدق ليعلم أنني لم أخنه ﴿بِالْغَيْبِ﴾ أي^(٣): بالكذب عليه، ولم أذكره بسوء وهو غائب، بل صدقت وحدثت عن الخيانة، ثم قالت: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾ بل أنا راودته، وعلى هذا هي كانت مُقَرَّةً بالصانع، ولهذا قالت: ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وقيل: هو من قول يوسف، أي: قال يوسف: ذلك الأمر الذي فعلته من ردِّ الرسول «لِيَعْلَمَ» العزيز ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾. قاله الحسن وقتادة وغيرهما^(٤).

ومعنى «بالغيب»: وهو غائب. وإنما قال يوسف ذلك بحضرة المَلِكِ، وقال: «لِيَعْلَمَ» على الغائب؛ توقيراً للملك. وقيل: قاله إذ عاد إليه الرسول وهو في السجن بعدد، قال ابن عباس: جاء الرسول إلى يوسف عليه السلام بالخبر وجبريل معه يحدثه، فقال يوسف: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ أي: لم أخن سيدي بالغيب؛ فقال له جبريل عليه السلام: يا يوسف، ولا حين حَلَلْتَ الإِزَارَ، وجلست مجلس الرجل من المرأة؟! فقال يوسف: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾ الآية^(٥). وقال السدي: إنما قالت له امرأة العزيز: ولا حين حَلَلْتَ سراويلك يا يوسف؟! فقال

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٣٢.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٥٤.

(٣) قوله: ﴿بِالْغَيْبِ﴾، أي، من (م).

(٤) تفسير الطبري ١٣/ ٢٠٧ - ٢٠٨، والنكت العيون ٣/ ٤٧.

(٥) سلف في الصفحة ٣١٢ من هذا الجزء، وينظر ما ذكرنا ثمة من ردود العلماء على هذا الخبر وما شابهه من الأخبار التي تنافي عصمة الأنبياء.

يوسف: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾^(١).

وقيل: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ﴾ من قول العزيز، أي: ذلك ليعلم يوسف أنني لم أخنه بالغيب، وأنني لم أغفل عن مُجازاته على أمانته^(٢). ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْغَالِبِينَ﴾ معناه: أن الله لا يهدي الخائنين بكيدهم^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾ قيل: هو من قول المرأة. وقال القشيري: فالظاهر أن قوله: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ﴾ وقوله: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾ من قول يوسف.

قلت: إذا احتمل أن يكون من قول المرأة؛ فالقول به أولى حتى نبري يوسف من حلّ الإزار والسراويل، وإذا قدرناه من قول يوسف؛ فيكون مما خطر بقلبه، على ما قدّمناه من القول المختار في قوله: ﴿وَهُمْ فِيهَا﴾ [الآية: ٢٤].

قال أبو بكر الأنباري^(٤): من الناس من يقول: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ من كلام امرأة العزيز، لأنه متصل بقولها: ﴿أَنَا زَوْدْتُهُ عَنْ نَفْسِي وَإِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ وهذا مذهب الذين ينفون الهم عن يوسف عليه السلام، فمن بنى على قولهم قال: من قوله: ﴿قَالَتْ أَمَرْتُ الْعَزِيزَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ كلام متصل ببعضه ببعض، ولا يكون فيه وقف تام على حقيقة، ولسنا نخtar هذا القول ولا نذهب إليه.

وقال الحسن: لما قال يوسف: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ كره نبي الله أن يكون قد زكى نفسه فقال: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾^(٥) لأن تزكية النفس مذمومة، قال الله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النجم: ٣٢]، وقد بيّناه في «النساء»^(٦).

(١) النكت والعيون ٤٨/٣، وتفسير البغوي ٤٣١/٢.

(٢) زاد المسير ٢٤٠/٤.

(٣) النكت والعيون ٤٧/٣.

(٤) في إيضاح الوقف والابتداء ٧٢٤/٢ - ٧٢٥.

(٥) زاد المسير ٢٤١/٤.

(٦) ٤٠٧/٦ وما بعدها.

وقيل: هو من قول العزيز، أي: وما أبرئ نفسي من سوء الظن بيوسف^(١).
﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ أي: مُشْتَهِيَةٌ له. ﴿إِلَّا مَا رَجَحَ رَبِّي﴾ في موضع نصب بالاستثناء^(٢)، و«ما» بمعنى مَنْ، أي: إلا مَنْ رَجَحَ ربي فعصمه، و«ما» بمعنى مِنْ كثير، قال الله تعالى: ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣]. وهو استثناء منقطع؛ لأنه استثناء المرحوم بالعصمة من النفس الأماراة بالسوء^(٣). وفي الخبر عن النبي ﷺ أنه قال: «ما تقولون في صاحبٍ لكم؛ إن أنتم أكرمتموه وأطعتمتموه وكسوتموه أفضى بكم إلى شرِّ غاية، وإن أهتموه وأعريتموه وأجعتتموه أفضى بكم إلى خير غاية» قالوا: يا رسول الله، هذا شرُّ صاحب في الأرض. قال: «فوالذي نفسي بيده، إنها لَنفوسكم التي بين جنوبكم»^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِي بِهِ؟ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِي بِهِ؟ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي﴾ لَمَّا ثَبِتَ لِلْمَلِكِ بَرَاءَتُهُ مِمَّا نُسِبَ إِلَيْهِ، وَتَحَقَّقَ فِي الْقِصَّةِ أَمَانَتُهُ، وَفَهِمَ أَيْضاً صَبْرَهُ وَجَلْدَهُ؛ عَظُمَتْ مَنَزَلَتُهُ عِنْدَهُ، وَتَيَقَّنَ حَسَنَ خِلَالِهِ قَالَ: «أَتُؤْنِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي». فَاَنْظُرْ إِلَى قَوْلِ الْمَلِكِ أَوَّلًا - حِينَ تَحَقَّقَ عِلْمُهُ -: ﴿أَتُؤْنِي بِهِ؟﴾ [يوسف: ٥٠] فَقَطْ، فَلَمَّا فَعَلَ يَوْسُفُ مَا فَعَلَ ثَانِيًا قَالَ: ﴿أَتُؤْنِي بِهِ؟ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي﴾^(٥).

وَرُوي عَنْ وَهَبِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: لَمَّا دُعِيَ يَوْسُفُ وَقَفَ بِالْبَابِ، فَقَالَ: حَسْبِي رَبِّي مِنْ خَلْقِهِ، عَزَّ جَارُهُ، وَجَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ. ثُمَّ دَخَلَ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ نَزَلَ

(١) زاد المسير ٢٤١/٤.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣٣٣/٢.

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٢٥٤/٣، وتفسير البغوي ٤٣١/٢، وتفسير الرازي ١٥٧/١٨.

(٤) لم تقف عليه، والله أعلم بصحته.

(٥) المحرر الوجيز ٢٥٥/٣.

عن سريرته فخرَّ له ساجداً، ثم أقعده الملك معه على سريرته فقال: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾. ﴿قَالَ﴾ له يوسف: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ﴾ للخزائن ﴿عَلِيمٌ﴾ بوجوه تصرفاتها^(١). وقيل: حافظ للحساب، علیم بالأسن^(٢).

وفي الخبر: «يرحم الله أخي يوسف، لو لم يقل: اجعلني على خزائن الأرض لاستعمله من ساعته، ولكن أخر ذلك سنة»^(٣).

وقيل: إنما تأخر تملكه إلى سنة؛ لأنه لم يقل: إن شاء الله^(٤).

وقد قيل في هذه القصة: إن يوسف عليه السلام لما دخل على الملك قال: اللهم إني أسألك بخيرك من خيريه، وأعوذ بك من شره وشر غيره، ثم سلم على الملك بالعربية، فقال: ما هذا اللسان؟! قال: هذا لسان عمي إسماعيل، ثم دعا له بالعبرانية، فقال: ما هذا اللسان؟! قال: لسان آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وكان الملك يتكلم بسبعين لساناً، فكلما كلم يوسف^(٥) بلسان أجابه يوسف بذلك اللسان، فأعجب الملك أمره، وكان يوسف إذ ذاك ابن ثلاثين سنة، ثم أجلسه على سريرته وقال: أحب أن أسمع منك رؤيائي، قال يوسف: نعم أيها الملك، رأيت سبع بقرات سمان شهباً غراً حسناً^(٦)، كشف لك عنهن النيل، فطلعن عليك من شاطئه تشخب أخلاقها لبناً، فبينما أنت تنظر إليهن وتتعجب من حسنهن إذ نضب النيل، فغار ماؤه،

(١) عرائس المجالس ص ١٢٨ - ١٢٩ ، وتفسير البغوي ٢/ ٤٣١ - ٤٣٢ .

(٢) تفسير الطبري ١٣/ ٢١٩ ، وزاد المسير ٤/ ٢٤٣ .

(٣) أخرجه الثعلبي في عرائس المجالس ص ١٢٩ - ١٣٠ من طريق إسحاق بن بشر، عن جوير، عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً، ومن طريق الثعلبي أخرجه الواحدي في الوسيط ٢/ ٦١٨ ، قال الحافظ ابن حجر في الكافي الشاف ص ٩٠ : وهذا إسناد ساقط.

(٤) ينظر زاد المسير ٤/ ٢٤٣ - ٢٤٤ .

(٥) في (م): فكلما تكلم الملك، والمثبت موافق لعرائس المجالس ص ١٢٩ ، وهذه القصة بطولها فيه وفي تفسير البغوي ٢/ ٤٣١ - ٤٣٢ ، وهي التي تكلم في إسنادها الحافظ ابن حجر كما سلف.

(٦) كذا في النسخ: شهباً غراً حسناً، وفي عرائس المجالس وتفسير البغوي: شهب غراً حسان.

وبدا أُسَّهُ، فخرج من حَمَمِهِ وَوَحَلَهُ سَبْعُ بَقَرَاتٍ عِجَافٍ شُعْبٌ غُبِرٌ مُقْلَصَاتِ الْبَطُونِ، ليس لهنَّ ضُرُوعٌ ولا أَخْلَافٌ، لهنَّ أَنْيَابٌ وَأَضْرَاسٌ، وَأَكْفٌ كَأَكْفِ الْكِلَابِ، وخراطيمُ كخراطيمِ السَّيَّاعِ، فاختلطنَ بالسَّمانِ، فافترسنهنَّ افتراسَ السَّيَّاعِ، فأكلنَ لِحُومَهُنَّ، ومَزَّقْنَ جُلُودَهُنَّ، وحَطَّطْنَ عِظَامَهُنَّ، وَمَشَّشْنَ^(١) مُخْهِنَّ، فبينما أنتَ تنظر وتتعجب كيف غَلَبْنَهُنَّ وهنَّ مهازل، ثم لم يظهر فيهنَّ^(٢) سِمَنٌ ولا زيادة بعد أكلهنَّ! إذا بسبعِ سَنَابِلٍ خُضِرَ طَرِيَاتٍ نَاعِمَاتٍ مَمْتَلَنَاتٍ حَبًّا وَمَاءً، وإلى جانبهنَّ سَبْعُ يَابَسَاتٍ ليس فيهنَّ ماءٌ ولا خُضرةٌ في مَنِيَّتٍ واحدٍ، عروقهِنَّ في الثرى والماء، فبينما أنتَ تقول في نفسك: أيُّ شيء هذا؟! هؤلاء خُضِرَ مُثْمَرَاتٍ، وهؤلاء سودَّ يَابَسَاتٍ، والمَنِيَّتُ واحدٍ، وأصولُهُنَّ في الماء، إذ هَبَّتْ رِيحٌ فَذَرَّتْ الْأَوْرَاقَ مِنَ الْيَابَسَاتِ السُّودَ عَلَى الْخُضِرِ الْمُثْمَرَاتِ، فَأَشْعَلَتْ فِيهِنَّ النَّارَ، فَأَحْرَقَتْهُنَّ، فَصِرْنَ سَوْدَاءَ مُعْبِرَاتٍ، فانتبهتَ مذعوراً أيها الملك، فقال الملك: واللَّهِ، ما شأنُ هذه الرؤيا وإن كانت عجباً بأعجبَ مما سمعتُ منك! فما ترى في رؤياي أيها الصديق؟ فقال يوسف: أرى أن تجمع الطعامَ، وتزرع زرعاً كثيراً في هذه السنين المُخَصَّبة، فإنك لو زَرَعْتَ عَلَى حَجَرٍ أَوْ مَدَرٍ لَنَبَتِ، وأظهر اللهُ فِيهِ النَّمَاءَ والبركةَ، ثم ترفع الزرع بقصبه وسنبله، وتبني له المخازنَ الْعِظَامَ، فيكون القصب والسنبُلُ عِلَاقاً للدوابِّ، وحِجَةً للناسِ، وتَأْمُرُ النَّاسَ فِيرْفَعُونَ مِنْ طَعَامِهِمْ إِلَى أَهْرَائِكَ^(٣) الْخُمْسَ، فَيَكْفِيكَ مِنَ الطَّعَامِ الَّذِي جَمَعْتَهُ لِأَهْلِ مِصْرَ وَمَنْ حَوْلَهَا، وَيَأْتِيكَ الْخَلْقُ مِنَ النُّوَاحِي يَمْتَارُونَ مِنْكَ، وَيَجْتَمِعُ عِنْدَكَ مِنَ الْكُنُوزِ مَا لَمْ يَجْتَمِعْ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ، فقال الملك: ومن لي بتدبير هذه الأمور؟ ولو جَمَعْتُ أَهْلَ مِصْرَ جَمِيعاً مَا أَطَاقُوا، ولم يكونوا فِيهِ أَمْنَاءُ، فقال يوسف عليه السلام عند ذلك: ﴿أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ أي: على خزائن أرضك، وهي جمعُ خِزَانَةٍ،

(١) التمشيش: استخراج المَخ. القاموس المحيط (مشش).

(٢) في (ز) و(ف) و(م): منهن.

(٣) الأهراء، جمع: هُرَي، وهو بيت كبير يُجمع فيه طعام السلطان. القاموس المحيط (هرو).

ودخلت الألف واللام عوضاً من الإضافة، كقول النابغة:

لهم شِيمَةٌ لم يُعْطِهَا اللهُ غَيْرُهُمْ مِنْ الْجُودِ وَالْأَخْلَامِ غَيْرُ كَوَاذِبٍ^(١)

قوله تعالى: ﴿أَسْتَخْلِفْهُ لِنَفْسِي﴾ جزم لأنه جواب الأمر^(٢)؛ وهذا يدل على أن قوله: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ جرى في السجن. ويحتمل أنه جرى عند الملك، ثم قال في مجلس آخر: ﴿أَتَتُونِي بِوَيْءٍ﴾ تأكيداً ﴿أَسْتَخْلِفْهُ لِنَفْسِي﴾ أي: أجعله خالصاً لنفسي، أفوض إليه أمر مملكتي، فذهبوا فجاءوا به، ودلّ على هذا: ﴿قَلَمَّا كَلَمْتُهُ﴾ أي: كلّم الملك يوسف، وسأله عن الرؤيا فأجاب يوسف، ف ﴿قَالَ﴾ الملك: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ أي: متمكّن نافذ القول، «أمين» لا تخاف غدرأ^(٣).

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا﴾

فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ قال سعيد بن منصور: سمعت مالك بن أنس يقول: مصرُ خِزَانَةُ الأرض، أما سمعت إلى قوله: ﴿أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾^(٤) أي: على حفظها، فحذف المضاف. ﴿إِنِّي حَفِيظٌ﴾ لما وُلِّيت ﴿عَلَيْمٌ﴾ بأمره^(٥). وفي التفسير: إني حاسبٌ كاتب، وأنه أول من كتب في القراطيس^(٦). وقيل: «حَفِيظٌ» لتقدير الأقوات، «عَلِيمٌ» بسني المجاعات^(٧). قال

(١) ديوان النابغة ص ١٢، وفيه: عواذب، بدل: كواذب، وسلف البيت ١٧١/٤ وقوله: الأحلام: جمع حلم، وهو الأناة والعقل. اللسان (حلم).

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣٣٣/٢.

(٣) المصدر السابق.

(٤) لم تقف عليه عند سعيد بن منصور، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٥٦/٣ عن مالك.

(٥) الوسيط ٦١٨/٢.

(٦) ذكره العسكري في الأوائل ٢٠٢/٢.

(٧) عرائس المجالس ص ١٢٩.

جُوبير، عن الضَّحَّاك، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «رَحِمَ اللَّهُ أَخِي يوسُفَ لو لم يقل: اجعلني على خزائن الأرض، لاستعمله من ساعته، ولكن أَّخَر ذلك عنه سنَّة»^(١).

قال ابن عباس: لَمَّا انصرفت^(٢) السَّنَةُ من يوم سأل الإمارة؛ دعاه المَلِكُ، فتَوَجَّه ورَدَّاه بسيفه، ووضع له سريراً من ذهب، مُكَلَّلًا بالدُّرِّ والياقوت، وضرب عليه حُلَّة من إِسْتَبْرَق، وكان طولُ السرير ثلاثين ذراعاً وعرضُه عشرة أذرع، عليه ثلاثون فراشاً وستون مِرْفَقَةً^(٣)، ثم أمره أن يخرج، فخرج متَوَجَّأً، لونه كالثلج، ووجهه كالقمر، يرى الناظرُ وجهه في^(٤) صفاء لون وجهه، فجلس على السرير، ودانت له الملوك، ودخل الملكُ بيته مع نسائه، وفَوَّضَ إليه أمرَ مصر، وعزل قطفيرَ عما كان عليه، وجعل يوسفَ مكانه^(٥).

قال ابن زيد: كان لفرعون ملكٍ مصر خزائنُ كثيرةٌ غير الطعام، فسَلَّمَ سلطانه كُلَّهُ إليه^(٦)، وهلك قطفير تلك الليالي، فزَوَّج الملكُ يوسفَ راعيلَ امرأة العزيز، فلما دخل عليها قال: أليس هذا خيراً مما كنت تريدين؟! فقالت: أيها الصديق، لا تَلُمْنِي، فإني كنت امرأةً حسنة ناعمة كما ترى، وكان صاحبي لا يأتي النساء، وكنت كما جعلَكَ اللَّهُ مِنَ الحُسْنِ، فَعَلَّبَنِي نَفْسِي. فوجدَهَا يوسفُ عذراءً، فأصابها، فولدت له رجلين: إفراثيم بن يوسف، ومنشا بن يوسف^(٧).

(١) سلف ص ٣٧٨ من هذا الجزء. وسلف ذكر قول الحافظ ابن حجر فيه: إن إسناده ساقط.

(٢) في (م): انصرفت.

(٣) المرفقة: المخدَّة. القاموس المحيط (رفق).

(٤) في (د) و(ف) و(م): من.

(٥) عرائس المجالس ص ١٣٠، وتفسير البغوي ٢/٤٣٢ - ٤٣٣.

(٦) أخرجه الطبري ١٣/٢١٨.

(٧) عرائس المجالس ص ١٣٠، وتفسير البغوي ٢/٤٣٣.

وقال وَهَبْ بِنْتُ مُنَبِّهٍ: إنما كان تزويجه زليخاء امرأة العزيز بين دخلتي الإخوة، وذلك أن زليخاء مات زوجها ويوسف في السجن، وذهب مالهَا وَعَمِيَ بصرُهَا بكاءً على يوسف، فصارت تَتَكَفَّفُ النَّاسَ، فمنهم مَنْ يرحمها ومنهم مَنْ لا يرحمها، وكان يوسف يركب في كلِّ أسبوع مرةً في موكب زُهاء مئة ألف من عظماء قومه، ف قيل لها: لو تعرَّضتِ له لعله كان يُسَعِّفُك بشيء، ثم قيل لها: لا تفعلين، فربما ذكر بعض ما كان منك من المُرَاوِدَةِ والسَّجْنِ فَيُسَيِّءُ إِلَيْكَ، فقالت: أنا أعلمُ بِخُلُقِ حَبِيبِي مِنْكُمْ. ثم تركته حتى إذا ركب في موكبه؛ قامت فنادت بأعلى صوتها: سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ الْمُلُوكَ عبيدًا بمعصيتهم، وجعل العبيدَ ملوكًا بطاعتهم، فقال يوسف: ما هذه؟ فَأَتَوَا بها، فقالت: أنا التي كُنْتُ أَخْدُمُكَ على صدورِ قَدَمَيَّ^(١)، وَأَرْجُلُ جُمُتِكَ بِيَدَيَّ، وَتَرَبَّيْتُ فِي بَيْتِي، وَأَكْرَمْتُ مَثْوَاكَ، لَكِنْ فَرَطَ مَا فَرَطَ مِنْ جَهْلِي وَعُتُوِّي، فَذُقْتُ وَبَالَ أَمْرِي، فَذَهَبَ مَالِي، وَتَضَعَّضَ رَكْنِي، وَطَالَ ذُلِّي، وَعَمِيَ بَصْرِي، وَبَعْدَ مَا كُنْتُ مَغْبُوطَةً أَهْلَ مِصْرَ؛ صِرْتُ مَرْحُومَتَهُمْ، أَتَكْفَفُ النَّاسَ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَرْحَمُنِي، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَرْحَمُنِي، وَهَذَا جَزَاءُ الْمَفْسُودِينَ. فبكى يوسف بكاءً شديدًا، ثم قال لها: هل بقيتَ تجددين مما كان في نفسك من حُبِّكَ لِي شَيْئًا؟ فقالت: وَاللَّهِ لِنَظَرَةٍ إِلَى وَجْهِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا، لَكِنْ نَاوَلَنِي صَدْرَ سَوْطِكَ. فناولها فوضعتَه على صدرها، فوجدَ للسَّوْطِ فِي يَدِهِ اضْطِرَابًا وَارْتِعَاشًا مِنْ خَفَقَانِ قَلْبِهَا، فبكى ثم مضى إِلَى مَنْزِلِهِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا رَسُولًا: إِنْ كُنْتَ أَيْمًا تَزَوَّجْنَاكَ، وَإِنْ كُنْتَ ذَاتَ بَعْلٍ أَغْنِيْنَاكَ، فقالت للرسول: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ أَنْ يَسْتَهْزِئَ بِي الْمَلِكُ، لَمْ يُرْذِنِي أَيَّامَ شَبَابِي وَغَنَائِي وَمَالِي وَعِزِّي، أَفِيرِيدُنِي الْيَوْمَ وَأَنَا عَجُوزٌ عَمِيَاءُ فَقِيرَةٌ؟! فَأَعْلَمَهُ الرَّسُولُ بِمَقَالَتِهَا، فَلَمَّا رَكِبَ فِي الْأُسْبُوعِ الثَّانِي تَعَرَّضَتْ لَهُ، فَقَالَ لَهَا: أَلَمْ يُبَلِّغْكَ الرَّسُولُ؟ فقالت: قَدْ أَخْبَرْتُكَ أَنَّ نَظْرَةً وَاحِدَةً إِلَى وَجْهِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا. فَأَمْرُهَا، فَأَصْلَحَ مِنْ شَأْنِهَا وَهَيْئَتِهَا، ثُمَّ رُفِّقَتْ إِلَيْهِ، فَقَامَ يُوسُفُ يَصْلِي وَيَدْعُو اللَّهَ، وَقَامَتْ وَرَاءَهُ،

(١) فِي (ظ): كُنْتُ أَقْدَمُكَ عَلَى صُدُورِ قَوْمِي، وَفِي (ز) وَ(ف): أَنَا الَّذِي كُنْتُ أَخْدُمُكَ عَلَى صُدُورِ قَوْمِي.

فسأل الله تعالى أن يعيدَ إليها شبابها وجمالها وبصرها، فردَّ الله عليها شبابها وجمالها وبصرها حتى عادت أحسنَ ما كانت يوم راودته، إكراماً ليوسف عليه السلام لما عَفَّ عن محارم الله، فأصابها، فإذا هي عذراء^(١)، فسألها، فقالت: يا نبيَّ الله، إن زوجي كان عِينياً لا يأتي النساء، وكنت أنت من الحُسن والجمال بما لا يُوصف، قال: فعاشا في حَفْضِ عيشٍ، في كل يوم يُجدد الله لهما خيراً، وولدت له ولدين: إفرائيم ومنشا^(٢).

وفيما روي أن الله تعالى ألقى في قلب يوسف من محبتها أضعاف ما كان في قلبها، فقال لها: ما شأنك لا تُحِبِّينِي كما كنتِ في أول مرة؟ فقالت: لما ذقتُ محبةَ الله تعالى شغلني ذلك عن كل شيء^(٣).

الثانية: قال بعضُ أهل العلم: في هذه الآية ما يُبيح للرجل الفاضل أن يعمل للرجل الفاجر والسلطان الكافر، بشرط أن يعلم أنه يفوض إليه في فعلٍ لا يُعارضه فيه^(٤)، فيصلح منه ما شاء؛ وأما إن كان عمله بحسب اختيار الفاجر وشهواته وفجوره، فلا يجوز ذلك.

وقال قوم: إن هذا كان ليوسف خاصةً، وهذا اليومَ غيرُ جائز. والأول أولى إذا كان على الشرط الذي ذكرناه. والله أعلم.

قال الماوردي^(٥): فإن كان المُوَلِّي ظالماً فقد اختلف الناس في جواز الولاية من

(١) قال العلامة الآلوسي في تفسيره ٥/١٣: وشاع عند القُصَّاص أنها عادت شابةً بكرًا إكراماً له عليه السلام.. وهذا مما لا أصل له، وخبر تزوجها أيضاً مما لا يُعَوَّل عليه عند المحدثين.

(٢) ذكر هذه القصة ابن الجوزي في المنتظم ٣١٥/١ بنحوها، وذكر في آخرها أنها ولدت اثني عشر ولداً. وذكر ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٥٦/٣ قسماً منها، ثم قال: وروي في نحو هذا من القصص ما لا يوقف على صحته ويطول الكلام بسوقه.

(٣) لم تقف عليه.

(٤) في (ز) و(ظ) و(ف): في فصل لا يعارض فيه، وفي المحرر الوجيز ٢٥٦/٣ (والكلام منه): في فصل ما لا يعارض فيه، والمثبت من (د) و(م).

(٥) في النكت والعيون ٥٠/٣، وما بين حاصرتين الآتي منه.

قِيلَ على قولين:

أحدهما: جوازها إذا عمل بالحق فيما تقلده؛ لأن يوسف وُلِّي من قبل فرعون، ولأن الاعتبار في حقه بفعله؛ لا بفعل غيره.

الثاني: أنه لا يجوز ذلك؛ لما فيه من تولي الظالمين بالمعونة لهم، وتزكيتهم بتنفيذ^(١) أعمالهم، فأجاب من ذهب إلى هذا المذهب عن ولاية يوسف من قبل فرعون بجوابين:

أحدهما: أن فرعون يوسف كان صالحاً، وإنما الطاعى فرعون موسى.

الثاني: أنه نظر [له] في أملاكه دون أعماله، فزالت عنه التبعة فيه.

قال الماوردي^(٢): والأصح من إطلاق هذين القولين أن يفصل ما يتولاه من جهة الظالم على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما يجوز لأهله فعله من غير اجتهاد في تنفيذه؛ كالصدقات والزكوات، فيجوز تولي من جهة الظالم، لأن النص على مستحقه قد أغنى عن الاجتهاد فيه، وجواز تفرد أربابه به قد أغنى عن التقليد.

والقسم الثاني: ما لا يجوز أن يتفردوا به، ويلزم الاجتهاد في مضره، كأموال الفئء، فلا يجوز تولي من جهة الظالم؛ لأنه يتصرف بغير حق، ويجتهد فيما لا يستحق.

والقسم الثالث: ما يجوز أن يتولاه أهله^(٣)، وللاجتهاد فيه مدخل، كالقضايا والأحكام، فعقد التقليد [فيه] محلل، فإن كان النظر تنفيذاً للحكم بين متراضيين، وتوسطاً بين مجبورين؛ جاز، وإن كان إلزاماً إجباراً لم يجز.

(١) في (م): بتقلده.

(٢) في النكت والعيون ٥١/٣.

(٣) في (م): لأهله، ووقع في (ف): ما لا يجوز أن يتولاه لأهله.

الثالثة: ودلت الآية أيضاً على جواز أن يخطب الإنسان عملاً يكون له أهلاً^(١)، فإن قيل: فقد روى مسلم، عن عبد الرحمن بن سُمرة، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا عبد الرحمن، لا تسأل الإمارة؛ فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها»^(٢).

وعن أبي بُردة، قال: قال أبو موسى: أقبلت إلى النبي ﷺ ومعني رجلان من الأشعريين، أحدهما عن يميني، والآخر عن يساري، فكلاهما سأل العمل، والنبي ﷺ يستاك، فقال: «ما تقول يا أبا موسى - أو يا عبد الله بن قيس -» قال: قلت: والذي بعثك بالحق، ما أطلعاني على ما في أنفسهما، وما شعرتُ أنهما يطلبان العمل، قال: وكأنني أنظر إلى سواكه تحت شفتيه وقد قلصت، فقال: «لن، أو: لا نستعمل على عملنا من أراد» وذكر الحديث، خرَّجه مسلم أيضاً وغيره^(٣).

فالجواب: أولاً: أن يوسف عليه السلام إنما طلب الولاية لأنه علم أنه لا أحد يقوم مقامه في العدل والإصلاح وتوصيل الفقراء إلى حقوقهم، فرأى أن ذلك فرض متعين عليه، فإنه لم يكن هناك غيره، وهكذا الحكم اليوم؛ لو عَلِمَ إنسان من نفسه أنه يقوم بالحق في القضاء أو الحسبة، ولم يكن هناك من يصلح ولا يقوم مقامه؛ لتعين ذلك عليه، ووجب أن يتولّاها ويسأل ذلك، ويخبر بصفاته التي يستحقّها به من العلم والكفاية وغير ذلك، كما قال يوسف عليه السلام، فأما لو كان هناك من يقوم بها ويصلح لها، وعَلِمَ بذلك فالأولى ألا يطلب؛ لقوله عليه الصلاة والسلام لعبد الرحمن: «لا تسأل الإمارة». وأيضاً، فإن في سؤالها والحرص عليها مع العلم بكثرة آفاتها وصعوبة التخلص منها دليل على أنه يطلبها لنفسه ولأغراضه، ومن كان هكذا يُوشك أن تغلب عليه نفسه فيهلك، وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «وكل إليها»، ومن أبأها لعلمه بآفاتها، ولخوفه من التقصير في حقوقها [و] فرّ منها، ثم إن

(١) النكت والعيون ٥٠/٣.

(٢) صحيح مسلم (١٦٥٢)، وهو عند أحمد (٢٠٦١٨)، والبخاري (٦٦٢٢).

(٣) صحيح مسلم ١٤٥٦/٣ (١٧٣٣): (١٥)، وهو عند أحمد (١٩٦٦٦)، والبخاري (٢٢٦١).

ابتلي بها، فيرجى له التخلص منها، وهو معنى قوله: «أَعَيْنَ عَلَيْهَا»^(١).

الثاني: أنه لم يقل: إني حبيب كريم، وإن كان كما قال النبي ﷺ: «الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم»^(٢) ولا قال: إني جميل مليح، إنما قال: ﴿إِنِّي حَفِيزٌ عَلَيْهِ﴾، فسألها بالحفظ والعلم، لا بالنسب والجمال.

الثالث: إنما قال ذلك عند من لا يعرفه فأراد تعريف نفسه، وصار ذلك مستثنى من قوله تعالى: ﴿فَلَا تُرْكُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [النجم: ٣٢].

الرابع: أنه رأى ذلك فرضاً مُتَعِيناً عليه؛ لأنه لم يكن هنالك غيره^(٣)، وهو الأظهر، والله أعلم.

الرابعة: ودلت الآية أيضاً على أنه يجوز للإنسان أن يصف نفسه بما فيه من علم وفضل، قال الماوردي^(٤): «وليس هذا على الإطلاق في عموم الصفات، ولكنه مخصوص بما اقترن بوصله، أو تعلق بظاهر من مكسب، وممنوع منه فيما سواه؛ إما فيه من تركية ومُراءاة، ولو تنزه^(٥) الفاضل عنه لكان أليق بفضله، فإن يوسف دعت الضرورة إليه لما سبق من حاله، ولما يرجو من الظفر بأهله.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَا أَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ أي: ومثل

(١) المفهم ١٦/٤، وما بين حاصرتين منه.

(٢) سلف ص ٣٧١ من هذا الجزء.

(٣) القول الثاني والثالث والرابع من أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٠٨٠.

(٤) في النكت والعيون ٣/٥٢، والقول الرابع الذي قبله منه.

(٥) في النسخ: ميزه، والمثبت من النكت والعيون.

هذا الإنعام الذي أنعمنا عليه في تقريبه إلى قلب الملك، وإنجائه من السجن؛ مَكَّنَّا له في الأرض، أي: أقدرناه على ما يُريد^(١).

وقال الكيّا الطَّبْرِيّ، قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ دليلٌ على إجازة الحيلة في التوصل إلى المباح، وما فيه الغبطة والصلاح، واستخراج الحقوق، ومثله قوله تعالى: ﴿وَعَزَّزْنَا بِدَارِكَ صِفْعًا فَأَضْرِبَ بِيَدِهِ وَلَا تَحْنُثْ﴾ [ص: ٤٤]، وحديث أبي سعيد الخُدْرِيّ في عامل خيبر، والذي أَدَّاه من التَّمَر إلى رسول الله ﷺ، وما قاله^(٢). قلت: وهذا مردودٌ على ما يأتي^(٣). يقال: مَكَّنَّاه ومَكَّنَّا له، قال الله تعالى: ﴿مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ تُمَكِّنْ لَكُمُ﴾ [الأنعام: ٦].

قال الطَّبْرِيّ^(٤): استخلف المَلِكُ الأكبر الوليدُ بن الرِّيَّان يوسفَ على عملٍ إطفير وعَزَّله، قال مجاهد: وأسلم على يديه^(٥). قال ابن عباس: ملَّكه بعد سنة ونصف^(٦). وروى مقاتل أن النَّبِيَّ ﷺ قال: «لو أن يوسف قال: إني حفيظٌ عليمٌ إن شاء الله لَمُلِكُ في وقته ذلك»^(٧).

(١) الوسيط للواحيدي ٦١٩/٢.

(٢) أحكام القرآن للكيّا الطَّبْرِيّ ٢٣٣/٣، لكن الذي فيه أن قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كَدَّنَا لِيُوسُفَ﴾ [الآية: ٧٦] هي دليل إجازة الحيلة في التوصل إلى المباح.. وسيأتي ص ٤١٧ من هذا الجزء. وحديث عامل خيبر أخرجه البخاري (٢٢٠١) و(٢٢٠٢)، ومسلم (١٥٩٣) من حديث أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما، ولفظه: أن رسول الله ﷺ استعمل رجلاً على خيبر، فجاءه بتمر جَنِيْب، فقال رسول الله ﷺ: «أَكُلْ تمر خيبر هكذا؟» قال: لا والله يا رسول الله، إنا لناخذ الصاع من هذا بالصاعين، والصاعين بالثلاثة، فقال رسول الله ﷺ: «لا تفعل، بيع الجَمْعُ بالدراهم، ثم ابتع بالدراهم جَنِيْباً». وهو بنحوه عند أحمد (١١٤١٢). والجَنِيْب: نوع جيد معروف من أنواع التمر، والجَمْع: نوع مختلط من أنواع متفرقة ليس مرغوباً فيه. النهاية (جنب) و(جمع).

(٣) ص ٤١٦-٤١٧ من هذا الجزء.

(٤) في تفسيره ٢٢٠/١٣، ونقله المصنف عنه بواسطة الماوردي في النكت والعيون ٥٢/٣، والأقوال التي بعده منه.

(٥) أخرجه الطَّبْرِيّ ٢٢٢/١٣.

(٦) زاد المسير ٢٤٤/٤.

(٧) لم نقف عليه، وهو هكذا مرسل، وقد سلف نحوه ص ٣٧٨ من هذا الجزء، وهو ضعيف أيضاً.

ثم مات إطفير فزوجه الوليدُ بزوجة إطفير راعيل، فدخل بها يوسف، فوجدها عذراء، وولدت له ولدين: إفرائيم ومنشا ابني يوسف. ومن زعم أنها زليخاء قال: لم يتزوجها يوسف، وإنما لما رآته في موكبه بكت، ثم قالت: الحمد لله الذي جعل الملوك عبيداً بالمعصية، والحمد لله الذي جعل العبيد بالطاعة ملوكاً، فضمها إليه، فكانت من عياله حتى ماتت عنده، ولم يتزوجها، ذكره الماوردي، وهو خلاف ما تقدم عن وهب^(١)، وذكره الثعلبي، فالله أعلم.

ولما فوّض الملك أمر مصر إلى يوسف تلطف بالناس، وجعل يذعوهم إلى الإسلام حتى آمنوا به، وأقام فيهم العدل، فأحبّه الرجال والنساء.

قال وهب والسدي وابن عباس وغيرهم: ثم دخلت السنون المخصبة، فأمر يوسف بإصلاح المزارع، وأمرهم أن يتوسّعوا في الزراعة، فلما أدركت الغلة؛ أمر بها فجمعت، ثم بنى لها الأهراء، فجمعت فيها في تلك السنة غلة ضاقت عنها المخازن لكثرتها، ثم جمع عليه غلة كل سنة كذلك، حتى إذا انقضت السبع المخصبة وجاءت السنون المُجدبة نزل جبريل وقال: يا أهل مصر، جوعوا، فإن الله سلط عليكم الجوع سبع سنين.

وقال بعض أهل الحكمة: للجوع والقحط علامتان: إحداهما: أن النفس تحب الطعام أكثر من العادة، ويسرع إليها الجوعُ خلاف ما كانت عليه قبل ذلك، وتأخذ من الطعام فوق الكفاية. والثانية: أن يُفقد الطعام فلا يوجد رأساً ويعزّ إلى الغاية.

فاجتمعت هاتان علامتان في عهد يوسف، فانتبه الرجال والنساء والصبيان ينادون: الجوع الجوع، ويأكلون ولا يشبعون، وانتبه الملك، ينادي: الجوع الجوع، قال: فدعا له يوسف فأبراه الله من ذلك، ثم أصبح فنأى يوسف في أرض مصر كلها: معاشر الناس، لا يزرع أحدٌ زرعاً فيضيع البذر ولا يطلع شيء. وجاءت تلك السنون بهولٍ عظيم لا يُوصف.

(١) النكت والعيون ٥٢/٣، وسلفت القصة مطولة ص ٣٨٢-٣٨٣ من هذا الجزء، وينظر ما نقلناه عن الألوسي ثمة.

قال ابن عباس: لَمَّا كان ابتداء القحط، بينا الملك في جوف الليل أصابه الجوعُ في نصف الليل، فتهتف الملك: يا يوسف، الجوع الجوع، فقال يوسف: هذا أوان القحط، فلَمَّا دخلت أولُ سنة من سِنِي القحط؛ هَلَكَ فيها كُلُّ شيءٍ أعدَّوه في السنين المُخصِبة، فجعل أهلُ مصر يَتَاعَوْنَ الطعامَ من يوسف، فباعهم أولُ سنة بالنقود، حتى لم يَبَقْ بمصر دينار ولا درهم إلا قَبْضُهُ، وباعهم في السنة الثانية بِالْحُلِيِّ والجواهر، حتى لم يَبَقْ في أيدي الناس منها شيء، وباعهم في السنة الثالثة بالمواشي والدواب، حتى احتوى عليها أجمع، وباعهم في السنة الرابعة بالعييد والإماء، حتى احتوى على الكل، وباعهم في السنة الخامسة بالعقار والضِّياع، حتى مَلَكَهَا كُلُّهَا، وباعهم في السنة السادسة بأولادهم ونسائهم فاسترقَّهم جميعاً، وباعهم في السنة السابعة برقابهم، حتى لم يَبَقْ^(١) بمصر حرٌّ ولا عبدٌ إلا صار عبداً له، فقال الناسُ: والله، ما رأينا مَلِكاً أَجَلٌ ولا أعظَمَ من هذا، فقال يوسف لملك مصر: كيف رأيتُ صنْعَ ربي فيما خَوَّلني، والآن كُلُّ هذا لك، فما ترى فيه؟ فقال: فَوَضْتُ إِلَيْكَ الأَمْرَ، فافعل ما شئتَ، وإنما نحن لك تبعٌ، وما أنا بالذي يَسْتَنكِفُ عن عبادتك وطاعتك، ولا أنا إلا من بعض مَمَالِيكَ، وَخَوَّلَ مِن خَوَّلِكَ، فقال يوسف عليه السلام: فَإِنِّي لم أَعْتَقْهُمْ مِنَ الجوع لأَسْتَعْبِدَهُمْ، ولم أُجِرْهُمْ مِنَ البلاء لأَكُونَ عَلَيْهِمْ بلاءً، وإِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُكَ أَنِّي أَعْتَقْتُ أَهْلَ مصر عن آخرهم، ورددتُ عليهم أموالهم وأملاكهم، ورددتُ عليك مُلْكَكَ بشرط أن تَسْتَنَّ بِسُتِي.

ويُروى أن يوسف عليه السلام كان لا يشبُّعُ من طعام في تلك السنين، فقليل له: أَتَجوع ويبيدك خزائنُ الأرض؟! فقال: إِنِّي أَخَافُ أَنْ شَبِعْتُ أَنْ أُنْسِيَ الْجَائِعَ. وأمر يوسف طَبَّاحُ المَلِكِ أن يجعل غَدَاءَهُ نصفَ النهار، حتى يذوقَ المَلِكُ طعمَ الجوع، فلا ينسى الجائعين، فَمِنْ ثَمَّ جعل الملوكة غَدَاءَهُمْ نصفَ النهار^(٢).

(١) بعدها في (م): في السنة السابعة.

(٢) عرائس المجالس ص ١٣٠ - ١٣١، وتفسير البغوي ٤٣٣/٢ - ٤٣٤.

قوله تعالى: ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ﴾ أي: بإحساننا، والرحمةُ النعمةُ والإحسان^(١). ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: ثوابهم. وقال ابن عباس ووهب: يعني الصابرين^(٢)؛ لصبره في الجُبِّ، وفي الرِّقِّ، وفي السَّجْنِ، وصبره عن محارم الله عمّا دعت إليه المرأة.

وقال الماوردي^(٣): واختلف فيما أُوتِيه يوسف من هذه الحال على قولين: أحدهما: أنه ثوابٌ من الله تعالى على ما ابتلاه. الثاني: أنه أنعم^(٤) عليه بذلك تفضُّلاً منه عليه، وثوابه باقٍ على حاله في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ أي: ما نُعطيه في الآخرة خيرٌ وأكثرُ مما أُعطيناه في الدنيا، لأن أجر الآخرة دائمٌ، وأجر الدنيا ينقطع^(٥)، وظاهر الآية العمومُ في كلِّ مؤمنٍ متّقٍ، وأنشدوا:

أما في رسولِ اللهِ يوسفُ أسوةٌ لمثلِكَ محبوساً على الظلم والإفكِ
أقامَ جَمِيلَ الصَّبْرِ في الحبسِ بُرْهَةً فَالَ به الصَّبْرُ الجميلُ إلى المُلْكِ^(٦)
وكتب بعضهم إلى صديقٍ له:

وراء مَضِيقِ الخوفِ مُتَسَعُ الأَمَنِ وأوّلَ مَفْرُوحٍ به آخرُ الحزنِ
فلا تَيَأَسَنَّ^(٧) فاللهُ مَلِكٌ يوسفُ خزائنُه بعد الخلاصِ من السَّجْنِ^(٨)
وأنشد بعضهم:

(١) الرحمةُ صفةٌ من صفات الله عز وجل ثابتةٌ له، وأما إحسانه ونعمته فهي صفةٌ أخرى له سبحانه وتعالى.

(٢) تفسير البغوي ٤٣٣/٢.

(٣) في النكت والعيون ٥٣/٣.

(٤) في (م): أنعم الله.

(٥) النكت والعيون ٥٣/٣.

(٦) البيتان للبحري، وهما في ديوانه ١٥٦٤/٣، وفيه: السجن، بدل الحبس.

(٧) في (د): فلا تبتس.

(٨) البيتان في عرائس المجالس ص ١٣٠ دون نسبة، ونسبهما الصفدي في الوافي بالوفيات ٤٧/١٥ لزيد ابن محمد بن زيد العلوي.

إذا الحادّثاتُ بَلَّغْنَ النُّهَى وكادّثَ تَذَوُّبٌ لَهُنَّ المُهَجْ
وحلَّ البلاءُ وَقَلَ العَزَاءُ فعند التَّنَاهي يكونُ الفَرَجُ^(١)
والشعر في هذا المعنى كثيرٌ.

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ ﴿٥٨﴾
قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ أي: جاؤوا إلى مصر لما أصابهم القحط
ليمتاروا. وهذا من اختصار القرآن المُعْجِزِ^(٢).

قال ابن عباس وغيره: لما أصاب الناس القحط والشدة، ونزل ذلك بأرض
كنعان بعث يعقوب عليه السلام ولده للميرة، وذاع أمر يوسف عليه السلام في
الآفاق، لئلينه وقربه ورحمته ورأفته وعدله وسيرته^(٣)، وكان يوسف عليه السلام حين
نزلت الشدة بالناس يجلس للناس عند البيع بنفسه، فيعطيه من الطعام على عدد
رؤوسهم، لكل رأس وسقاً.

﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ﴾ يوسف ﴿وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ لأنهم
خلفوه صبيّاً، ولم يتوهّموا أنه بعد العبودية يبلغ إلى تلك الحال من المملكة^(٤)، مع
طول المدة، وهي أربعون سنة. وقيل: أنكروه لأنهم اعتقدوا أنه ملك كافر: وقيل:
رأوه لابس حرير، وفي عنقه طوق ذهب، وعلى رأسه تاج، وقد تزياً بزيّ فرعون
مصر، ويوسف رآهم على ما كان عهدهم في الملبس والحلية. ويَحْتَمِلُ أنهم رأوه
وراء ستير فلم يعرفوه^(٥). وقيل: أنكروه لأمر خارقٍ امتحاناً امتحَن الله به يعقوب.

(١) ذكرهما أبو علي التنوخي في الفرج بعد الشدة ٢٣/٥ دون نسبة، وابن عبد البر في بهجة المجالس
١٨٠/١ ونسبهما لمتصور الفقيه، وعندهما: المدى: بدل: النهى، وعند التنوخي: وجَلْ، بدل: وحلّ،
وعند ابن عبد البر: الوفاء، بدل: العزاء.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٣٣.

(٣) زاد المسير ٤/٢٤٦.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٣٣ - ٣٣٤.

(٥) الأقوال السالفة في عرائس المجالس ص ١٣١، وتفسير البغوي ٢/٤٣٤، وتفسير الرازي ١٨/١٦٦.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ أَتَأْتُونِي بِأَنْعَامٍ لَّكُمْ مِنْ أَنْعَامِكُمْ أَلَّا تَزُولَ لِئَافِي الْكَيْلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا سَنُرَوِّدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ يقال: جَهَّزْتُ الْقَوْمَ تَجْهِيْزًا، أي: تكلَّفتَ لهم بِجَهَازِهِم للِسفر، وَجَهَازُ الْعُرُوسِ ما يُحْتَاجُ إِلَيْهِ عِنْدَ الْإِهْدَاءِ إِلَى الزَّوْجِ، وَجَوْزُ بَعْضِ الْكُوفِيِّينَ الْجِهَازُ بِكَسْرِ الْجِيمِ^(١)، وَالْجِهَازُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الطَّعَامُ الَّذِي امْتَارُوهُ مِنْ عِنْدِهِ^(٢). قَالَ السُّدِّيُّ: وَكَانَ مَعَ أَخُوهُ يُوسُفَ أَحَدَ عَشَرَ بَعِيرًا، وَهُمْ عَشْرَةٌ، فَقَالُوا لِيُوسُفَ: إِنَّ لَنَا أَخًا تَخَلَّفَ عَنَّا، وَبَعِيرُهُ مَعَنَا، فَسَأَلَهُمْ: لِمَ تَخَلَّفَ؟ فَقَالُوا: لِحُبِّ أَبِيهِ إِيَّاهُ، وَذَكَرُوا لَهُ أَنَّهُ كَانَ لَهُ أَخٌ أَكْبَرُ مِنْهُ، فَخَرَجَ إِلَى الْبَرِّيَّةِ فَهَلَكَ؛ فَقَالَ لَهُمْ: أَرَدْتُ أَنْ أَرَى أَخَاكُمْ هَذَا الَّذِي ذَكَرْتُمْ، لِأَعْلَمَ وَجْهَ مُحِبَّةِ أَبِيكُمْ إِيَّاهُ، وَأَعْلَمَ صِدْقَكُمْ، وَيُرَوِّدُ أَنْهُمْ تَرَكَوا عِنْدَهُ شَمْعُونَ رَهِيْنَةً، حَتَّى يَأْتُوا بِأَخِيهِ بَنِيَامِينَ^(٣).

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ يُوسُفُ لِلتَّرْجُمَانِ: قُلْ لَهُمْ: لَغْتَكُمْ مَخَالَفَةً لِلْغَيْتِ، وَزَيْكُم مَخَالَفَةً لَزَيْنَا، فَلَعَلَّكُمْ جَوَاسِيْسُ، فَقَالُوا: وَاللَّهِ، مَا نَحْنُ بِجَوَاسِيْسٍ، بَلْ نَحْنُ بَنُو أَبٍ وَاحِدٍ، فَهُوَ شَيْخٌ صَدِيقٌ. قَالَ: فَكَمْ عِدَّتْكُمْ؟ قَالُوا: كُنَّا اثْنِي عَشَرَ، فَذَهَبَ أَخٌ لَنَا إِلَى الْبَرِّيَّةِ، فَهَلَكَ فِيهَا. قَالَ: فَأَيْنَ الْآخَرُ؟ قَالُوا: عِنْدَ أَيْنَا. قَالَ: فَمَنْ يَعْلَمُ صِدْقَكُمْ؟ قَالُوا: لَا يَعْرِفُنَا هَاهُنَا أَحَدٌ، وَقَدْ عَرَفْنَاكَ أَنْسَابَنَا، فَبِأَيِّ شَيْءٍ تَسْكُنُ نَفْسُكَ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ يُوسُفُ: ﴿أَتَأْتُونِي بِأَنْعَامٍ لَّكُمْ مِنْ أَنْعَامِكُمْ﴾ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، فَأَنَا أَرْضَى بِذَلِكَ ﴿أَلَّا تَزُولَ لِئَافِي الْكَيْلِ﴾ أَي: أْتَمُّهُ وَلَا أَبْخُسْهُ، وَأَزِيدَكُمْ حِمْلَ بَعِيرٍ لِأَخِيكُمْ ﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي﴾ تَوَعَّدَهُمْ أَلَّا يَبِيعَهُمُ الطَّعَامَ إِنْ لَمْ يَأْتُوا بِهِ^(٤).

(١) تهذيب اللغة ٦/٣٥ - ٣٦.

(٢) المحرر الوجيز ٣/٢٥٨.

(٣) أخرجه الطبري ١٣/٢٢٣ - ٢٢٤ بنحوه.

(٤) الكلام بنحوه في تفسير البغوي ٢/٤٣٤ - ٤٣٥، وزاد المسير ٤/٢٤٦ - ٢٤٧.

قوله تعالى: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ﴾ يَحْتَمِلُ وجهين: أحدهما: أنه رَخَّصَ لهم في السعر، فصار زيادةً في الكيل.

والثاني: أنه كَالَ لهم بمكيالٍ وافٍ.

﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ فيه وجهان: أحدهما: يعني^(١) خير المضيفين؛ لأنه أحسن ضيافتهم، قاله مجاهد. الثاني: وهو مُحْتَمِلٌ، أي: خير مَنْ نَزَلَتْ عليه من المأمونين. وهو على التأويل الأول مأخوذٌ من النَّزْل، وهو الطعام، وعلى الثاني من المنزل، وهو الدار^(٢).

قوله تعالى: ﴿إِن لَّكَ تَائُتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي﴾ أي: فلا أبيعكم شيئاً فيما بعد؛ لأنه قد وفَّاهم كيلهم في هذه الحال. ﴿وَلَا تَقْرُبُون﴾ أي: لا أنزلكم عندي منزلةً القريب، ولم يُرِدْ أن^(٣) يبعدوا منه ولا يعودوا إليه؛ لأنه على العود حَثَّهم.

قال السُّدِّيُّ: وطلب منهم رهينةً حتى يرجعوا، فارتهن شمعون عنده. قال الكلبي: إنما اختار شمعون منهم؛ لأنه كان يومَ الجُبِّ أجملهم قولاً، وأحسنهم رأياً^(٤).

و«تَقْرُبُونَ» في موضع جزمٍ بالنهي، فلذلك حُذفت منه النون، وحُذفت الياء؛ لأنه رأسُ آية، ولو كان خبراً لكان «تقربون» بفتح النون^(٥).

قوله تعالى: ﴿قَالُوا سَرْوُدٌ عَنْهُ أَبَاهُ﴾ أي: سنطلبه منه، ونسأله أن يرسله معنا. ﴿وإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾ أي: لَضَامِنُونَ المَجِيء به^(٦)، ومُحْتَالُونَ في ذلك.

(١) في (م): أنه.

(٢) النكت والعيون ٥٤/٣، وقول مجاهد أخرجه الطبري ٢٢٥/١٣.

(٣) في (د) و(ز) و(م): أنهم، وفي (ظ): أنه، وثمة سقط في هذا الموضع في (ف)، والمثبت من النكت والعيون ٥٥/٣، والكلام منه.

(٤) النكت والعيون ٥٥/٣.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣٣٤/٢.

(٦) الوسيط ٦٢٠/٢.

مسألة: إن قيل: كيف استجاز يوسف إدخال الحزن على أبيه بطلب أخيه؟ قيل له: عن هذا أربعة أجوبة:

أحدها: يجوز أن يكون الله عز وجل أمره بذلك ابتلاءً ليعقوب؛ ليعظم له الثواب، فأتبع أمره فيه.

الثاني: يجوز أن يكون أراد بذلك أن يُنبّه يعقوب على حال يوسف عليهما السلام.

الثالث: لتضاعف المسرة ليعقوب برجوع ولديه عليه.

الرابع: ليقدم سرور أخيه بالاجتماع معه قبل إخوته، لميل كان منه إليه. والأول أظهر^(١)، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢٦)

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ﴾ هذه قراءة أهل المدينة وأبي عمرو وعاصم^(٢)، وهو اختيار أبي حاتم والنحاس وغيرهما، وقرأ سائر الكوفيين: «لِفَتْيَانِهِ» وهو اختيار أبي عبيد، وقال: هو في مصحف عبد الله كذلك^(٣).

قال الثعلبي: وهما لغتان جيدتان، مثل الضبيان والضبية^(٤). قال النحاس^(٥): «لِفَتْيَانِهِ» مخالفة للسواد الأعظم؛ لأنه في السواد لا ألف فيه ولا نون، ولا يُترك السواد المُجتمع عليه لهذا الإسناد المنقطع؛ وأيضاً فإن «فتية» أشبه من فتیان؛ لأن

(١) النكت والعيون ٥٥/٣، وزاد المسير ٢٤٨/٤ - ٢٤٩.

(٢) ووافقه ابن كثير المكي وابن عامر الشامي، وقراءة عاصم في رواية أبي بكر. السبعة ص ٣٤٩، والتيسير ص ١٢٩.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣٣٤/٢ دون قوله: وهو اختيار أبي حاتم.

(٤) وهو قول البغوي في تفسيره ٤٣٥/٢.

(٥) في إعراب القرآن ٣٣٤/٢.

«فتية» عند العرب لأقل العدد، والقليل بأن يجعلوا البضاعة في الرحال أشبه.
وكان هؤلاء الفتية يُسوون جَهازهم، ولهذا أمكنهم جعل بضاعتهم في رحالهم.
ويجوز أن يكونوا أحراراً، وكانوا أعواناً له.

وبضاعتهم أثمانٌ ما اشتروه من الطعام. وقيل: كانت دراهم ودنانير. وقال ابن عباس: النعال والأدم ومتاع المسافر^(١)، ويسمى رَحْلاً. قال ابن الأنباري^(٢): يقال للوعاء: رَحْل، ولليت: رَحْل.

وقال: ﴿لَمَّا هُمْ يَمْشُونَ﴾ لجواز ألا تسلم في الطريق. وقيل: إنما فعل ذلك ليرجعوا إذا وجدوا ذلك؛ لعلمه أنهم لا يقبلون الطعام إلا بثمنه. قيل: ليستعينوا بذلك على الرجوع لشراء الطعام. وقيل: استقبح أن يأخذ من أبيه وإخوته ثمن الطعام. وقيل: ليرؤا فضله، ويرغبوا في الرجوع إليه^(٣).

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانَا نَكْتَلْ وَلِنَا لَمْ نَحْفَظُونَ﴾ ﴿٦٢﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ قَالَهُ خَيْرٌ حَفِظْتُ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٣﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ آخَانَا وَنَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٤﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾ لأنه قال لهم: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي﴾^(٤) وأخبروه بما كان من أمرهم وإكرامهم^(٥)، وأن شمعون مُرتَهَنٌ حتى يعلم صدق قولهم. ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانَا نَكْتَلْ﴾ أي: قالوا

(١) الوسيط للواحد ٦٢٠/٢، وتفسير البغوي ٤٣٥/٢.

(٢) ذكره الطبرسي في مجمع البيان ٨١/١٣.

(٣) الكلام بنحوه في التكت والعيون ٥٦/٣، والمحزر الوجيز ٢٥٩/٣، وزاد المسير ٢٤٩/٤ - ٢٥٠.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣٣٤/٢.

(٥) بعدها في (د) و(ز) و(م): إياه.

عند ذلك: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانًا نَكْتَلْ﴾ والأصل: نكتال، فحُذفت الضمة من اللام للجزم، وحُذفت الألف لالتقاء الساكنين.

وقراءة أهل الحرمين وأبي عمرو وعاصم: «نَكْتَلُ» بالنون^(١)، وقرأ سائر الكوفيين: «يَكْتَلُ» بالياء، والأول اختيار أبي عبيد، ليكونوا كلهم داخلين فيمن يكتال. وزعم أنه إذا كان بالياء كان للأخ وحده. قال النحاس^(٢): وهذا لا يلزم؛ لأنه لا يخلو الكلام من أحد جهتين: أن يكون المعنى: فأرسل أخانا يكتل معنا؛ فيكون للجميع، أو يكون التقدير على غير التقديم والتأخير، فيكون في الكلام دليل على الجميع، لقوله: ﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي﴾. ﴿وَإِنَّا لَمُحْفِظُونَ﴾ من أن يناله سوء.

قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ آمَنْتُمْ عَلَيَّ إِلَّا كَمَا آمَنْتُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قد فرطتم في يوسف فكيف آمنكم على أخيه؟!.

﴿قَالَ لَهُ خَيْرٌ حِفْظًا﴾ نصب على البيان، وهذه قراءة أهل المدينة وأبي عمرو وعاصم^(٣). وقرأ سائر الكوفيين: «حَافِظًا» على الحال. وقال الزجاج: على البيان^(٤)؛ وفي هذا دليل على أنه أجابهم إلى إرساله معهم، ومعنى الآية: حَفِظُ اللّٰهُ لَهُ خَيْرٌ مِنْ حِفْظِكُمْ إِيَّاهُ.

قال كعب الأحبار: لَمَّا قَالَ يَعْقُوبُ: «قَالَ لَهُ خَيْرٌ حَافِظًا» قال الله تعالى: وعزّتي وجلالي لأرُدَّنَّ عليك ابنيك كِلَيْهِمَا بعدما توكلت علي^(٥).

(١) وافقهم ابن عامر الشامي. السبعة ص ٣٤٩ - ٣٥٠ ، والتيسير ص ١٢٩ .

(٢) في إعراب القرآن ٢/ ٣٣٤ - ٣٣٥ ، وما قبله منه .

(٣) ووافقهم ابن كثير المكي وابن عامر الشامي، وقراءة عاصم في رواية أبي بكر. السبعة ص ٣٥٠ ، والتيسير ص ١٢٩ .

(٤) في معاني القرآن للزجاج ٣/ ١١٨ ، وقد ذكر الزجاج أن «حافظًا» منصوب على الحال، ثم قال: ويجوز أن يكون منصوباً على البيان. وقد نقل المصنف قول الزجاج بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢/ ٣٣٥ .

(٥) الوسيط للواحدى ٢/ ٦٢١ ، وتفسير البغوي ٢/ ٤٣٧ .

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَنَعُهُمْ﴾ الآية ليس فيها معنى يُشكل ﴿مَا نَبَغِي﴾ «ما» استفهام في موضع نصب، والمعنى: أي شيء نطلب وراء هذا؟! وقى لنا الكيل. ورد علينا الثمن؛ أرادوا بذلك أن يُطيّبوا نفس أبيهم.

وقيل: هي نافية، أي: لا نبغي منك دراهم ولا بضاعة، بل تكفيننا بضاعتنا هذه التي رُدَّت إلينا^(١).

وروي عن علقمة: «رُدَّتْ إِلَيْنَا» بكسر الراء؛ لأن الأصل رُدِدَتْ، فلما أدغم قلبت حركة الدال على الراء^(٢). وقوله: ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ أي: نَجلبُ لهم الطعام، قال الشاعر:

بَعَثْتُكَ مَائِراً فَمَكَّثْتَ حَوْلًا مَتَى يَأْتِي غِيَاثُكَ مَنْ تُغِيثُ^(٣)
وقرأ السلمي بضم النون^(٤)، أي: نُعينهم على الميرة. ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾، أي: جمل بعير لبنيامين.

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿تُؤْتُونِ﴾ أي: تُعطوني ﴿مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ﴾ أي: عهداً يوثق

(١) الكلام بنحوه في تفسير البغوي ٤٣٦/٢ ، والمحزر الوجيز ٢٦٠/٣ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣٣٥/٢ ، وقراءة علقمة في المحتسب ٣٤٥/١ .

(٣) ذكره الطبري في تفسيره ٢٣٣/١٣ ، والماوردي في النكت والعيون ٥٨/٣ ، وابن عطية في المحزر الوجيز ٢٦٠/٣ دون نسبة. وذكره العسكري في جمهرة الأمثال ٢٥٠/١ ، والزمخشري في المستقصى في أمثال العرب ٢٣/١ ونسبها لعائشة بنت سعد بن أبي وقاص ؓ، وعندهما: بعثتك قابساً.. وهو الصواب فيما ذكره ابن منظور في اللسان (غوث).

(٤) المحزر الوجيز ٢٦٠/٣ .

به^(١)؛ قال السُّدِّي: حَلَفُوا بِاللَّهِ لِيُرْذَنَّهُ إِلَيْهِ وَلَا يُسْلِمُونَهُ^(٢)، واللامُ في ﴿لَتَأْتِيَ﴾ لامُ القسم^(٣).

﴿إِلَّا أَنْ يَمُاطَ بِكُمْ﴾ قال مجاهد: إِلَّا أَنْ تَهْلِكُوا أَوْ تَمُوتُوا. وقال قتادة: إِلَّا أَنْ تُغْلَبُوا عَلَيْهِ^(٤). قال الزجاج: وهو في موضع نصب^(٥). ﴿فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْفِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ أي: حافظٌ للحلف. وقيل: حفيظٌ للعهد، قائمٌ بالتدبير والعدل.

الثانية: هذه الآية أصلٌ في جواز الحَمَالَةِ^(٦) بالعين والوثيقة بالنفس، وقد اختلف العلماء في ذلك؛ فقال مالكٌ وجميعُ أصحابه وأكثرُ العلماء: هي جائزة إذا كان المتحمِّلُ به مالاً. وقد ضعَّف الشافعيُّ الحَمَالَةَ بالوجه في المال، وله قولٌ كقول مالك^(٧). وقال عثمان البتي: إذا تكفَّل بنفسٍ في قصاصٍ أو جراحٍ؛ فإنه إن لم يَجِيءْ به لزمه الدية وأرْسُ الجراح، وكانت له في مال الجاني، إذ لا قصاصَ على الكفيل^(٨)، فهذه ثلاثة أقوال في الحَمَالَةِ بالوجه. والصوابُ تَفْرِقَةُ مالِكٍ في ذلك، وأنها تكون في المال، ولا تكون في حدٍّ أو تعزير، على ما يأتي بيانه^(٩).

(١) تفسير الطبري ١٣/٢٣٥، وزاد المسير ٤/٢٥٣.

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٣/٥٨ بلفظ: حَلَفُوا بِاللَّهِ.

(٣) يعني: اللام الواقعة في جواب القسم، قال السمين في الدر المصون ٦/٥٢١: هذا جواب للقسم المضمر في قوله: «مَوْفِقَهُمْ»؛ لأنه في معنى: حتى تحلفوا لي لتأتيني به.

(٤) قولاً مجاهد وقاتدة أخرجهما الطبري ١٣/٢٣٥ و ٢٣٦، وقول مجاهد في تفسيره ١/٣١٧.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣/١١٩، وقال الزجاج: والمعنى: لتأتيني به إلا لإحاطة بكم، وهذا يسمى مفعولاً له. وينظر الدر المصون ٦/٥٢١.

(٦) الحَمَالَةُ: الكَفَالَةُ. الزاهر للأزهري ص ٣٣٠، وقال ابن عبد البر في الاستذكار ٢٢/٢٧٥: الكَفَالَةُ والحَمَالَةُ: هما لفظتان معناهما الضمان. وقال الجوهري في الصحاح (حمل): الحَمَالَةُ: ما تتحملة عن القوم من الدية أو الغرامة.

(٧) الإشراف ١/١٢٥، وقال الأزهري في الزاهر ص ٣٣١: وأراد الشافعي رحمه الله بكفالة الوجه: الكفالة بالبدن. وقال الكاساني في بدائع الصنائع ٧/٣٩٩: إذا أضاف الكفالة إلى جزء جامع كالرأس والوجه والرقبة ونحوها، جازت؛ لأن هذه الأشياء يعبر بها عن جملة البدن.

(٨) الاستذكار ٢٢/٢٧٧.

(٩) ص ٤٠٩-٤١١ من هذا الجزء، وينظر الإشراف ١/١٢٤-١٢٥.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَبْنَئِ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾﴾

فيه سبع مسائل:

الأولى: لما عزموا على الخروج خشي عليهم العين، فأمرهم ألا يدخلوا مصر من باب واحد، وكانت مصر لها أربعة أبواب، وإنما خاف عليهم العين لكونهم أحد عشر رجلاً لرجل^(١) واحد، وكانوا أهل جمال وكمال وبسطة؛ قاله ابن عباس والضحاك وقتادة وغيرهم^(٢).

الثانية: وإذا كان هذا معنى الآية؛ فيكون فيها دليل على التحرز من العين، والعين حق، وقد قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْعَيْنَ لَتُدْخِلُ الرَّجُلَ الْقَبْرَ وَالْجَمَلَ الْقِدْرَ»^(٣). وفي تعوذه عليه الصلاة والسلام: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ»^(٤) ما يدل على ذلك.

وروى مالك، عن محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، أنه سمع أباة يقول: اغتسل أبي سهل بن حنيف بالخرار، فنزع جبّة كانت عليه، وعامر بن ربيعة ينظر، قال: وكان سهل رجلاً أبيض حسن الجلد، قال: فقال له عامر بن ربيعة: ما رأيت كالיום، ولا جلد عذراء! فوعك سهل مكانه واشتدّ وعكه، فأتي رسول الله ﷺ،

(١) في (ظ): كرجل.

(٢) أخرجه قولهم الطبري ١٣/٢٣٧ - ٢٣٨.

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٩٠/٧، والقضاعي في مسند الشهاب (١٠٥٧)، والخطيب في تاريخ بغداد ٩/٢٤٤ من حديث جابر رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أحمد (٢١١٢)، والبخاري (٣٣٧١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، ولفظه عند البخاري: كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين ويقول: «إِنْ أْبَاكُمَا كَانَ يَعُوذُ بِهَا إِسْمَاعِيلُ وَإِسْحَاقُ»: أعوذ بكلمات الله...، وقوله: «وهامة» هي واحدة الهوام ذوات السموم، وقيل: المراد كل نسمة تهتم بسوء. الفتح ٦/٤١٠. وقوله: «لامّة» أي: ذات لمم، واللمم طرف من الجنون يلتم بالإنسان. النهاية (لمم).

فأخبر أن سهلاً وعك، وأنه غير رائج معك يا رسول الله، فأتاه رسول الله ﷺ، فأخبره سهلاً بالذي كان من شأن عامر، فقال رسول الله ﷺ: «عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ؟! أَلَا بَرَكْتُ؟! إِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ، تَوَضَّأَ لَهُ». فتوضَّأَ له عامر، فراح سهلاً مع رسول الله ﷺ ليس به بأس^(١). في رواية: «اغْتَسَلَ لَهُ»، فغَسَلَ عامر^(٢) وجهه ويديه ومِرْقَتَيْهِ وَرِكْبَتَيْهِ وَأَطْرَافَ رِجْلَيْهِ وَدَاخِلَ إِزَارِهِ فِي قَدَحٍ، ثُمَّ صَبَّ عَلَيْهِ، فراح سهلاً مع الناس^(٣) ليس به بأس^(٤).

وركب سعد بن أبي وقاص يوماً، فنظرت إليه امرأة فقالت: إِنَّ أَمِيرَكُمْ هَذَا لَيَعْلَمُ أَنَّهُ أَهْضَمُ الْكَشْحَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ فَسَقَطَ، فَلَبِغَهُ مَا قَالَتْ الْمَرْأَةُ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَغَسَلَتْ لَهُ^(٥).

ففي هذين الحديثين أَنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ، وَأَنَّهَا تَقْتُلُ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ^(٦). وهذا قول علماء الأئمة، ومذهب أهل السنة، وقد أنكرته طوائف من المبتدعة، وهم محجوجون بالسنة وإجماع علماء هذه الأئمة، وبما يشاهد من ذلك في الوجود، فكم من رجل أدخلته العين القبر، وكم من جملٍ ظهيرٍ أدخلته القدر، لكن ذلك بمشيئة الله تعالى كما قال: ﴿وَمَا هُمْ بِضَكَارَيْنِ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]^(٧).

قال الأصمعي: رأيت رجلاً عيوناً سمع بقرّة تحلب، فأعجبه شخبها فقال: أَيَّتَهُنَّ هذه؟ فقالوا: الفلانية، لبقرّة أخرى يُورُونَ عنها، فهَلَكْنَا جميعاً، المورى بها

(١) الموطأ ٩٣٨/٢، وأخرجه أيضاً ابن ماجه (٣٥٠٩)، والنسائي في الكبرى (٧٥٧٠). والخراز: ماء بالمدينة. معجم البلدان ٣٥٠/٢.

(٢) في (م): اغتسل فغسل له عامر، والمثبت من النسخ الخطية والمصادر.

(٣) في (م): فراح سهلاً مع رسول الله ﷺ، والمثبت من النسخ الخطية والمصادر.

(٤) الموطأ ٩٣٩/٢، وهو عند أحمد (١٥٩٨٠)، والنسائي في الكبرى (٧٥٧٢).

(٥) أخرجه أبو عبيد في غريب الحديث ١١٣/٢، وذكره ابن عبد البر في التمهيد ٢٤١/٦. وأهضم الكشجين، أي: دقيق الخصرين. النهاية (كشح).

(٦) التمهيد ٢٣٧/٦.

(٧) المفهم ٥٦٥/٥.

والمورى عنها. قال الأصمعي: وسمعتة يقول: إذا رأيت الشيء يُعجبني وجدت حرارة تخرج من عيني^(١).

الثالثة: واجب على كل مسلم أعجبه شيء أن يُبرِّك؛ فإنه إذا دعا بالبركة صُرف المحذور لا محالة، ألا ترى قوله عليه الصلاة والسلام لعامر: «أَلَا بَرَّكَتٌ؟!». فدلَّ على أن العين لا تَصْرُ ولا تعدو إذا بَرَّك العائن، وأنها إنما تعدو إذا لم يُبرِّك. والتبريك أن يقول: تبارك الله أحسن الخالقين! اللهم بارك فيه^(٢).

الرابعة: العائن إذا أصاب بعينه ولم يُبرِّك فإنه يؤمر بالاعتسال، ويُجبر على ذلك إن أباه؛ لأنَّ الأمر على الوجوب، لا سيما هذا؛ فإنه قد يُخاف على المعين الهلاك، ولا ينبغي لأحد أن يمنع أخاه ما ينتفع به أخوه ولا يضره هو، ولا سيما إذا كان بسببه، وكان الجاني عليه^(٣).

الخامسة: مَنْ عُرِف بالإصابة بالعين مُنع من مداخلة الناس دفعاً لضرره، وقد قال بعض العلماء: يأمره الإمام بلزوم بيته، وإن كان فقيراً رَزَقَهُ ما يقوم به، وَيَكْفُ أَذَاهُ عن الناس^(٤). وقد قيل: إنه يُنْفَى. وحديث مالك الذي ذكرناه يَرُدُّ هذه الأقوال، فإنه عليه الصلاة والسلام لم يأمر في عامر بحبس ولا بنفي، بل قد يكون الرجل الصالح عائناً، وأنه لا يُقدح فيه ولا يُفَسِّقُ به^(٥)، وَمَنْ قال: يُحبس ويؤمر بلزوم بيته. فذلك احتياط ودفع ضرر، والله أعلم.

السادسة: روى مالك عن حُمَيْد بن قيس المَكِّي أنه قال: دُخِلَ على رسول الله ﷺ بابن جعفر بن أبي طالب، فقال لحاضنَتَيْهِما: «ما لي أراهما ضَارِعَيْنِ؟» فقالت حاضنَتُهُما: يا رسول الله! إنه تُسْرَعُ إليهما العين، ولم يمنعا أن نَسْتَرْقِي لهما إلا أنا

(١) التمهيد ٧٠/١٣، والشخب: صوت اللين عند الحلب. معجم متن اللغة (شخب).

(٢) التمهيد ٦/٢٤٠ - ٢٤١.

(٣) التمهيد ٦/٢٤١.

(٤) المفهم ٥/٥٦٨.

(٥) ينظر التمهيد ٦٩/١٣.

لا ندرى ما يوافقك من ذلك؟ فقال رسول الله ﷺ: «اسْتَرْقُوا لهما، فإنه لو سَبَقَ شيءُ القَدَرِ سَبَقَتَهُ العين»^(١). وهذا الحديث منقطع، ولكنه محفوظ لأسماء بنت عميس الخثعمية عن النبي ﷺ من وجوه ثابتة متصلة صحاح^(٢)، وفيه أن الرقي مما يُستدفع به البلاء، وأن العين تؤثر في الإنسان وتضرعه - أي: تُضعفه وتُنجله - وذلك بقضاء الله تعالى وقدره^(٣). ويقال: إن العين أسرع إلى الصغار منها إلى الكبار، والله أعلم.

السابعة: أمر ﷺ في حديث أبي أمامة العائني بالاعتسال للمعين، وأمر هنا بالاسترقاء؛ قال علماؤنا: إنما يُسترقى من العين إذا لم يُعرف العائني، وأما إذا عُرف الذي أصابه بعينه فإنه يؤمر بالوضوء، على حديث أبي أمامة^(٤)، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ مِيتَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: من شيءٍ أحذرهُ عليكم^(٥)، أي: لا ينفع الحذر مع القدر. ﴿إِنَّ الْحُكْمَ﴾ أي: الأمر والقضاء ﴿إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أي: اعتمدتُ ووثقتُ ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَدُوٌّ عَلِيمٌ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسِرْقُونَ ﴿٨٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾ أي: من أبواب شتى ﴿مَا

(١) الموطأ ٢/ ٩٣٩ - ٩٤٠. قوله: «ضارعين»، أي: ضعيفين ضليلين ناجلين. وحاضتهما قد تكون أهمها

أسماء بنت عميس، وجائز أن تكون حاضتهما غيرها. ينظر التمهيد ٢/ ٢٦٦ - ٢٦٧، والاستذكار ٢٧/ ١٥.

(٢) التمهيد ٢/ ٢٦٦، وأخرجه من حديث أسماء بنت عميس أحمد (٢٧٤٧٠)، والترمذي (٢٠٥٩)، وابن

ماجه (٣٥١٠). وأخرجه أحمد (١٤٥٧٣)، ومسلم (٢١٩٨) من حديث جابر ؓ.

(٣) التمهيد ٢/ ٢٦٩.

(٤) المصدر السابق.

(٥) النكت و العيون ٣/ ٥٩، وقال الماوردي: فأشار عليهم في الأول، وفوض إلى الله في الآخر.

كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ﴿١﴾ إِنْ أَرَادَ إِيقَاعَ مَكْرِهِ بِهِمْ ﴿٢﴾ إِلَّا حَاجَةً ﴿٣﴾ استثناءً ليس من الأول^(١) ﴿٤﴾ فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهُ ﴿٥﴾ أَي: خَاطِرَ خَطَرَ بقلبه، وهو وصيَّته أَنْ يَتَفَرَّقُوا، قَالَ مجاهد: خَشْيَةُ الْعَيْنِ^(٢)، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِيهِ.

وَقِيلَ: لِثَلَا يَرَى الْمَلِكُ عَدَدَهُمْ وَقَوَّتَهُمْ، فَيُطِشُّ بِهِمْ حَسْداً أَوْ حَذْراً؛ قَالَه بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ^(٣)، وَاخْتَارَهُ النَّحَاسُ^(٤)، وَقَالَ: وَلَا مَعْنَى لِلْعَيْنِ هَاهُنَا.

وَدَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ الْمُسْلِمَ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُحْذِرَ أَخَاهُ مِمَّا يَخَافُ عَلَيْهِ، وَيُرْشِدَهُ إِلَى مَا فِيهِ طَرِيقُ السَّلَامَةِ وَالنَّجَاةِ، فَإِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ، وَالْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُ﴾ يَعْنِي يَعْقُوبَ ﴿لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ أَي: بِأَمْرِ دِينِهِ ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أَي: لَا يَعْلَمُونَ مَا يَعْلَمُ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ. وَقِيلَ: ﴿لَذُو عِلْمٍ﴾ أَي: عَمَلٍ^(٥)، فَإِنَّ الْعِلْمَ أَوَّلُ أَسْبَابِ الْعَمَلِ، فَسُمِّيَ بِمَا هُوَ بِسَبَبِهِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَىٰ أَخَاهُ﴾ قَالَ قَتَادَةُ: ضَمَّهُ إِلَيْهِ، وَأَنْزَلَهُ مَعَهُ^(٦). وَقِيلَ: أَمْرٌ أَنْ يَنْزِلَ كُلُّ اثْنَيْنِ فِي مَنْزِلٍ، فَبَقِيَ أَخُوهُ مَنْفَرِداً، فَضَمَّهُ إِلَيْهِ وَقَالَ: أَشْفَقْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْوَحْدَةِ، وَقَالَ لَهُ سِرّاً مِنْ إِخْوَتِهِ: ﴿إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ أَي: لَا تَحْزَنْ ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٧).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رِمْلِ أَخِيهِ﴾ لَمَّا عَرَفَ بَنِيَامِينَ أَنَّهُ يُوسُفُ قَالَ لَهُ: لَا تَرُدَّنِي إِلَيْهِمْ. فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتَ اغْتِمَامَ يَعْقُوبَ بِي، فَيَزِدَادُ غَمَّهُ!

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣٣٦/٢.

(٢) أخرجه الطبري ٢٣٩/١٣، وهو تفسير مجاهد ٣١٨/١.

(٣) النكت والعيون ٥٩/٣.

(٤) في إعراب القرآن ٣٣٦/٢.

(٥) أخرج هذا القول الطبري ٢٤٠/١٣ - ٢٤١ عن قتادة وسفيان.

(٦) النكت والعيون ٦٠/٣، وأخرجه الطبري ٢٤٢/١٣.

(٧) أخرجه الطبري ٢٤١/١٣ - ٢٤٢ عن السدي وابن إسحاق مطولاً.

فأبى بنيامين الخروج، فقال يوسف: لا يمكن حبسك إلا بعد أن أنسبك إلى ما لا يَجْمُلُ بك. فقال: لا أبالي! ^(١) فدرس الصاع في رَحْلِهِ؛ إِمَّا بنفسه من حيث لم يَطَّلِع عليه أحد، أو أمر بعض خواصه بذلك. والتَّجْهِيْزُ: التسريح ^(٢) وتنجيز الأمر، ومنه: جَهَّزَ على الجريح، أي: قتله ^(٣) ونجز أمره. والسَّقَايَةُ والصُّوَاغُ شيء واحد: إِنْاءٌ له رأسان في وسطه مَقْبِض، كان الملك يشرب منه من الرأس الواحد، ويُكَالُ الطعامُ بالرأس الآخر؛ قاله النقاش عن ابن عباس ^(٤)، وكلُّ شيء يُشْرَبُ به فهو صُواع ^(٥)، وأنشد:

نَشْرَبُ الخمرَ بالصُّوَاغِ جِهَارًا ^(٦)

واختلف في جنسه؛ فروى شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس قال: صُواع ^(٧) الملك: شيء من فضة يشبه المَكْوَك، من [ذهبٍ و] فضة مرصعٌ بالجواهر، يُجعل على الرأس، وكان للعباس واحدٌ في الجاهلية ^(٨). وسأله نافع بن الأزرق: ما الصُّوَاغُ؟ قال: الإناء؛ قال فيه الأعشى:

لَه دَرَمَكُ فِي رَأْسِهِ وَمَشَارِبُ وَقِدْرٌ وَطَبَّاخٌ وَصَاعٌ وَدَيْسَقُ ^(٩)

(١) تفسير البغوي ٤٣٨/٢، وعرائس المجالس ص ١٣٤ عن كعب.

(٢) في (ظ): التسرع.

(٣) وأجهز كذلك. مجمل اللغة ٢٠١/١، واللسان (جهز).

(٤) ينظر تفسير الطبري ٢٤٥/١٣ - ٢٤٦، والمحزر الوجيز ٢٦٣/٣ - ٢٦٤.

(٥) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦١/٣ عن ابن عباس. ووقع في (ظ): وكل إناء يشرب به...

(٦) سلف ٢١١/٩ برواية: نشرب الإثم.

(٧) قبلها في (د) و(م): كان.

(٨) معاني القرآن للنحاس ٤٤٤/٣، وما سلف بين حاصرتين منه، وأخرجه بنحوه الطبري ٢٤٩/١٣ - ٢٥١.

(٩) أخرجه ابن الأنباري في الوقف والابتداء ٨٦/١ مطولاً، وهو في ديوان الأعشى ص ٢٦٧ مجموع بيتين في وصف حصن بناء - على قول الشاعر - سليمان عليه السلام، قال شارح الديوان: المعنى: في أعلاه غرف الشراب فرشت بالطنافس، وخدم وطباخ وأقداح وخِوان. اهد والديسق: خِوان من فضة. اللسان (دسق).

وقال عكرمة: كان من فضة. وقال عبد الرحمن بن زيد: كان من ذهب، وبه كَال طعامهم مبالغة في إكرامهم^(١). وقيل: إنما كان يُكَال به لعزّة الطعام^(٢).

والصاع يُذَكَّر ويؤنث، فَمَنْ أَنَّثه قال: أَصُوع، مثل أَذُور، وَمَنْ ذَكَّره قال: أَصَوَاع، مثل أَثَوَاب^(٣).

وقال مجاهد وأبو صالح: الصاعُ: الطَّرْجَهَالَة بلغة جَمِير^(٤).

وفيه قراءات: «صَوَاع» قراءة العامة، و«صُوع» بالغين المعجمة، وهي قراءة يحيى ابن يعمر^(٥)؛ قال: وكان إِنْاءً صَنِيع^(٦) من ذهب. «وَصُوع» بالعين غير المعجمة قراءة أبي رجاء^(٧). «وَصُوع» بصادٍ مضمومة وواوٍ ساكنة وعينٍ غير معجمة قراءة أبي^(٨). «وصِيَاع» بياء بين الصاد والألف، قراءة سعيد بن جبير^(٩). «وصاع» بألف بين الصاد والعين، وهي قراءة أبي هريرة^(١٠).

(١) النكت والعيون ٦١/٣، وخبراً عكرمة وابن زيد أخرجهما الطبري ٢٤٦/١٣، ٢٥٠.

(٢) المحرر الوجيز ٢٦٤/٣.

(٣) في (د): أبواب، وكذا في تهذيب اللغة ٨٢/٣، والكلام منه.

(٤) أخرجه عن مجاهد ابن الأنباري في كتاب الرد على من خالف مصحف عثمان كما في الإتيان للسيوطي ٤١٨/١. قال الجوهرى في الصحاح (طرجهال): الطرجهالة: كالفنجانة، معروفة.

(٥) القراءات الشاذة ص ٦٤، والمحتسب ٣٤٦/١، إلا أن ابن جنى قيدها بفتح الصاد، ولم يقيدها ابن خالويه، وذكرها الطبري ٢٤٩/١٣ وقال: كأنه وجَّهه إلى أنه مصدر من قولهم: صاغ يصوغ صَوْغاً. وقال أبو حيان في البحر ٣٣٠/٥: وقرأ الحسن وابن جبير: «صَوَاع» بالغين المعجمة على وزن: غُرَاب، وقرأ يحيى بن يعمر كذلك إلا أنه يحذف الألف ويسكِّن الواو. وينظر الدر المصون ٥٢٧/٦.

(٦) في (د) و(م): أصيغ.

(٧) وهي بفتح الصاد كما قيدها ابن جنى في المحتسب ٣٤٦/١، وهي في القراءات الشاذة ص ٦٤.

(٨) ذكرها ابن جنى في المحتسب ٣٤٦/١، وأبو حيان في البحر ٣٣٠/٥ عن عبد الله بن عون بن أبي أرتبان.

(٩) أخرجه عنه ابن الأنباري كما في الدر المنثور ٢٧/٤.

(١٠) القراءات الشاذة ص ٦٤، والمحتسب ٣٤٦/١.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَتَتْهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسِرْقُونَ﴾ أي: نادى منادٍ وأَعْلَمَ، و«أَذَّنَ» للتكثير، فكأنه نادى مراراً: «أَتَتْهَا الْعِيرُ». والعير: ما امتير عليه من الحميمير والإبل والبغال^(١). قال مجاهد: كان عيرهم حميراً^(٢). قال أبو عبيدة: العير: الإبل المرحولة المركوبة^(٣). والمعنى: يا أصحاب العير. كقوله: ﴿وَسَلَّى الْقَرْيَةَ﴾^(٤) [يوسف: ٨٢]، و: يا خيل الله اركبي، أي: يا أصحاب خيل الله، وسيأتي.

وهنا اعتراضان: الأول: إن قيل: كيف رضي بنيامين بالقعود طوعاً، وفيه عقوب الأب بزيادة الحزن، ووافقه على ذلك يوسف؟ وكيف نسب يوسف السرقة إلى إخوته وهم برّاء، وهو الثاني.

فالجواب عن الأول: أن الحزن كان قد غلب على يعقوب بحيث لا يؤثر فيه فقد بنيامين كل التأثير، أولاً تراه لما فقدّه قال: «يا أسفاً على يوسف»، ولم يعرج على بنيامين؟ ولعل يوسف إنمّا وافقه على القعود بوخي، فلا اعتراض.

وأما نسبة يوسف السرقة إلى إخوته؛ فالجواب: أن القوم كانوا قد سرقوه من أبيه فألقوه في الجُبِّ، ثم باعوه، فاستحقوا هذا الاسم بذلك الفعل، فصَدَقَ إطلاق ذلك عليهم.

جواب آخر: وهو أنه أراد: أيتها العير حالكم حال السراق، والمعنى: إن شيئاً لغيركم صار عندكم من غير رضا الملك ولا علمه.

جواب آخر: وهو أن ذلك كان حيلةً لاجتماع شمله بأخيه، وفضله عنهم إليه^(٥)، وهذا بناء على أن بنيامين لم يعلم بدس الصاع في رَحْله، ولا أخبره بنفسه.

(١) تهذيب اللغة ٣/١٦٧.

(٢) أخرجه الطبري ١٣/٢٤٨.

(٣) زاد المسير ٤/٢٥٧.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/١٢٠.

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٠٨٢ - ١٠٨٣.

وقد قيل: إن معنى الكلام الاستفهام، أي: أَوَأَنْتُمْ لَسَارِقُونَ^(١)؟ كقوله: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ﴾ [الشعراء: ٢٢] أي: أَوَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمْنُهَا عَلَيَّ؟ والغرض ألا يُعْزَى إلى يوسف ﷺ الكذب.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا وَقَبِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَقْعُدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَقْعُدُ صُورَةَ الْمَلِكِ وَلَمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾﴾ فيه سبع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَلَمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ البعير هنا الجملُ في قول أكثر المفسرين^(٢). وقيل: إنه الحمار، وهي لغة لبعض العرب؛ قاله مجاهدٌ واختاره^(٣). وقال مجاهد: الزعيم هو المؤذن الذي قال: «أَيَّتُهَا الْعَبِيرُ»^(٤). والزعيم والكفيل والحميل والضمين والقيل سواء، والزعيم: الرئيس. قال امرؤ القيس^(٥):

وإِنِّي زَعِيمٌ إِنْ رَجَعْتُ مُمْلِكًا بِسَيْرٍ تَرَى مِنْهُ الْفُرَانِقَ أَزُورًا^(٦)
وقالت ليلي الأَخِيلِيَّةُ تَرثِي أَخَاهَا^(٧):

(١) ينظر مجمع البيان ٩٥/١٣.

(٢) النكت والعيون ٦٢/٣.

(٣) أخرجه الطبري ٢٥٢/١٣ - ٢٥٣، وهو في تفسير مجاهد ٣١٨/١.

(٤) أخرجه الطبري ٢٥٣/١٣، وهو في تفسير مجاهد ٣١٨/١.

(٥) قوله: امرؤ القيس، من (ظ).

(٦) ديوان امرئ القيس ص ٦٦. والفُرَانِق: الأسد، أو سُبُع يصيح بين يديه وهو شبيه بابن آوى وهو معرَّبُ «بروانك». معجم متن اللغة (فرنق). وأزور: مائل، أو الذي يُقْبَل على شيء إذا اشتد السير. القاموس (زور).

(٧) كذا ذكر المصنف، والذي ذكره أبو إسحاق الوطواط في غرر الخصائص الواضحة ص ٢٣ أنها قالت هذه الأبيات في توبة الحميري. وهو الصواب، وقصة توبة بن الحمير مع ليلي الأخيلية مشهورة. ينظر الأغاني ٢٠٣/١١ - ٢٥٠.

وَمُخَرَّقٍ عَنْهُ الْقَمِيصُ تَخَالُهُ وَسَطَ الْبُيُوتِ مِنَ الْحَيَاءِ سَقِيمًا^(١)
حَتَّى إِذَا رُفِعَ اللَّوَاءُ رَأَيْتَهُ يَوْمَ الْهَيَاجِ عَلَى الْخَمِيسِ زَعِيمًا^(٢)

الثانية: إن قيل: كيف ضَمِنَ حِمْلَ البعير وهو مجهول، وضمان المجهول لا يصح؟ قيل له: حِمْلُ البعير كان معيَّنًا معلومًا عندهم كالوَسْق، فصَحَّ ضمانه^(٣). غير أنه كان بَدَلَ مالٍ للشارق، ولا يَحِلُّ للشارق ذلك، فلعله كان يصحُّ في شَرْعِهِمْ. أو كان هذا جِعَالَةً وبَدَلَ مالٍ لمن^(٤) يَفْتَشُ ويطلب.

الثالثة: قال بعض العلماء: في هذه الآية دليلان: أحدهما: جوازُ الجُعْل، وقد أُجِيزَ للضرورة؛ فإنه يجوز فيه من الجهالة ما لا يجوز في غيره^(٥). فإذا قال الرجل: مَنْ فَعَلَ كَذَا فَلَهُ كَذَا، صحَّ. وشأنُ الجُعْل أن يكون أحدُ الطرفين معلومًا، والآخرُ مجهولًا للضرورة إليه، بخلاف الإجارة؛ فإنه يتقدَّر فيها العَوَضُ والمُعَوَّضُ من الجهتين^(٦). وهو من العقود الجائزة التي يجوز لأحدهما فُسْخُها، إلَّا أنَّ المَجْعُولَ له يجوز أن يفسخه قبل الشروع وبعده إذا رَضِيَ بإسقاط حقِّه، وليس للجاعل أن يفسخه إذا شَرَعَ المَجْعُولُ له في العمل^(٧). ولا يُشترط في عقد الجُعْل حضورُ المتعاقدين كسائر العقود؛ لقوله: «وَلَمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ». وبهذا كلُّه قال الشافعي^(٨).

(١) في النسخ: يوم اللقاء، والمثبت من المصادر على ما يأتي.

(٢) الشعر والشعراء ٧٠٤/٢، وأمالى القالي ٢٤٨/١، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١٦٠٩/٤، وذكر القالي عن الأصمعي أنه كان يرويها لحميد بن ثور، وهما في ديوان حميد ص ١٣١. ووقع في هذه المصادر: تحت اللواء، بدل: يوم الهياج. والخميس يعني الجيش. تهذيب اللغة ١٩٣/٧.

(٣) النكت والعيون ٦٢/٣.

(٤) بعدها في (م): كان.

(٥) ينظر النكت والعيون ٦٣/٣.

(٦) ينظر أحكام القرآن لابن العربي ١٠٨٤/٣ - ١٠٨٥.

(٧) ينظر المتقى ١١١/٥.

(٨) المهذب ٤١٨/١ - ٤١٩، إلا أن الشيرازي ذكر أنه يجوز فسْخُ الجاعل العقد بعد الشروع في العمل، ويلزمه أجرة المثل لما عُيِّل.

الرابعة: متى قال الإنسان: مَنْ جاء بعبدِي الآبَقِ فله دينارٌ، لزمه ما جَعَلَه فيه إذا جاء به، فلو جاء به من غير ضمانٍ، لزمه إذا جاء به على طلب الأجرة، وذلك أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «مَنْ جاء بِآبَقٍ فله أربعونَ درهماً»^(١) ولم يَفْصِلْ بين مَنْ جاء به مِنْ عَقْدِ ضمانٍ أو غيرِ عقد. قال ابن خُوَيزَمَنَدَاد: ولهذا قال أصحابنا: إِنَّ مَنْ فَعَلَ بِالْإِنْسَانِ ما يجب عليه أن يفعله بنفسه من مصالحه لزمه ذلك، وكان له أَجْرٌ مثله إِنْ كان ممن يفعل ذلك بالأجر^(٢).

قلت: وخالفنا في هذا كُلُّه الشافعي^(٣).

الخامسة: الدليل الثاني: جوازُ الكفالة على الرجل؛ لأنَّ المؤدَّن الضامن هو غيرُ يوسفَ عليه السلام، قال علماؤنا: إذا قال الرجل: تَحَمَّلْتُ، أو تَكْفَّلْتُ، أو ضمنتُ، أو أنا حَمِيلٌ لك، أو زعيم، أو كَفِيل، أو ضامن، أو قَبِيل، أو هو لك عندي، أو عليّ، أو إليّ، أو قِبَلِي، فذلك كُلُّه حَمَالَةٌ لازمة^(٤).

وقد اختلف الفقهاء فيمن تكفل بالنفس أو بالوجه؛ هل يلزمه ضمان المال أم لا؟ فقال الكوفيون: مَنْ تَكْفَّلَ بِنَفْسِ رَجُلٍ لم يلزمه الحقُّ الذي على المطلوب إن مات، وهو أحدُ قولِي الشافعيّ في المشهور عنه. وقال مالك والليث والأوزاعي: إذا تَكْفَّلَ بنفسه وعليه مالٌ، فإنَّه إِنْ لم يَأْتِ به غَرِمَ المال، وَيَرْجِعُ به على المطلوب، فإن اشترط ضمانَ نفسه أو وجهه وقال: لا أضمن المالَ، فلا شيءَ عليه من المال.

والحجة لمن أوجب غُرْمَ المال: أَنَّ الكفيل قد علم أَنَّ المضمونَ وَجْهَهُ لا يُطْلَبُ

(١) لم نقف عليه مرفوعاً، وأخرجه محمد بن الحسن في الحجة ٧٣٤/٢ - ٧٤١، والبيهقي ٢٠٠/٦ عن ابن مسعود ؓ موقوفاً. وأخرجه ابن أبي شيبة كما في نصب الراية ٤٧٠/٣ عن عمر ؓ موقوفاً أيضاً. وينظر المحلى ٢٠٨/٨.

(٢) ينظر عقد الجواهر الثمينة ٥/٣.

(٣) ينظر المذهب ٤١٩/١، والتبيين ص ١٢٦.

(٤) عقد الجواهر الثمينة ٦٥٧/٢.

بدم، وإنما يُطلب بمال، فإذا ضمنه له ولم يأت به فكأنه فوّته عليه، وعزّه^(١) منه؛ فلذلك لزمه المال. واحتجّ الطّحاويّ للكوفيين فقال: أمّا ضمان المال بموت المكفول به فلا معنى له؛ لأنه إنما تكفّل بالنفس ولم يتكفّل بالمال، فمحال أن يلزمه ما لم يتكفّل به^(٢).

السادسة: واختلف العلماء إذا تكفّل رجلٌ عن رجلٍ بمال؛ هل للطالب أن يأخذ من شاء منهما؟ فقال الثوريّ والكوفيّون والأوزاعيّ والشافعيّ وأحمد وإسحاق: يأخذ من شاء منهما^(٣) حتى يستوفيّ حقّه، وهذا كان قول مالِك، ثم رجع عنه فقال: لا يؤخذ الكفيلُ إلّا أن يُفلس الغريمُ أو يغيب؛ لأنّ التّبديّة بالذي عليه الحقّ أولى، إلّا أن يكون مُعدّماً؛ فإنه يؤخذ من الحميل؛ لأنه معذور في أخذه في هذه الحالة. وهذا قول حسن. والقياس: أن للرجل مطالبة أيّ الرجلين شاء.

وقال ابن أبي ليلي: إذا ضمن الرجلُ عن صاحبه مالاً تحوّل على الكفيل، وبرئ صاحب الأصل، إلّا أن يشترط المكفولُ له عليهما أن يأخذ أيّهما شاء. واحتجّ ببراءة الميت من الدّين بضمان أبي قتادة، وبنحوه قال أبو ثور^(٤).

السابعة: الزعامة لا تكون إلّا في الحقوق التي تجوز النيابة فيها، مما يتعلّق بالذمّة من الأموال، وكان ثابتاً مستقراً، فلا تصحّ الحماله بالكتابة؛ لأنّها ليست بدين ثابت مستقر؛ لأنّ العبد إن عجز؛ رَقَّ وانفسخت الكتابة، وأمّا كلُّ حقٍّ لا يقوم به أحدٌ

(١) في (د) و(ظ): وغره.

(٢) مختصر اختلاف العلماء للجصاص ٢٥٣/٤ - ٢٥٥، واختلاف الفقهاء للطبري ص ٢٠٨ - ٢١١.

(٣) قوله: منهما، من (ظ).

(٤) ينظر مختصر اختلاف العلماء للجصاص ٢٥٥/٤ - ٢٥٨، والإشراف لابن المنذر ١١٨/١ - ١١٩، والاستذكار ٢٢/٢٧٥ - ٢٧٦. والحديث أخرجه أحمد (١٦٥١٠)، والبخاري (٢٢٩٥) عن سلمة بن الأكوع ؓ أن النبي ﷺ أتى بجنازة ليصلي عليها... فقال: «هل عليه من دين؟» قالوا: نعم، قال: «صلّوا على صاحبكم» قال أبو قتادة: علّيّ دينه يا رسول الله. فصلى عليه. وأخرجه أحمد (١٤١٥٩) من حديث جابر ؓ، و(٢٢٥٤٣) من حديث أبي قتادة ؓ.

عن أحد كالحدود؛ فلا كفالة فيه^(١)، وُسَجِّنَ الْمُدْعَى عَلَيْهِ الْحُدُّ حَتَّى يُنْظَرَ فِي أَمْرِهِ.
 وشدَّ أبو يوسف ومحمدٌ فأجازا الكفالة في الحدود والقصاص، وقالوا: إذا قال
 المقذوف أو المدعي القصاص: بيّنتي حاضرة، كَفَلَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ^(٢)، واحتجَّ لهم
 الطَّحَاوِيُّ بما رواه حمزة بن عمرو عن عمرو^(٣). وابن مسعود وجرير بن عبد الله
 والأشعث أنهم حكموا بالكفالة بالنفس بمحضِّ الصحابة^(٤).

قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا
 سَرِيقِينَ ۖ﴾ **(٧١)** قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ **(٧٢)** قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي
 رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ **(٧٣)**

قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ﴾ يروى أنهم كانوا لا
 ينزلون على أحد ظلماً، ولا يَرْعَوْنَ زَرْعَ أَحَدٍ، وأنهم جعلوا^(٥) على أفواه إبليس
 الأكمة^(٦)؛ لئلا تعيث في زروع الناس. ثم قال^(٧): ﴿وَمَا كُنَّا سَرِيقِينَ﴾ يروى أنهم ردُّوا
 البضاعة التي كانت في رحالهم؛ أي: فَمَنْ رَدَّ مَا وَجَدَ؛ فكيف يكون سارقاً؟!^(٨).

(١) ينظر الإشراف ١/١٢٤ - ١٢٥، وأحكام القرآن لابن العربي ٣/١٠٨٤، وعقد الجواهر الثمينة ٢/٦٥٥.

(٢) مختصر اختلاف العلماء للجصاص ٣/٣٢٧، وينظر مختصر اختلاف الفقهاء للطبري ص ٢١٤.

(٣) الخبر في مختصر اختلاف العلماء ٤/٢٥٤، وشرح معاني الآثار ٣/١٤٧ مطول، وأخرجه مختصراً البخاري (٢٢٩٠) عن حمزة بن عمرو الأسلمي: أن عمر رضي الله عنه مصدقاً، فوقع رجل على جارية امرأته، فأخذ حمزة من الرجل كفيلاً حتى قدم على عمر، وكان عمر قد جلده مئة جلدة، فصدقهم وعذره بالجهالة.

(٤) ذكره البخاري إثر خبر حمزة بن عمرو معلقاً مختصراً، ووصله البيهقي مطولاً ١٠/١٦٩، وذكره الطحاوي مطولاً كذلك، كما في مختصر اختلاف العلماء ٤/٢٥٤ - ٢٥٥.

(٥) في (د) و(ز) و(م): جمعوا.

(٦) جمع كمامة، وهي ما يَكُمُّ به فم البعير. الصحاح (كمم).

(٧) في (ظ): قالوا.

(٨) ذكر هذا الخبر الثعلبي في عرائس المجالس ص ١٣٤، والبخاري ٢/٤٣٩، وابن عطية في المحرر الوجيز ٣/٢٦٥، وعزه ابن الجوزي في زاد المسير ٤/٢٦٠ لأبي صالح عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ المعنى: فما جزاء الفاعل إن بانَ كذبكم؟ فأجاب إخوة يوسف: ﴿جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ أي: يُستعبدُ ويُسترقُّ. «فَجَزَاؤُهُ» مبتدأ، و«مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ» خبره، والتقدير: جزاؤه استعباد مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ، فهو كناية عن الاستعباد. وفي الجملة معنى التوكيد، كما تقول: جزاء مَنْ سرق القطع فهذا جزاؤه^(١).

﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ أي: كذلك نفعل في الظالمين إذا سرقوا أن يُسترقُّوا، وكان هذا من دين يعقوب عليه السلام وحُكمه. وقولهم هذا قول مَنْ لم يَسْتَرْبِ بنفسه^(٢)؛ لأنهم التزموا استرقاق مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ، وكان حُكم السارق عند أهل مصر أن يُعْرَمَ ضِعْفِي مَا أَخَذَ؛ قاله الحسن والسدي وغيرهما^(٣).

مسألة: قد تقدّم في سورة المائدة أنَّ القطع في السرقة ناسخٌ لما تقدّم من الشرائع، أو لما كان في شرع يعقوب من استرقاق السارق^(٤)، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿بَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِي ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿بَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِي﴾ إنما بدأ يوسف برحالهم لنفي التهمة والريبة من قلوبهم إن بدأ بوعاء أخيه. والوعاء؛ يقال بضم الواو وكسر ها، لغتان^(٥)، وهو ما يُحفظ فيه المتاع ويصونه.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣٣٨/٢.

(٢) في (م): نفسه.

(٣) لم نقف عليه عن الحسن والسدي، وأخرجه عبد الرزاق في التفسير ٣٢٦/١ عن الكلبي، وذكره الماوردي في النكت والعيون ٦٤/٣ عن الضحاك.

(٤) ينظر ٤٤٩/٧ وما بعدها.

(٥) وضم الواو قراءة الحسن. ينظر المحاسب ٣٤٨/١.

﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِي﴾ يعني بنيامين، أي: استخرج السقاية، أو الصواع؛ عند مَنْ يُوْنُث^(١)، وقال: «وَلَمَنْ جَاءَ بِهِ»؛ فذَكَرَ.

فلَمَّا رَأَى ذَلِكَ إِخْوَتُهُ نَكَسُوا رُؤُوسَهُمْ، وَظَنُّوا الظُّنُونُ كُلَّهَا، وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِ وَقَالُوا: وَيْلَكَ يَا بَنِيَامِينَ، مَا رَأَيْنَا كَالْيَوْمِ قَطُّ، وَلَدْتَ أُمُّكَ رَاحِيلَ أَخَوَيْنِ لَصِيْنٍ! قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ: وَاللَّهِ مَا سَرَقْتُهُ، وَلَا عَلِمَ لِي بِمَنْ وَضَعَهُ فِي مَتَاعِي. وَيُرَوَّى أَنَّهُمْ قَالُوا لَهُ: يَا بَنِيَامِينَ، أَسَرَقْتَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ! قَالُوا: فَمَنْ جَعَلَ الصُّوَاعَ فِي رَحْلِكَ؟ قَالَ: الَّذِي جَعَلَ الْبِضَاعَةَ فِي رَحَالِكُمْ.

ويقال: إِنَّ الْمَفْتَشَّ كَانَ إِذَا فَرَّغَ مِنْ رَحْلِ رَجُلٍ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَائِبًا مِنْ فِعْلِهِ ذَلِكَ. وَظَاهِرُ كَلَامِ قَتَادَةَ وَغَيْرِهِ أَنَّ الْمُسْتَغْفَرَ كَانَ يُوسُفَ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَفْتَشُّهُمْ وَيَعْلَمُ أَيْنَ الصُّوَاعُ، حَتَّى فَرَّغَ مِنْهُمْ وَانْتَهَى إِلَى رَحْلِ بَنِيَامِينَ فَقَالَ: مَا أَظُنُّ هَذَا الْفَتَى رَضِيَ بِهَذَا وَلَا أَخَذَ شَيْئًا، فَقَالَ لَهُ إِخْوَتُهُ: وَاللَّهِ لَا نَبْرَحَ^(٢) حَتَّى تُفْتَشَّهُ، فَهُوَ أَطْيَبُ لِنَفْسِكَ وَنَفُوسِنَا، فَافْتَشَّ، فَأَخْرَجَ السَّقَايَةَ، وَهَذَا التَّفْتِيشُ مِنْ يُوسُفَ يَقْتَضِي أَنَّ الْمُؤَدَّنَ سَرَقَهُمْ بِرَأْيِهِ. فَيَقَالُ: إِنَّ جَمِيعَ ذَلِكَ كَانَ بِأَمْرِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَيَقْوِي ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾^(٣).

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: «كِدْنَا» معناه: صَنَعْنَا؛ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٤). الْقُتَيْبِيُّ: دَبَّرْنَا^(٥).

(١) معاني القرآن للزجاج ١٢٢/٣، وإعراب القرآن للنحاس ٣٣٩/٢.

(٢) في (د): لَا تَبْرَحَ.

(٣) المحرر الوجيز ٢٦٦/٣، وخبر قَتَادَةَ أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ ٣٢٥ - ٣٢٦، والطبري ٢٥٩/١٣ - ٢٦٠. وينظر عرائس المجالس ص ١٣٥.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٢٦١/٤، وأخرجه الطبري ٢٦٣/١٣ - ٢٦٤، عن الضحَّاك والسدي وابن جريج.

(٥) ذكر الماوردي في النكت والعيون ٦٤/٣ هذا القول عن ابن عيسى، ولفظ ابن قتيبة في تفسير الغريب ص ٢٢٠: «كِدْنَا لِيُوسُفَ» أي: احْتَلْنَا، وَالْكِيدُ: الْحِيلَةُ.

ابن الأنباري^(١): أردنا؛ قال الشاعر:

كَادَتْ وَكَذَتْ وَتِلْكَ خَيْرُ إِرَادَةٍ لَوْ عَادَ مِنْ عَهْدِ الصَّبَا مَا قَدَّمَ مَضَى^(٢)

وفيه جوازُ التوصلِ إلى الأغراض بالحيل إذا لم تُخالَفْ شريعةٌ، ولا هُدمت أصلاً، خلافاً لأبي حنيفة في تجويزه الحيل، وإن خالفت الأصول، وخُرمَت التحليل^(٣).

الثانية: أجمع العلماء على أنَّ للرجل قبل حلول الحَوْل التصرف في ماله بالبيع والهبة إذا لم ينوِ الفرارَ من الصدقة، وأجمعوا على أنه إذا حال الحَوْل وأظْلَم الساعي أنه لا يَحِلُّ له التحيُّل ولا النقصان، ولا أن يفرِّق بين مجتمِع، ولا أن يَجْمَعَ بين متفرِّق. وقال مالك: إذا فَوَّت من ماله شيئاً ينوي به الفرارَ من الزكاة قبل الحول بشهرٍ أو نحوه، لزمته الزكاةُ عند الحول، أخذاً منه بقوله عليه الصلاة والسلام: «خَشِيةُ الصَّدَقَةِ». وقال أبو حنيفة: إن نوى بتفريقه الفرارَ من الزكاة قبل الحول بيوم لا يضرُّه؛ لأنَّ الزكاة لا تلزم إلَّا بتمام الحول، ولا يتوجَّه إليه معنى قوله: «خَشِيةُ الصَّدَقَةِ» إلَّا حيثنَّذ^(٤).

قال ابن العربي^(٥): سمعت أبا بكر محمد بن الوليد الفهري وغيره يقول: كان شيخنا قاضي القضاة أبو عبد الله محمد بن عليٍّ الدَّامَغَانِي^(٦) صاحب عشرة آلاف

(١) في الأضداد ص ٩٧.

(٢) تفسير الطبري ٣٩/١٦، والأضداد لابن الأنباري ص ٩٧، وهو فيهما برواية: لو عاد من لهو الصبابة ما مضى.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٨٨/٣.

(٤) الكلام من بداية المسألة قاله ابن بطال كما في فتح الباري ٣٣١/١٢. وقوله: «خشية الصدقة» سيأتي تخريجه عن أنس - ؓ - في حديث كتاب أبي بكر ؓ الذي كتبه له في فريضة الصدقة.

(٥) في أحكام القرآن ١٠٨٨/٣ وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٦) الحنفي، مفتي العراق، ولد بدامغان، وتفقه بخراسان، وقدم بغداد شاباً، ودام في القضاء ثلاثين سنة، وفي أولاده أئمة وقضاة، توفي سنة (٤٧٨هـ). السير ٤٨٥/١٨.

دينار من المال^(١)، فكان إذا جاء رأسُ الحول دعا بنيه فقال لهم: كَبِرْتُ سِنِّي، وَضَعُفْتُ قُوَّتِي، وهذا مالٌ لا أحتاجه فهو لكم. ثم يُخرجه، فيحمله الرجال على أعناقهم إلى دُورِ بنيه، فإذا جاء رأسُ الحول ودعا بنيه لأمرٍ قالوا: يا أبانا إنما أملنا حياتك، وأما المال فأَيُّ رغبةٍ لنا فيه ما دمتَ حياً، أنت ومالك لنا، فخذهُ إليك. ويسير الرجال به حتى يضعوه بين يديه، فيرُدُّهُ إلى موضعه. يريد بتبديل الملك إسقاط الزكاة على رأي أبي حنيفة في التفريق بين المجتمع، والجمع بين المتفرق، وهذا خَطْبٌ عظيم، وقد صنَّف البخاريُّ ﷺ [عليه] في جامعه كتاباً مقصوداً فقال: كتاب الحِيل^(٢).

قلت: وترجم فيه أبواباً منها: باب الزكاة وألَّا يفرَّق بين مجتمِع ولا يُجمع بين متفرَّق خشية الصدقة. وأدخل فيه حديث أنس بن مالك، وأنَّ أبا بكر كتب له فريضة الصدقة^(٣)....، وحديث طلحة بن عبيد الله أنَّ أعرابياً جاء إلى رسول الله ﷺ ثائر الرأس، الحديث، وفي آخره: «أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ» أو: «دَخَلَ الْجَنَّةَ إِنْ صَدَقَ». وقال بعض الناس: في عشرين ومئةٍ بعيرٍ حَقَّتَانِ، فَإِنْ أَهْلَكَهَا مُتَعَمِّداً، أَوْ وَهَبَهَا، أَوْ احتال فيها فراراً من الزكاة، فلا شيءَ عليه^(٤). ثم أردف بحديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يَكُونُ كَنْزُ أَحَدِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَجَاعاً أَقْرَعَ لَهُ زَيْبَتَانِ، وَيَقُولُ: أَنَا كَنْزُكَ» الحديث^(٥).

قال المهلب^(٦): إِنَّمَا قَصَدَ البخاريُّ في هذا الباب أَنْ يُعْرِفَكَ أَنَّ كُلَّ حِيلَةٍ يَتَحِيلُ بِهَا أَحَدٌ فِي إِسْقَاطِ الزَّكَاةِ فَإِنَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا مَنَعَ مِنْ جَمْعِ الْعَنَمِ

(١) في (م): عشرات.

(٢) صحيح البخاري طبعة فتح الباري ٣٢٦/١٢.

(٣) صحيح البخاري (٦٩٥٥)، وأخرجه مطولاً أحمد (٧٢).

(٤) صحيح البخاري (٦٩٥٦)، وحديث طلحة أخرجه أيضاً أحمد (١٣٩٠)، ومسلم (١١).

(٥) صحيح البخاري (٦٩٥٧)، وسلف ٤٣٨/٥.

(٦) كلامه بنحوه في فتح الباري ٣٣١/١٢.

وتفريقها خشية الصدقة، فهم منه هذا المعنى، وفهم من قوله: «أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ» أَنَّ مَنْ رَامَ أَنْ يَنْقُضَ^(١) شيئاً من فرائض الله بحيلة يحتالها أنه لا يفلح، ولا يقوم بذلك عُذْرُهُ عند الله، وما أجازاه الفقهاء من تصرف صاحب المال في ماله قُرْبَ حلول الحَوْلِ إنما هو ما لم يُرِدْ بذلك الهرب من الزكاة، وَمَنْ نَوَى ذلك فالإثم عنه غير ساقط، والله حَسِيبُهُ، وهو كَمَنْ فَرَّ من^(٢) صيام رمضان قبل رؤية الهلال بيوم، واستعمل سفيراً لا يحتاج إليه رغبة عن قَرْضِ الله الذي كتبه الله على المؤمنين، فالوعيد متوجّه عليه، أَلَا ترى عقوبة مَنْ مَنَعَ الزكاة يوم القيامة بأيّ وجه متعمداً كيف تَطَّوهُ الإبل^(٣)، ويمثّل له ماله شجاعاً أقرع؟! وهذا يدلّ على أَنَّ الفرار من الزكاة لا يَحِلُّ، وهو مُطَالَبٌ بذلك في الآخرة.

الثالثة: قال ابن العربي^(٤): قال بعض علماء الشافعية: في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كَذَبَ الْيُوسُفُ﴾^(٥) دليلٌ على وجه الحيلة إلى المباح^(٦) واستخراج الحقوق. وهذا وهمٌ عظيم. وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ قيل فيه: كما^(٧) مَكَّنَّا لِيُوسُفَ ملك نفسه عن امرأة العزيز مَكَّنَّا له مِلْكَ الأرض عن العزيز. أو مثله مما لا يُشِبُّه^(٨) ما ذَكَرَهُ.

(١) في (د) وفتح الباري: ينقص.

(٢) في (د) والفتح: عن.

(٣) أخرجه مطولاً أحمد (٧٥٦٣)، ومسلم (٩٨٧)، ومختصراً البخاري (٦٩٥٨) من حديث أبي هريرة ؓ.

(٤) في أحكام القرآن ١٠٨٨/٣.

(٥) في (د) و(ز) وأحكام القرآن: وكذلك مَكَّنَّا لِيُوسُفَ في الأرض، وفي (م): وكذلك مَكَّنَّا لِيُوسُفَ ما كان ليأخذ أخاه، والمثبت من (ظ)، وهو الموافق لما في أحكام القرآن للكلبي الطبري ٢٣٣/٣، وعنه نقل ابن العربي، وإياه عنى بقوله: قال بعض علماء الشافعية. وينظر أحكام القرآن للجصاص ١٧٦/٣. وقد سلف كلام الكلبي الطبري ص ٣٨٧ من هذا الجزء.

(٦) في أحكام القرآن لابن العربي والكلبي الطبري: دليل على جواز الحيلة في التوصل إلى المباح.

(٧) في النسخ الخطية: لما، والمثبت من (م) وأحكام القرآن لابن العربي.

(٨) في النسخ الخطية: إذ مثله لا يشبه.

قال الشَّفْعَوِيُّ^(١): ومثله قوله عز وجل: ﴿وَعُذِّ بِيدِكَ ضِعْفًا فَأَضْرِبْ يَدَهُ وَلَا تَحْتَسِبْ﴾ [ص: ٤٤]، وهذا ليس حيلة، إنما هو حَمْلٌ لليمين على الألفاظ أو على المقاصد.

قال الشفعوي: ومثله حديث أبي سعيد الخدري في عاملٍ خير، أنه أتى النبي ﷺ بتمرٍ جَنِيْبٍ، الحديث. ومقصودُ الشافعية من هذا الحديث أنه عليه الصلاة والسلام أمره أن يبيع جمعاً ويبتاع جَنِيْباً من الذي باع منه الجمع أو من غيره^(٢).

وقالت المالكية: معناه: من غيره؛ لئلا يكون جَنِيْباً بجمعٍ والدارهم رباً، كما قال ابن عباس: جريرةٌ بجريرةٍ والدرهم رباً^(٣).

قوله تعالى: ﴿فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ أي: سلطانه؛ عن ابن عباس^(٤). ابن عيسى: عَادَتُهُ^(٥)، أي: يظلم بلا حجة. مجاهد: في حكمه^(٦)، وهو استرقاق السُّرَّاقِ. ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي: إلا بأن يشاء الله أن يجعل السَّقَايةَ في رَحْله تَعَلَّةً وعذراً له. وقال قتادة: بل كان حكم الملك الضربُ والغُرْمُ ضعفين، ولكن شاء الله أن يُجْريَ على ألسنتهم حكمَ بني إسرائيل، على ما تقدّم^(٧).

قوله تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ﴾ أي: بالعلم والإيمان. وقرئ: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ﴾ بمعنى: نرفع من نشأ درجاتٍ، وقد مضى في «الأنعام»^(٨).

(١) نسبة إلى الإمام الشافعي رحمه الله، والكلام في أحكام القرآن للكنيا الطبري ٢٣٣/٣، وأحكام القرآن لابن العربي ١٠٨٨/٣ وعنه نقل المصنف.

(٢) قوله: أو من غيره، من (م) وأحكام القرآن لابن العربي، وسلف الكلام وتخريج الحديث ص ٣٨٧.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٨٩/٣، وخبر ابن عباس سلف نحوه ٢٩٧/٢ بلفظ: نهى ابن عباس عن دراهم بدراهم بينهما حريرة.

(٤) أخرجه الطبري ٢٦٤/١٣.

(٥) في (م): عاداته، والمثبت من النسخ الخطية موافق لما في النكت والعيون ٦٤/٣، والكلام منه.

(٦) أخرجه الطبري ٢٦٤/١٣ - ٢٦٦ عن قتادة والسدي وغيرهما.

(٧) ص ٤١٢ من هذا الجزء، وخبر قتادة ذكره الواحدي عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما في الوسيط ٦٢٤/٢.

(٨) ٤٤٥/٨، وقرأ بالتثنية عاصم وحزمة والكسائي. السبعة ص ٢٦١، والتيسير ص ١٠٤.

وقوله: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ روى إسرائيل، عن سَمَاكِ، عن عِكْرَمَةَ، عن ابن عباس قال: يكون ذا أَعْلَمَ مِنْ ذَا، وذا أَعْلَمَ مِنْ ذَا، واللّه فوق كلِّ عالم^(١).

وروى سفيان، عن عبد الأعلى، عن سعيد بن جبيرة قال: كنا عند ابن عباس رحمه الله، فتحدث بحديث فتعجب منه رجل فقال: سبحان الله! وفوق كلِّ ذي عِلْمٍ عليمٌ، فقال ابن عباس: بشّ ما قلت! الله العليم وهو فوق كلِّ عالم^(٢).

قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يَوْسُفُ فِي نَفْسِهِ. وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا يَبْنَئُهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعْنَا عَنْدَهُ إِنَّا إِذَا لَطَلِمُوكَ ﴿٧٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ المعنى: أي: اقتدى بأخيه، ولو اقتدى بنا ما سرق، وإنما قالوا ذلك ليبتروا^(٣) من فعله؛ لأنه ليس من أمهم، وأنه إن سرق فقد جذبته عرق أخيه السارق؛ لأن الاشتراك في الأنساب يُشاكل في الأخلاق.

وقد اختلفوا في السرقة التي نسبوا إلى يوسف: فروي عن مجاهد وغيره أن عمّة يوسف بنت إسحاق كانت أكبر من يعقوب، وكانت صارت إليها منطقة إسحاق لسنّها؛ لأنهم كانوا يتوارثون بالسّن، وهذا مما نسيخ حكمه بشرعنا، وكان من سرق استُعبد، وكانت عمّة يوسف حَصْنَتَهُ وأحبّه حبًّا شديدًا، فلمّا ترعرع وشبّ قال لها يعقوب: سلّمي يوسف إليّ، فلست أقدر أن يغيب عني ساعة، فولعت به، وأشفقت

(١) أخرجه الطبري ٢٦٨/١٣ - ٢٦٩، وابن أبي حاتم ٢١٧٧/٧ (١١٨٣٠)، وذكره ابن كثير عند تفسير

هذه الآية، ووقع عند الطبري: سالم، بدل: سَمَاكِ.

(٢) أخرجه عبد الرزاق ٣٢٦/١، والطبري ٢٦٨/١٣، وفيهما: الحمد لله، بدل: سبحان الله.

(٣) في (ظ): ليبتروا.

من فراقه، فقالت له: دَعُهُ عِنْدِي أَيَّامًا أَنْظُرَ إِلَيْهِ، فلما خرج من عندها يعقوبُ عَمَدَتْ إِلَى مِنطَقَةِ إِسْحَاقَ فَحَزَمَتْهَا عَلَى يَوْسُفَ مِنْ تَحْتِ ثِيَابِهِ، ثُمَّ قَالَتْ: لَقَدْ فَقَدْتُ مِنطَقَةً إِسْحَاقَ، فَانظُرُوا مَنْ أَخَذَهَا وَمَنْ أَصَابَهَا، فَالْتُمِسْتِ، ثُمَّ قَالَتْ: اكشِفُوا أَهْلَ الْبَيْتِ، فَكَشَفُوا فَوُجِدَتْ مَعَ يَوْسُفَ، فَقَالَتْ: إِنَّهُ وَاللَّهِ لِي سَلَمٌ أَصْنَعُ فِيهِ مَا شِئْتُ، ثُمَّ أَتَاهَا يَعْقُوبُ فَأَخْبَرْتَهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ لَهَا: أَنْتِ وَذَلِكَ، إِنْ كَانَ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ سَلَمٌ لَكَ، فَأَمْسَكْتَهُ حَتَّى مَاتَ، فَبِذَلِكَ عَيَّرَهُ إِخْوَتُهُ فِي قَوْلِهِمْ: ﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَكَ مِنْ قَبْلُ﴾^(١)، وَمِنْ هَاهُنَا تَعَلَّمَ يَوْسُفُ وَضَعَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ كَمَا عَمِلْتَ بِهِ عَمَّتُهُ^(٢).

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: إِنَّمَا أَمْرَتُهُ [أُمُّهُ] أَنْ يَسْرِقَ صَنَمًا كَانَ لَجَدِّهِ أَبِي أُمِّهِ، فَسَرَقَهُ وَكَسَرَهُ وَأَلْقَاهُ عَلَى الطَّرِيقِ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْهُمَا تَغْيِيرًا لِلْمُنْكَرِ، فَرَمَوْهُ بِالسَّرْقَةِ وَعَيَّرُوهُ بِهَا، وَقَالَ قَتَادَةُ. وَفِي كِتَابِ الزَّجَّاجِ: أَنَّهُ كَانَ صَنْمٌ ذَهَبٍ^(٣).

وَقَالَ عَطِيَّةُ الْعَوْفِيُّ: إِنَّهُ كَانَ مَعَ إِخْوَتِهِ عَلَى طَعَامٍ، فَنَظَرَ إِلَى عَرَقٍ^(٤) فَخَبَّأَهُ، فَعَيَّرُوهُ بِذَلِكَ.

وَقِيلَ: إِنَّهُ كَانَ يَسْرِقُ مِنْ طَعَامِ الْمَائِدَةِ لِلْمَسَاكِينِ؛ حَكَاهُ ابْنُ عِيسَى.

وَقِيلَ: إِنَّهُمْ كَذَّبُوا عَلَيْهِ فِيمَا نَسَبُوهُ إِلَيْهِ؛ قَالَ الْحَسَنُ^(٥).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَسْرَهَا يَوْسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبَيِّدْهَا لَهُمْ﴾ أَيُّ: أَسْرَ فِي نَفْسِهِ قَوْلُهُمْ: ﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَكَ مِنْ قَبْلُ﴾؛ قَالَ ابْنُ شَجَرَةَ وَابْنُ عِيسَى. وَقِيلَ: إِنَّهُ أَسْرَ فِي نَفْسِهِ قَوْلُهُ: ﴿أَنْتُمْ شَرُّ مَكَاثِلٍ﴾ ثُمَّ جَهَرَ فَقَالَ: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا

(١) أخرجه الطبري ٢٧٤/١٣.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٨٧/٣.

(٣) تفسير الطبري ٢٧٢/١٣ - ٢٧٣، ومعاني القرآن للزجاج ١٢٣/٣، والمحرر الوجيز ٢٦٧/٣، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٤) العَرَقُ بفتح العين وسكون الراء: العظم إذا أخذ عنه معظم اللحم. النهاية: (عرق)، وهذا القول في النكت والعيون ٦٥/٣.

(٥) النكت والعيون ٦٥/٣.

تَصِفُوتُ^(١). قاله ابن عباس^(٢)، أي: أنتم شرُّ مكاناً ممَّنْ نسبتموه إلى هذه السرقة. ومعنى قوله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُوتُ﴾ أي: الله أعلم أن ما قلتم كذب، وإن كانت لله رضا. وقد قيل: إن إخوة يوسف في ذلك الوقت ما كانوا أنبياء. قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾ خاطبوه باسم العزيز؛ إذ كان في تلك اللحظة بعزل الأول أو موته. وقولهم: ﴿إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ أي: كبير القدر، ولم يريدوا كِبَر السن؛ لأن ذلك معروف من حال الشيخ^(٣).

﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾ أي: عبداً بدله، وقد قيل: إن هذا مجاز؛ لأنهم يعلمون أنه لا يصح أخذ حرٍّ يُسْتَرْقُ بدل مَنْ قد أحكمت السنة عندهم رِقِّه، وإنما هذا كما تقول لمن تكره فعله: اقتلني ولا تفعل كذا وكذا، وأنت لا تريد أن يقتلك، ولكنك مبالغ في استزاليه. ويحتمل أن يكون قولهم: ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾ حقيقة، وبعيد عليهم وهم أنبياء أن يروا استرقاق حرٍّ، فلم يبق إلا أن يريدوا بذلك طريق الحَمَالَة؛ أي: خذ أحدا مكانه حتى ينصرف إليك صاحبك، ومقصدهم بذلك أن يصل بنيامين إلى أبيه، ويعرف يعقوب جليّة الأمر، فمنع يوسف عليه السلام من ذلك؛ إذ الحَمَالَة في الحدود ونحوها - بمعنى إحضار المضمون فقط - جائزة مع التراضي، غير لازمة إذا أبى الطالب، وأما الحَمَالَة في مثل هذا على أن يلزم الحَمِيل ما كان يلزم المضمون من عقوبة، فلا يجوز إجماعاً. وفي «الواضحة»: إن الحَمَالَة في الوجه فقط في جميع الحدود جائزة، إلا في النَّفْس^(٤). وجمهور الفقهاء على جواز الكفالة في النَّفْس. واختلف فيها عن الشافعي فمرة ضَعَفَهَا، ومرة أجازها [على المال]^(٥).

(١) المصدر السابق.

(٢) أخرجه الطبري ٢٧٦/١٣ دون قوله: ثم جهر فقال.

(٣) النكت والعيون ٦٦/٣.

(٤) المحرر الوجيز ٢٦٨/٣.

(٥) ينظر الاستذكار ٢٧٧/٢٢. وما بين حاصرتين منه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَزَّلْنَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدُوا وَصْفَهُ بِمَا رَأَوْا مِنْ إِحْسَانِهِ فِي جَمِيعِ أَفْعَالِهِ مَعَهُمْ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدُوا: إِنَّا نَرَى لَكَ إِحْسَانًا عَلَيْنَا فِي هَذِهِ الْيَدِ إِنْ أَسَدَيْتَهَا إِلَيْنَا، وَهَذَا تَأْوِيلُ ابْنِ إِسْحَاقَ^(١).

قوله تعالى: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ مُصَدِّرٌ ﴿أَنْ نَأْخُذَ﴾ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ، أَي: مَنْ أَنْ نَأْخُذَ ﴿إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا﴾ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ بِ «نَأْخُذَ» مَتَّعْنَا عَنْدَهُ ﴿أَي: مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ الْبَرِيءَ بِالْمُجْرِمِ، وَنُخَالِفَ مَا تَعَاقَدْنَا عَلَيْهِ. ﴿إِنَّا إِذَا أَطَّلَعْنَا عَلَيْهِ﴾ أَي: إِنْ نَأْخُذَ غَيْرَهُ.

قوله تعالى: ﴿قَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِيَ أَبِي أَوْ يَخُذَكُمْ اللَّهُ إِلَيَّ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ﴾ أَي: يَيْسُوا، مِثْلَ عَجَبٍ وَاسْتَعْجَبَ، وَسَخِرَ وَاسْتَسَخَرَ. ﴿خَلَصُوا﴾ أَي: انفردوا، وَلَيْسَ هُوَ مَعَهُمْ. ﴿نَجِيًّا﴾ نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ مِنَ الْمُضْمَرِّ فِي «خَلَصُوا»، وَهُوَ وَاحِدٌ يُوَدِّي عَنْ جَمْعٍ، كَمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَيَقَعُ عَلَى الْوَاحِدِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَرْنَتْهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢] وَجَمْعُهُ أَنْجِيَّةٌ، قَالَ الشَّاعِرُ:
إِنِّي إِذَا مَا الْقَوْمُ كَانُوا أَنْجِيَّةً واضطرب القوم اضطراب الأَرَشِيَّةِ
هَنَّاكَ أَوْصِيَنِي وَلَا تُوصِي بِيَّةً^(٢)

وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ: «اسْتَايَسُوا»، «وَلَا تَايَسُوا» «إِنَّهُ لَا يَايَسُ» [٨٧] «أَفَلَمْ يَايَسْ» [الرعد: ٣١] بِالْأَلِفِ مِنْ غَيْرِ هَمْزٍ عَلَى الْقَلْبِ^(٣)، قُدِّمَتِ الْهَمْزَةُ وَأُخِّرَتِ الْيَاءُ، ثُمَّ قُلِبَتْ

(١) المحرر الوجيز ٢٦٩/٣.

(٢) الرجز نسبته في اللسان: (نجا) إِلَى سُحَيْمِ بْنِ وَثِيلِ الْيَزُوعِيِّ، وَذَكَرَ أَنَّ هُنَاكَ بَكْسَرُ الْكَافِ بِخَطِّ عَلِيِّ بْنِ حَمْزَةٍ، وَيَخْطُهُ أَيْضًا: أَوْصِيَنِي وَلَا تُوصِي، بِإِثْبَاتِ الْيَاءِ؛ لِأَنَّهُ يَخَاطَبُ مُؤَنَّثًا. وَهِيَ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلزَّجَاجِ ١٢٤/٣ مِنْ غَيْرِ نِسْبَةٍ. وَالْأَرَشِيَّةُ، جَمْعُ رِشَاءٍ. وَهُوَ الْحَبْلُ. الْقَامُوسُ (رِشَاءٌ). وَقِيلَ فِي مَعْنَى الرِّجْزِ: إِنَّهُ ضَرَبَهُ مِثْلًا لِلزُّوْلِ الْأَمْرِ الْمَهْمِ، وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ. اللِّسَانُ (نَجَا).

(٣) هِيَ قِرَاءَةُ ابْنِ كَثِيرٍ فِي رِوَايَةِ الْبَزِيِّ بِخَلْفِ عَنْهُ، وَكَذَلِكَ قَوْلُ: «اسْتَايَسْ» [الآية: ١١٠] وَالْوَجْهَ الثَّانِي لِلْبَزِيِّ كَالْجَمَاعَةِ. السَّبْعَةُ ص ٣٥، وَالتَّيْسِيرُ ص ١٢٩.

الهمزة ألفاً؛ لأنها ساكنة قبلها فتحة، والأصل قراءة الجماعة؛ لأن المصدر ما جاء إلا على تقديم الياء: يأساً، والإيأس ليس بمصدرٍ أيس، بل هو مصدرٌ أُسْتُه أَوْساً وإياساً، أي: أعطيته^(١). وقال قوم: أيس ويس لغتان.

أي: فلما يسئوا من ردّ أخيهم إليهم تشاوروا فيما بينهم لا يُخالطهم غيرهم من الناس، يتاجون فيما عَرَضَ لهم. والنَّجِي: فعيلٌ بمعنى المُناجي.

قوله تعالى: ﴿قَالَ كَبُرْتُمْ﴾ قال قتادة: هو روبيل، كان أكبرهم في السن. مجاهد: هو شمعون، كان أكبرهم في الرأي. وقال الكلبي: يهوذا، وكان أعقلهم^(٢). وقال محمد بن كعب وابنُ إسحاق: هو لاوي، وهو أبو الأنبياء.

﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ آبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوَثِقًا مِنَ اللَّهِ﴾ أي: عهداً من الله في حفظ ابنه وردّه إليه. ﴿وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ «ما» في محلّ نصبٍ عطفاً على «أَنَّ» والمعنى: ألم تعلموا أن آباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله، وتعلموا تفريطكم في يوسف، ذكره النحاس^(٣) وغيره. و«من» في قوله: ﴿وَمِنْ قَبْلُ﴾ متعلّقة بـ «تعلموا». ويجوز أن تكون «ما» زائدة، فيتعلّق الظرفان اللذان هما «من قبل» و«في يوسف» بالفعل وهو «فَرَّطْتُمْ». ويجوز أن تكون «ما» والفعلُ مصدرًا، و«من قبل» متعلّقة بفعلٍ مضمرٍ، التقدير: تفريطكم في يوسف وقع^(٤) من قبل، فـ «ما» والفعلُ في موضع رفع بالابتداء، والخبرُ هو الفعل المضمر الذي يتعلق به «من قبل»^(٥).

﴿فَلَنَ أَبْرَحَ الْأَرْضَ﴾^(٦) أي: الزمها، ولا أبرحُ مقيماً فيها، يقال: برحَ بَراحاً

(١) الحجة للفارسي ٤/٤٣٤.

(٢) النكت والعيون ٦٧/٣، وتفسير البغوي ٢/٤٤٢.

(٣) إعراب القرآن ٢/٣٤١.

(٤) في النسخ: واقع، وكلاهما صحيح، والمثبت أنسب لسياق الكلام. ينظر الدر المصون ٦/٥٣٩.

(٥) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٤٠ - ٣٤١، ومعاني القرآن للزجاج ٣/١٢٤ - ١٢٥.

(٦) بعدها في (ظ): أي من الأرض.

وَبُرُوحًا، أَي: زال، فإذا دخل النفي صار مثبتاً. ﴿حَتَّى يَأْذَنَ لِأَبِي﴾ بالرجوع؛ فلاني أستحي منه. ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾ بالمسير^(١) مع أخي فأمضي معه إلى أبي. وقيل: المعنى: أو يحكم الله لي بالسيف فأحارب وأخذ أخي، أو أعجز فأنصرف بعذر، وذلك أن يعقوب قال: ﴿لَتَأْتِيَ بِوَهٍّ إِلَّا أَنْ يَحَاطَ بِكُمْ﴾ ومن حارب وعجز فقد أحيط به. قال ابن عباس: وكان يهوذا إذا غضب وأخذ السيف فلا يردُّ وجهه مئة ألف، يقوم شعره في صدره مثل المسال فتتفد من ثيابه.

وجاء في الخبر: أن يهوذا قال لإخوته - وكان أشدهم غضباً -: إما أن تكفوني الملكَ ومن معه، أكفكم أهل مصر، وإما أن تكفوني أهل مصر، أكفكم الملكَ ومن معه، قالوا: بل اكفنا الملكَ ومن معه، نكفك أهل مصر، فبعث واحداً من إخوته فعثوا أسواق مصر، فوجدوا فيها تسعة أسواق، فأخذ كل واحدٍ منهم سوقاً، ثم إنَّ يهوذا دخل على يوسف وقال: أيُّها الملك، لئن لم تُخلِّ معنا أخانا لأصبحنَّ صيحةً لا تبقى في مدينتك حامل^(٢) إلا أسقطت ما في بطنها؛ وكان ذلك خاصاً^(٣) فيهم عند الغضب؛ فأغضبه يوسف وأسمعه كلمةً، فغضب يهوذا واشتدَّ غضبه، وانتفجت شعرائه؛ وكذا كان كل واحدٍ من بني يعقوب؛ كان إذا غضب، اقشعرَّ جلده، وانتفخ جسده، وظهرت شعرائ ظهره من تحت الثوب، حتى تقطر من كل شعرة قطرة دم؛ وإذا ضرب الأرض برجله، تزلزلت وتهدم البنيان، وإن صاح صيحةً، لم تسمعه حاملٌ من النساء والبهائم والطير إلا وضعت ما في بطنها، تماماً أو غير تمام، فلا يهدأ غضبه إلا أن يسفك دماً، أو تمسكه يدٌ من نسل يعقوب؛ فلما علم يوسف أنَّ غَضَبَ أخيه يهوذا قد تمَّ وكُمِّل، كلَّم ولدأ له صغيراً بالقبطية، وأمره أن يضع يده بين كتفي يهوذا من حيث لا يراه؛ ففعل، فسكن غضبه، وألقى السيف، فالتفت يميناً

(١) في (د) و(م): بالمر.

(٢) في (م): حاملاً.

(٣) في (م): خاصة.

وشمالاً لعله يرى أحداً من إخوته، فلم يرَهُ؛ فخرج مسرعاً إلى إخوته وقال: هل حضرنى منكم أحد؟ قالوا: لا! قال: فأين ذهب شمعون؟ قالوا: ذهب إلى الجبل، فخرج فلقيه وقد احتمل صخرة عظيمة، قال: ما تصنع بهذه؟ قال: أذهب إلى السوق الذي وقع في نصيبي أشدخ بها رؤوس كلِّ مَنْ فيه، قال: فارجع فرُدّها، أو ألقها في البحر، ولا تُحدثنَّ حدثاً، فوالذي اتخذه إبراهيم خليلاً، لقد مسّني كُفٌّ من نسل يعقوب! ثم دخلوا على يوسف، وكان يوسف أشدهم بطشاً، فقال: يا معشر العبرانيين! أتظنون أنه ليس أحدٌ أشدَّ منكم قوّة؟ ثم عمد إلى حَجَرٍ عظيم من حجارة الطاحونة، فركّله برجله، فدحا به من خلف الجدار - الرُّكْلُ: الضَّرْبُ بالرجل الواحدة، وقد ركّله يركّله؛ قاله الجوهري^(١) - ثم أمسك يهوذا بإحدى يديه، فصّره لجنبه، وقال: هاتِ الحدادين^(٢) أقطع أيديهم وأرجلهم، وأضرب أعناقهم، ثم صعد على سريره، وجلس على فراشه، وأمر بضواعه، فوضّع بين يديه، ثم نقره نقرّة، فخرج طنينه، فالتفت إليهم وقال: أترّدون ما يقول؟ قالوا: لا! قال: فإنه يقول: إنه ليس على قلب أبي هؤلاء هم ولا غم ولا كربٌ إلا بسببهم، ثم نقر نقرّة ثانية وقال: إنه يخبرني أنّ هؤلاء أخذوا أحاً لهم صغيراً، فحسدوه ونزعوه من أبيهم، ثم أتلّفوه. فقالوا: أيّها العزيز! استر علينا، ستر الله عليك، وامنن علينا، منّ الله عليك، فنقره نقرّة ثالثة وقال: إنه يقول: إنّ هؤلاء طرّحوا صغيرهم في الجُبِّ، ثم باعوه بيع العبيد بثمان بَخْسٍ، وزعموا لأبيهم أنّ الذئب أكله، ثم نقره رابعة وقال: إنه يخبرني أنّكم أذنبتم ذنباً منذ ثمانين سنة، لم تستغفروا الله منه، ولم تتوبوا إليه، ثم نقره خامسة وقال: إنه يقول: إنّ أخاهم الذي زعموا أنّه هلك لن تذهب الأيام حتى يرجع فيخبر الناس بما صنعوا، ثم نقره سادسة وقال: إنه يقول: لو كنتم أنبياء أو بني أنبياء، ما كذبتُم، ولا عَقَقْتُم والدكم، لأجعلنكم نكالا للعالمين، ايتوني بالحدادين^(٣) أقطع

(١) قوله: الركل الضرب، إلى هذا الموضع، ليس في (ظ)، وينظر الصحاح (ركل).

(٢) في (د): الجدادين، وفي (ظ): الجلادين.

(٣) في (ظ): بالجلادين.

أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلَهُمْ، فَتَضَرَّعُوا وَبَكَوْا، وَأَظْهَرُوا التَّوْبَةَ وَقَالُوا: لَوْ قَدْ أَصْبْنَا أَخَانَا يَوْسُفَ إِذْ هُوَ حَيٌّ لَنَكُونَنَّ طَوْعَ يَدِهِ، وَتَرَاباً يَطَّأُ عَلَيْنَا بِرِجْلِهِ؛ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ يَوْسُفُ مِنْ إِخْوَتِهِ، بَكَى، وَقَالَ لَهُمْ: اخْرُجُوا عَنِّي، قَدْ خَلَّيْتُ سَبِيلَكُمْ إِكْرَاماً لِأَيِّكُمْ، وَلَوْلَا هُوَ لَجَعَلْتُكُمْ نَكَالاً^(١).

قوله تعالى: ﴿أَرْجِعُوا إِلَيَّ أَيُّكُمْ فَقُولُوا يَتَّأَبَانَا إِنَّكَ ابْنُكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ ﴿٨١﴾

قوله تعالى: ﴿أَرْجِعُوا إِلَيَّ أَيُّكُمْ﴾ قاله الذي قال: «فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ». ﴿فَقُولُوا يَتَّأَبَانَا إِنَّكَ ابْنُكَ سَرَقَ﴾ وقرأ ابنُ عباس والضَّحَّاك وأبو رزِين: «إِنَّ ابْنُكَ سَرَقَ»^(٢). النَّحَّاس^(٣): وحدثني محمد بنُ أحمد بنِ عمر قال: حَدَّثَنَا ابْنُ شَادَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي سُرَيْجٍ الْبَغْدَادِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ الْكَسَائِيَّ يَقْرَأُ: «يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنُكَ سَرَقَ» بِضَمِّ السِّينِ وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ مَكْسُورَةً؛ عَلَى مَا لَمْ يُسَمِّ فَاعِلُهُ؛ أَي: نُسِبَ إِلَى السَّرْقَةِ وَرُمِيَ بِهَا، مِثْلَ خَوْنَتِهِ وَفَسَقَتِهِ وَفَجَّرَتِهِ: إِذَا نُسِبَتْ إِلَى هَذِهِ الْخِلَالِ.

وقال الزَّجَّاج^(٤): «سَرَقٌ» يَحْتَمِلُ مَعْنِيَيْنِ: أَحَدُهُمَا: عُلِمَ مِنْهُ السَّرَقُ، وَالْآخَرُ: اتَّهَمَ بِالسَّرَقِ. قَالَ الْجَوْهَرِيُّ^(٥): وَالسَّرِقُ وَالسَّرِيقَةُ - بِكسر الراءِ فِيهِمَا - هُوَ اسْمُ الشَّيْءِ الْمَسْرُوقِ، وَالْمَصْدَرُ: سَرَقَ يَسْرِقُ سَرَقًا، بِالْفَتْحِ.

(١) أخرجه بنحوه الطبري في التفسير ١٣/٢٧٧ - ٢٧٩، وفي تاريخه ١/٣٥٥ - ٣٥٦، وابن أبي حاتم في التفسير ٧/٢١٧٩ (١١٨٣٨)، عن السُّدِّي، وينظر تفسير أبي الليث ٢/١٧٢، وعرائس المجالس للعلبي ص ١٣٥ - ١٣٦، والنكت والعيون ٣/٦٥ - ٦٦، وتفسير البغوي ٢/٤٤١ - ٤٤٢، وزاد المسير ٤/٢٦٤ - ٢٦٥، وجاء في المصادر أن الداخل على الملك هو روبيل، وليس يهودا.

(٢) تفسير البغوي ٢/٤٤٣، والمححر الوجيز ٣/٢٧٠.

(٣) معاني القرآن ٤/٤٥٢، وإعراب القرآن ٢/٣٤١.

(٤) في معاني القرآن ٣/١٢٥.

(٥) في الصحاح (سرق).

قوله تعالى: ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا﴾.

فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: «وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا» يريدون ما شهدنا قط إلا بما علمنا، وأما الآن فقد شهدنا بالظاهر وما نعلم الغيب؛ كأنهم وقعت لهم تهمة من قول بنيامين: دَسَّ هذا في رحلي مَنْ دَسَّ بضاعتكم في رحالكُم؛ قال معناه ابنُ إسحاق. وقيل: المعنى: ما شهدنا عند يوسف بأن السارق يُسْتَرَقُّ إلا بما علمنا من دينك؛ قاله ابنُ زيد^(١).

﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ أي: لم نعلم وقتَ أَخْذِنَاهُ مِنْكَ أَنَّهُ يَسْرِقُ، فلا نأخذه^(٢). وقال مجاهد وقتادة: ما كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّ ابْنَكَ يُسْتَرَقُّ وَيَصِيرُ أَمْرُنَا إِلَى هَذَا، وَإِنَّمَا قُلْنَا: نَحْفَظُ أَخَانَا فِيمَا نُطِيقُ^(٣). وقال ابنُ عباس: يَعْنُونَ أَنَّهُ سَرَقَ لَيْلًا وَهُمْ نِيَامٌ. وَالْغَيْبُ هُوَ اللَّيْلُ بِلُغَةِ حِمِيرٍ^(٤)؛ وعنه: ما كُنَّا نَعْلَمُ مَا يَصْنَعُ فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ وَذَهَابِهِ وَإِيَابِهِ^(٥). وقيل: ما دام بمرأى مِنَّا، لم يَجْرِ خَلَلٌ، فلما غاب عَنَّا خَفِيتْ عَنَّا حالاته. وقيل معناه: قد أَخَذْتَ السَّرْقَةَ مِنْ رَحْلِهِ، وَنَحْنُ أَخْرَجْنَاهَا وَنَنْظُرُ إِلَيْهَا، وَلَا عِلْمَ لَنَا بِالْغَيْبِ، فَلَعَلَّهُمْ سَرَقُوهُ وَلَمْ يَسْرِقْ.

الثانية: تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَةُ جَوَازَ الشَّهَادَةِ بِأَيِّ وَجْهِ حَصَلَ الْعِلْمُ بِهَا؛ فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مُرْتَبِطَةٌ بِالْعِلْمِ عَقْلًا وَشَرْعًا، فَلَا تُسْمَعُ إِلَّا مِمَّنْ عَلِمَ، وَلَا تُقْبَلُ إِلَّا مِنْهُمْ^(٦)، وَهَذَا هُوَ الْأَصْلُ فِي الشَّهَادَاتِ؛ وَلِهَذَا قَالَ أَصْحَابُنَا: شَهَادَةُ الْأَعْمَى جَائِزَةٌ، وَشَهَادَةُ الْمُسْتَمِيعِ جَائِزَةٌ، وَشَهَادَةُ الْأَخْرَسِ - إِذَا فُهِمَتْ إِشَارَتُهُ - جَائِزَةٌ، وَكَذَلِكَ الشَّهَادَةُ عَلَى الْخَطِّ

(١) ذكر خبر ابن زيد الماوردي في النكت والعيون ٦٨/٣، وأخرجه بنحوه الطبري ٢٨٨/١٤ - ٢٨٩.

(٢) ينظر الوسيط ١٧٣/٢.

(٣) أخرجه عنهما الطبري في التفسير ٢٨٩/١٤ - ٢٩٠.

(٤) تفسير الطبري ٢٩٠/١٤.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط ٦٢٦/٢، والبغوي ٤٤٣/٢.

(٦) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٩٠/٣.

- إذا تيقن أنه خطئه أو خطئ فلان - صحيحة، فكل من حصل له العلم بشيء جاز أن يشهد به وإن لم يشهده المشهود عليه؛ قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦] وقال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بخير الشهداء، خير الشهداء الذي يأتي بشهادته قبل أن يسألها» وقد مضى في «البقرة»^(١).

الثالثة: اختلف قول مالك في شهادة المرور، وهو أن يقول: مررت بفلان فسمعتة يقول كذا، فإن استوعب القول شهيد، في أحد قولي، وفي القول الآخر: لا يشهد حتى يشهده. والصحيح أداء الشهادة عند الاستيعاب، وبه قال جماعة العلماء، وهو الحق؛ لأنه قد حصل المطلوب، وتعين عليه أداء العلم؛ فكان خير الشهداء إذا أعلم المشهود له، وشرّ الشهداء إذا كتمها، والله أعلم^(٢).

الرابعة: إذا ادعى رجل شهادة لا يحتملها عمره، ردّت؛ لأنه ادعى باطلاً، فأكذبه العيان ظاهراً^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِمْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَدِّقُونَ﴾ (٨١)

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِمْرَ﴾ حَقَّقُوا بها شهادتهم عنده، ورفَعُوا التُّهْمَةَ عن أنفسهم؛ لثلاث يتهمهم. فقولهم: «وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ» أي: أهلها؛ فحذف. ويريدون بالقرية مصر^(٤). وقيل: قرية من قراها نزلوا بها وامتناروا منها. وقيل: المعنى: «وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ» وإن كانت جماداً، فأنت نبيُّ الله، وهو يُنطق الجماد لك، وعلى هذا فلا حاجة إلى إضمار^(٥). قال سيبويه: ولا يجوز كَلَمَ هنداً، وأنت

(١) ٤٥٤/٤ وما بعدها، وسلف تخريج الحديث هناك.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٠٩٠.

(٣) المصدر السابق.

(٤) تفسير الطبري ٢٩١/١٤ وأخرجه عن قتادة وابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) ينظر النكت والعيون ٦٨/٣، والمححر الوجيز ٢٧١/٣، وزاد المسير ٢٦٨/٤.

تريد غلامَ هند؛ لأنَّ هذا يُشكل^(١).

والقول في العير كالقول في القرية سواء. ﴿وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾ في قولنا.

الثانية: في هذه الآية من الفقه أنَّ كلَّ مَنْ كان على حقٍّ وعَلِمَ أنَّه قد يُظَنُّ به أنَّه على خلافٍ ما هو عليه، أو يُتَوَهَّم، أن يرفع التُّهْمَةَ وكلَّ رِيبَةٍ عن نفسه، ويُصرِّح بالحقِّ الذي هو عليه، حتى لا يبقى لأحدٍ مُتَكَلِّمٌ. وقد فعل هذا نبيُّنا محمد ﷺ بقوله للرجلَيْن اللذين مرَّا، وهو قد خرج مع صَفِيَّةٍ يَقْلِبُهَا مِنَ الْمَسْجِدِ: «على رِسْلِكُما إِنَّمَا هي صَفِيَّةُ بِنْتِ حُيٍّ» فقالا: سبحانَ الله! وكَبُرَ عليهما، فقال النبي ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنَ الْإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُما شَيْئاً» رواه البخاري ومسلم^(٢).

قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُمْ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (٨٢)

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ أي: زَيَّنَتْ ﴿لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ أنَّ ابني سَرَقَ، وما سَرَقَ، وإنَّمَا ذلك لِأَمْرِ يريده الله. ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ أي: فشاني صبرٌ جميلٌ، أو صبرٌ جميلٌ أولى بي، على ما تقدَّم أوَّل السُّورَةِ^(٣).

الثانية: الواجبُ على كلِّ مسلمٍ إذا أُصِيبَ بِمَكْرُوهِ فِي نَفْسِهِ أَوْ وَلَدِهِ أَوْ مَالِهِ أَنْ يَتَلَقَّى ذَلِكَ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ، والرضا والتسليمِ لِمُجْرِيهِ عَلَيْهِ وهو العليمُ الحكيمُ، وَيَقْتَدِي بِنَبِيِّ اللَّهِ يَعْقُوبَ وَسَائِرِ النَّبِيِّينَ، صلواتُ الله عليهم أجمعين.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٤١.

(٢) صحيح البخاري (٢٠٣٥)، وصحيح مسلم (٢١٧٥) من حديث صفة رضي الله عنها. ويقلبها، أي: يصحبها إلى بيتها. النهاية (قلب).

(٣) عند الآية (١٨).

وقال سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن الحسن قال: ما من جرعتين يتجرعهما العبد أحب إلى الله من جرعة مُصيبةٍ يتجرعها العبدُ بحسنِ صبرٍ وحسنِ عزاءٍ، وجرعةٌ غيظٍ يتجرعها العبدُ بحلمٍ وعَفْوٍ^(١).

وقال ابنُ جريج عن مجاهد في قوله تعالى: «فَصَبِرْ جَمِيلٌ» أي: لا أشكو ذلك إلى أحدٍ.

وروى مقاتل بن سليمان، عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ بَثَّ، لَمْ يَصْبِرِ»^(٢). وقد تقدّم في «البقرة»^(٣) أن الصّبر عند أوّل الصّدمة، وثواب مَنْ ذَكَرَ مصيبتَه واستَرَجَعَ وإن تقدّم عهدُها.

وقال جُوَيْر، عن الضّحّاك، عن ابن عباس، قال: إنّ يعقوبَ أعطى على يوسفَ أجرَ مئةٍ شهيدٍ^(٤). وكذلك مَنْ اختَسَبَ مِنْ هذه الأَمّةِ في مصيبتِه، فله مثل أجرِ يعقوبَ عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ لأنّه كان عنده أن يوسفَ ﷺ لم يَمُتْ، وإنما غابَ عنه خبرُه؛ لأنّ يوسفَ حُمِلَ وهو عبدٌ لا يملكُ لنفسه شيئاً، ثم اشتراه الملكُ، فكان في دارِه لا يَظهر للناس، ثم حُبِسَ، فلما تمكّن، احتال في أن يعلم أبوه خبرَه؛ ولم يُوجّه برسولٍ؛ لأنّه كَرِهَ من إخوته أن يعرفوا ذلك، فلا يدعُوا الرسولَ يصلُ إليه.

وقال: «بهم» لأنّهم ثلاثة؛ يوسفُ وأخوه، والمتخلفُ من أجل أخيه^(٥)، وهو

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٦٧٢)، وابن أبي شيبة ٢٥١/١٣ عن الحسن، عن النبي ﷺ مرسلًا.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ٣٢٧/١ - ٣٢٨، والطبري في التفسير ٣١٣/١٣ من حديث مسلم بن يسار رفعه إلى النبي ﷺ. وهو مرسل.

(٣) ١٧٤/٢ وما بعدها.

(٤) لم نقف عليه من قول ابن عباس، وأخرجه الطبري في التفسير ٣٠٩/١٣، وابن أبي حاتم ٢١٨٦/٧ (١١٨٨٤) عن ليث بن أبي سليم.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣٤٢/٢.

القاتل: «فَلَنْ أُبْرَحَ الْأَرْضَ». ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾ بحالي. ﴿الْحَكِيمُ﴾ فيما يقضي.

قوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَأْسَفُ عَلَى يَوْسُفَ وَأَيُّضًا عَلَيْهِ مِنْ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ﴿٨٤﴾

فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ أي: أغرض عنهم؛ وذلك أن يعقوب لما بلغه خبر بنيامين تنام حزنه، وبلغ جهده، وجدد الله مصيبتَه له في يوسف، فقال: ﴿يَأْسَفُ عَلَى يَوْسُفَ﴾ ونسي ابنه بنيامين فلم يذكره؛ عن ابن عباس^(١). وقال سعيد بن جبیر: لم يكن عند يعقوب ما في كتابنا من الاسترجاع، ولو كان عنده لما قال: «يَا أَسَفًا عَلَى يَوْسُفَ»^(٢).

قال قتادة والحسن: والمعنى: يا حزناه^(٣)! وقال مجاهد والضحاك: يا جَزَعاه^(٤)! قال كثير:

فيا أسفًا للقلب كيف انصرافه وللنفس لما سُلِّيت فتسلَّت^(٥)
والأسف: شدة الحزن على ما فات. والنداء على معنى: تعال يا أسف فإنه من أوقاتك^(٦). وقال الزجاج^(٧): الأصل: يا أسفي؛ فأبدل من الياء ألف؛ لخفة الفتحة.

(١) الوسيط ٢/٦٢٧، وأخرجه الطبري ١٣/٢٩٣ عن ابن إسحاق.

(٢) تفسير أبي الليث ٢/١٧٣، وأخرجه عبد الرزاق في التفسير ٢/٣٢٧، والطبري ١٣/٢٩٥، بنحوه.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ١/٣٢٧، والطبري ١٣/٢٩٤ عن قتادة، ولم نقف عليه من قول الحسن.

(٤) أخرجه عن مجاهد الطبري ١٣/٢٩٤. وأخرج قول الضحاك بلفظ: يا حَزَنَاهُ.

(٥) التكت والعيون ٣/٦٩، وهو في الديوان ص ٧٧ برواية:

فلن سأل الواشون فيم صرمتها فقل نفس حُرِّ سُلِّيت فتسلَّت

(٦) ينظر المحرر الوجيز ٣/٢٧٢، وتفسير الرازي ١٨/١٩٥.

(٧) في معاني القرآن ٣/١٢٥.

﴿وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾ قيل: لم يُبصر بهما ست سنين، وأنه عمي؛ قاله مقاتل^(١).

وقيل: قد تبيض العين ويبقى شيء من الرؤية، والله أعلم بحال يعقوب، وإنما ابيضت عيناه من البكاء، ولكن سبب البكاء الحزن، فلهذا قال: «مِنَ الْحُزْنِ».

وقيل: إن يعقوب كان يُصلي، ويوسف نائماً معترضاً بين يديه، فغط في نومه، فالتفت يعقوب إليه، ثم غط ثانية، فالتفت إليه، ثم غط ثالثة، فالتفت إليه، سروراً به وبغيطه؛ فأوحى الله تعالى إلى ملائكته: انظروا إلى صفيي وابن خليلي، قائماً في مناجاتي، يلتفت إلى غيري، وعزتي وجلالي! لأنزعن الحدقتين اللتين التفت بهما، ولأفرقن بينه وبين من التفت إليه ثمانين سنة؛ ليعلم العاملون أن من قام بين يدي يجب عليه مراقبة نظري.

الثانية: هذا يدل على أن الالتفات في الصلاة - وإن لم يبطل - يدل على العقوبة عليها، والنقص فيها، وقد روى البخاري^(٢) عن عائشة قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة فقال: «هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد» وسيأتي ما للعلماء في هذا، في أول سورة «المؤمنون» موعباً إن شاء الله تعالى.

الثالثة: قال النحاس^(٣): فإن سأل قوم عن معنى شدة حزن يعقوب - صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا - للعلماء في هذا ثلاثة أجوبة:

منها: أن يعقوب ﷺ لما علم أن يوسف ﷺ حي خاف على دينه، فاشتد حزنه لذلك.

وقيل: إنما حزن؛ لأنه سلمه إليهم صغيراً، فندم على ذلك.

(١) الوسيط ٦٢٧/٢، وتفسير البغوي ٤٤٤/٢، وتفسير الرازي ١٩٥/١٨.

(٢) في صحيحه (٧٥١).

(٣) في إعراب القرآن ٣٤٢/٢.

والجواب الثالث - وهو أبينها -: هو أنَّ الحزنَ ليس بمحظورٍ، وإنَّما المحظورُ
الْوَلُولَةُ وَشَقُّ الشَّيَابِ، والكلامُ بما لا ينبغي. وقال النبي ﷺ: «تدمعُ العينُ، ويحزنُ
القلبُ، ولا نقولُ ما يُسَخِّطُ الرَّبَّ»^(١). وقد بيَّن الله جلَّ وعزَّ ذلك بقوله: ﴿فَهُوَ
كَظِيمٍ﴾ أي: مكظومٌ، مملوءٌ مِنَ الحزنِ، ممسِكٌ عليه لا يَبُتُّه؛ ومنه كَظُمَ الغيظُ وهو
إخفاؤه، فالمكظومُ: المسدودُ عليه طريقُ حزنه؛ قال الله تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ
مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨] أي: مملوءٌ كَرْبًا. ويجوز أن يكون المكظوم بمعنى الكاظم، وهو
المشتملُ على حزنه.

وعن ابن عباس: كَظِيمٌ: مغمومٌ^(٢)؛ قال الشاعر:
فإنَّ أَكْ كَاطِمًا لِمُصَابِ شَاسٍ فإنِّي اليومَ مُنْطَلِقٌ لِسَانِي^(٣)
وقال ابن جريج، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: ذهبَتْ عيناه مِنَ الحزنِ «فَهُوَ
كَظِيمٌ» قال: فهو مكروبٌ^(٤).

وقال مقاتلُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عن عطاءٍ، عن ابن عباس، في قوله: «فَهُوَ كَظِيمٌ» قال:
فهو كَمِيدٌ^(٥)؛ يقول: يَعْلَمُ أنَّ يوسُفَ حيٌّ، وأنَّه لا يَدْرِي أين هو، فهو كَمِيدٌ من ذلك.
قال الجوهري^(٦): الكَمْدُ: الحزنُ المكتومُ؛ تقول منه: كَمِدَ الرجلُ فهو كَمِيدٌ وكَمِيدٌ.
النَّحَّاسُ^(٧): يقال: فلانٌ كَظِيمٌ وكَاظِمٌ، أي: حزينٌ لا يَشْكُو حزنَه؛ قال الشاعر:
فَحَضَضْتُ قَوْمِي وَاحْتَسَبْتُ قِتَالَهُمْ والقومُ مِنْ خَوْفِ الْمَنَابِيا كُظُمُ^(٨)

(١) أخرجه بهذا اللفظ ابن ماجه (١٥٨٩) من حديث أسماء بنت يزيد، وهو عند البخاري (١٣٠٣) ومسلم (٢٣١٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه بنحوه.

(٢) الوسيط ٦٢٧/٢ .

(٣) أورده الماوردي في النكت والعيون ٧٠/٣ ولم ينسبه.

(٤) الوسيط ٦٢٧/٢، وأخرجه الطبري ٢٩٧/١٣ عن عطاء الخراساني.

(٥) أخرجه الطبري ٢٩٧/١٣ عن الضحاك، وكذا أورده الماوردي في النكت والعيون ٧٠/٣ .

(٦) في الصحاح (كمد).

(٧) في معاني القرآن ٤٥٣/٣ .

(٨) أورده الماوردي في النكت والعيون ٧٠/٣ ولم ينسبه.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْا تَذْكُرُ يُونُسَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحْزَنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْا تَذْكُرُ يُونُسَ﴾ أي: قال له ولده: «تالله تفتأ تذكر يوسف» قال الكسائي: فتأت وفتئت أفعل ذلك، أي: ما زلت. وزعم الفراء أن «لا» مضمرة؛ أي: لا تفتأ^(١)، وأنشد:

فقلتُ يمينَ الله أبرحُ قاعداً ولو قَطَعُوا رأسي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي^(٢)
أي: لا أبرحُ؛ قال النحاس: والذي قال، حسنٌ صحيحٌ. وزعم الخليل وسيبويه أن «لا» تضمير في القسم؛ لأنه ليس فيه إشكال، ولو كان واجباً لكان باللام والنون^(٣).

وإنما قالوا له ذلك؛ لأنهم علموا باليقين أنه يُداوم على ذلك؛ يقال: ما زال يفعلُ كذا، وما فتئَ وَفَتَأَ، فهما لغتان، ولا يُستعملان إلا مع الجحد^(٤)؛ قال الشاعر:
فما فَتَيْتُ حَتَّى كَأَنَّ غُبَارَهَا سُرَادِقُ يَوْمٍ ذِي رِيحٍ تُرْفَعُ^(٥)
أي: ما برحتُ، ففتتاً: تَبَرَّحُ. وقال ابنُ عباس: [لا] تزال^(٦).

﴿حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾ أي: تالفاً. وقال ابن عباس ومجاهد: دَنِفًا مِنَ الْمَرَضِ، وهو ما دون الموت^(٧)؛ قال الشاعر:

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣٤٢/٢ - ٣٤٣.

(٢) قائله امرؤ القيس، وهو في ديوانه ص ٣٢.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣٤٣/٢، وينظر الكتاب لسيبويه ١٠٥/٣.

(٤) الصحاح (فتأ).

(٥) قائله أوس بن حجر التميمي، وهو في ديوانه ص ٥٩.

(٦) أخرجه الطبري ٢٢٩/١٣، وابن أبي حاتم ٢١٨٧/٧ (١١٨٩١)، وما بين حاصرتين منهما.

(٧) النكت والعيون ٧٠/٣.

سَرَى هَمِّي فَأَمْرَضَنِي وَقَدَّمَا زَادَنِي مَرَضًا
كَذَاكَ الْحُبُّ قَبْلَ الْيَوْمِ مِمَّا يُورِثُ الْحَرَضَا^(١)

وقال قتادة: هريماً^(٢). الضحّاك: بالياء دائراً^(٣). محمد بن إسحاق: فاسداً لا عقل
لك^(٤). الفراء^(٥): الحارِضُ الفاسدُ الجسم والعقل، وكذا الحرَض. ابنُ زيد:
الحرَض الذي قد رُدَّ إلى أرذلِ العمر^(٦). الربيعُ بنُ أنس: يابس الجِلْد على العظم^(٧).
المؤرّج: ذائباً من الهم. وقال الأخفش: ذاهباً. ابن الأنباري: هالكا، وكلُّها متقاربة.
وأصل الحرَض: الفسادُ في الجسم أو العقل من الحزن أو العشق أو الهرم، عن
أبي عُبيدة وغيره^(٨)؛ وقال العَرَجِيُّ^(٩):

إِنِّي امْرُؤٌ لَجَّ بِي حُبٌّ فَأَخْرَضَنِي حَتَّى بَلَيْتُ وَحَتَّى شَقَّنِي السَّقَمُ
قال النحاس^(١٠): يقال: حَرَضَ حَرَضاً، وَحَرَضَ حُرُوضاً وَحُرُوضَةً: إِذَا بَلَى
وَسَقَمَ، وَرَجُلٌ حَارِضٌ وَحَرَضٌ، إِلَّا أَنْ حَرَضاً لَا يَشْنَى وَلَا يُجْمَعُ، وَمِثْلُهُ قَمِنَ وَحَرِيٌّ
لَا يَشْنِيَانِ وَلَا يَجْمَعَانِ.

الثعلبي: ومن العرب من يقول: حارِض، للمذگر، والمؤنثة: حارِضة، فإذا
وصف بهذا اللفظ، ثنى وجمع وأنت. ويقال: حَرَضَ يَحْرَضُ حَرَاضَةً، فهو حَرِضٌ

(١) لم نقف عليهما.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ١/ ٣٢٧، والطبري ١٣/ ٣٠٣.

(٣) أخرجه الطبري ١٣/ ٣٠٣.

(٤) أخرجه الطبري ١٣/ ٣٠٣ - ٣٠٤.

(٥) معاني القرآن ٢/ ٥٤.

(٦) أخرجه الطبري ١٣/ ٣٠٤.

(٧) تفسير أبي الليث ٢/ ١٧٤.

(٨) ذكره الطبري ١٣/ ٣٠١، والبغوي ٢/ ٤٤٤ دون نسبة.

(٩) ديوانه ص ٥، والعَرَجِيُّ هو: عبد الله بن عمر بن عبد الله.

(١٠) إعراب القرآن ٢/ ٣٤٣.

وَحَرَضُ. ويقال: رجل مُحَرَضٌ^(١)، ويُشَدُّ:

طَلَبَتْهُ الْخَيْلُ يَوْمًا كَامِلًا وَلَوْ أَلْفَتْهُ لَأَضْحَى مُحَرَضًا^(٢)
وقال امرؤ القيس^(٣):

أَرَى الْمَرْءَ ذَا الْأَذْوَادِ يُصْبِحُ مُحَرَضًا كَمَا حَرَضِ بِكْرِ فِي الدِّيَارِ مَرِيضٍ
قال النحاس^(٤): وحكى أهل اللغة: أحرضه الهم: إذا أسقمه، ورجل حارض،
أي: أحق.

وقرأ أنس: «حُرَضًا» بضم الحاء وسكون الراء، أي: مثل عُود الْأُشْنَانِ^(٥). وقرأ
الحسن: بضم الحاء والراء^(٦). قال الجوهري^(٧): الحُرَضُ والحُرَضُ: الْأُشْنَانُ.
﴿أَوْ تَكُونُ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ أي: الميتين، وهو قول الجميع^(٨)؛ وغرضهم منع
يعقوب من البكاء والحزن شفقةً عليه، وإن كانوا السبب في ذلك.

قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي﴾ حقيقة البَثُّ في اللغة: ما يَرِدُ على الإنسان
من الأشياء المهلكة التي لا يتهيأ له أن يخفيها؛ وهو من بَثَّته، أي: فرَّقته، فسميت
المصيبة بَثًّا مجازاً^(٩). قال ذو الرمة^(١٠):

(١) ينظر معاني القرآن للفراء ٥٤/٢، وتفسير الطبري ٣٠١/١٣.

(٢) أورده الطبري ٣٠١/١٣ ولم ينسبه.

(٣) ديوانه ص ٧٧.

(٤) في إعراب القرآن ٣٤٣/٢.

(٥) تفسير الرازي ١٩٧/١٨، والأشنان: شجر ينبت في الأرض الرملية، يستعمل هو أو رماده في غسل
الثياب والأيدي. المعجم الوسيط.

(٦) القراءات الشاذة ص ٦٥، والكشاف ٣٣٩/٢.

(٧) الصحاح (حرض).

(٨) النكت والعيون ٧٠/٣.

(٩) إعراب القرآن للنحاس ٣٤٣/٢.

(١٠) ديوانه ٨٢١/٢.

وَقَفْتُ عَلَى رَبْعٍ لِمِيَّةٍ نَاقَتِي فَمَا زِلْتُ أَبْكِي عِنْدَهُ وَأَخَاطِبُهُ
وَأَسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أَبِثُّهُ تُكَلِّمُنِي أَخْجَارُهُ وَمَلَاعِبُهُ
وقال ابن عباس: «بَثِّي» هَمِّي^(١). الحسن: حاجتي^(٢). وقيل: أشد الحزن^(٣)،
وحقيقته ما ذكرناه.

﴿وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ معطوف عليه، أعاده بغير لفظه.

﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: أعلم أن رؤيا يوسف صادقة، وأنني سأسجد
له. قاله ابن عباس^(٤). قتادة: إني أعلم من إحسان الله تعالى إلي ما يوجب حسن ظني
به^(٥). وقيل: قال يعقوب لملك الموت: هل قبضت روح يوسف؟ قال: لا، فأكد
هذا رجاءه^(٦). وقال السدي: أعلم أن يوسف حي، وذلك أنه لما أخبره ولده بسيرة
الملك وعذله وخلقه وقوله، أحست نفس يعقوب أنه ولده، فطمع وقال: لعله يوسف.
وقال: لا يكون في الأرض صديق إلا نبي^(٧). وقيل: أعلم من إجابة دعاء المضطرين
ما لا تعلمون.

قوله تعالى: ﴿يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ
إِنَّهُ لَا يَأْيَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ هذا يدل على أنه تيقن

(١) أخرجه الطبري ٣٠٦/١٣.

(٢) أخرجه الطبري ٣٠٦/١٣، وابن أبي حاتم ٢١٨٩/٧ (١١٩٠٣).

(٣) أورده أبو الليث ١٧٤/٢ وعزاه إلى القتيبي، وابن عطية في المحرر الوجيز ٢٧٣/٣ وعزاه إلى أبي عبيدة، وهو في مجاز القرآن ص ٣١٧.

(٤) أخرجه الطبري ٣٠٧/١٣، وابن أبي حاتم ٢١٨٩/٧ (١١٩٠٨).

(٥) أخرجه الطبري ٣٠٧/١٣، وابن أبي حاتم ٢١٨٩/٧ (١١٩٠٦).

(٦) تفسير أبي الليث ١٧٤/٢، وتفسير البغوي ٤٤٥/٢، وزاد المسير ٢٧٥/٤ وعزاه ابن الجوزي إلى ابن السائب.

(٧) أخرجه الطبري ٣٠٧/١٣.

حياته؛ إما بالرؤيا، وإما بإنطاقِ الله تعالى الذئب، كما في أوّل القصة، وإما بإخبارِ ملك الموت إياه بأنّه لم يقبض رُوحه؛ وهو أظهر.

والتَّحسُّس: طلبُ الشيء بالحواس؛ فهو تفعل من الحسّ^(١)، أي: اذهبوا إلى هذا الذي طلب منكم أخاكم، واحتال عليكم في أخذه، فاسألوا عنه وعن مذهبه. ويروى أنّ ملك الموت قال له: اطلبه من هاهنا! وأشار إلى ناحية مصر^(٢).

وقيل: إنّ يعقوب تنبّه على يوسف بردّ البضاعة، واحتباس أخيه، وإظهار الكرامة؛ فلذلك وجّههم إلى جهة مصر دون غيرها^(٣).

﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ زَوْجِ اللَّهِ﴾ أي: لا تقنطوا من فرج الله؛ قاله ابنُ زيد^(٤)؛ يريد: أنّ المؤمنَ يرجو فرج الله، والكافر يقنط في الشدة. وقال قتادة والضحاك: من رحمة الله^(٥). ﴿إِنَّهُمْ لَا يَأْتِسُ مِنْ زَوْجِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ دليل على أنّ القنوط من الكبائر، وهو اليأس، وسيأتي في «الزمر»^(٦) بيانه إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَتَأْتِيهَا الْعَزِيزُ مَسْنًا وَأَهْلُنَا الضَّرُّ وَجِئْنَا بِضِغَعٍ مُرْتَجَةٍ فَأَوْفَى لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقَ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٣١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَتَأْتِيهَا الْعَزِيزُ﴾ أي: الممتنع. ﴿مَسْنًا وَأَهْلُنَا الضَّرُّ﴾ هذه المرة الثالثة من عودهم إلى مصر؛ وفي الكلام حذف، أي: فخرجوا إلى مصر، فلما دخلوا على يوسف قالوا: «مَسْنًا» أي: أصابنا «وَأَهْلُنَا الضَّرُّ» أي: الجوع والحاجة. وفي هذا دليل على جواز الشكوى عند الضر، أي: الجوع، بل واجب

(١) تفسير الطبري ٣١٤/١٣، وتفسير البغوي ٤٤٦/٢.

(٢) تفسير الرازي ١٩٨/١٨.

(٣) النكت والعيون ٧٢/٣.

(٤) أخرجه الطبري ٣١٥/١٣.

(٥) أخرجه عنهما الطبري ٣١٤/١٣ - ٣١٥.

(٦) عند الآية (٥٣).

عليه إذا خاف على نفسه الضر من الفقر وغيره أن يُبدي حاله إلى من يرجو منه النفع، كما هو واجب عليه أن يشكو ما به من الألم إلى الطبيب ليعالجه، ولا يكون ذلك قذحاً في التوكل، وهذا ما لم يكن التشكي على سبيل التسخط؛ والصبر والتجلد في التوائب أحسن، والتعفف عن المسألة أفضل، وأحسن الكلام في الشكوى سؤال المولى زوال البلى؛ وذلك قول يعقوب: «إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» أي: من جميل صنعه، وغريب لطفه، وعائده على عباده. فأما الشكوى على غير مُشكٍ فهو السّفه، إلا أن يكون على وجه البث والتسلي، كما قال ابن دُرَيْد:

لَا تَخْسَبَنَّ يَا دَهْرُ أَتِي ضَارِعٌ لِنَكْبَةٍ تَغْرِقُنِي عَرَقَ الْمُدَى
مَارَسْتَ مَنْ لَوْ هَوَتْ الْأَفْلَاكُ مِنْ جَوَانِبِ الْجَوِّ عَلَيْهِ مَا شَكَا
لَكِنَّهَا نَفْسُهُ مَضْذُورٌ إِذَا جَاشَ لُغَامٌ مِنْ نَوَاجِيهَا عَمَى^(١)

قوله تعالى: ﴿وَحَنَّا يَبْضَعُونَ﴾ البضاعة: القطعة من المال يُقصد بها شراء شيء^(٢)؛ تقول: أبضعت الشيء، واستبضعته، أي: جعلته بضاعة، وفي المثل: كمستبضع التمر إلى هجر^(٣).

قوله تعالى: ﴿مُزَجَّاةٌ﴾ صفة لبضاعة؛ والإزجاء: السوق بدفع^(٤)؛ ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَكَابًا﴾ [النور: ٤٣] والمعنى أنها بضاعة تُدفع؛ ولا يقبلها كل أحد. قال ثعلب: البضاعة المزجاة: الناقصة غير التامة.

(١) مقصورة ابن دريد ص ٣٩ - ٤٣ بشرح التبريزي، واللغام: ما يخرج من فم البعير. وعمى: رمى، يقال: عمى البعير بلعابه: إذا رمى به، ووقع في (م): غما، وكذا في إحدى النسخ الخطية للمقصورة، كما ذكر ذلك محقق شرح المقصورة لابن هشام اللخمي ص ٧٧.

(٢) المحرر الوجيز ٢٧٥/٣.

(٣) الصحاح (بضع)، والمثل في المستقصى في أمثال العرب للزمخشري ٢٣٣/٢.

(٤) الوسيط ٦٣٠/٢، والنكت والعيون ٧٢/٣.

اختلف في تعيينها هنا؛ ف قيل : كانت قديداً وحيساً؛ ذكره الواقدي عن علي بن أبي طالب عليه السلام.

وقيل : خَلَقُ الغَرَائِر والجبال؛ روي عن ابن عباس^(١).

وقيل : متاع الأعراب صوف وسمن؛ قاله عبد الله بن الحارث^(٢).

وقيل : الحبة الخضراء، والصنوبر - وهو البُطم : حب شجر بالشام، يؤكل ويُعصر الزيت منه لعمل الصابون - قاله أبو صالح^(٣)؛ فباعوها بdraهم لا تنفق في الطعام، وتنفق فيما بين الناس؛ فقالوا: خذها منا بحساب جياذ تنفق في الطعام.

وقيل : دراهم رديئة؛ قاله ابن عباس أيضاً^(٤).

وقيل : ليس عليها صورة يوسف، وكانت دراهم مصر عليها صورة يوسف.

وقال الضحّاك : النعال والأدم. وعنه : كانت سويقاً منخلاً^(٥). والله أعلم.

قوله تعالى : ﴿فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾.

فيه أربع مسائل :

الأولى : قوله تعالى : «فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ» يريدون كما تبيع بالdraهم الجياذ لا تنقضنا بمكان دراهمنا؛ هذا قول أكثر المفسرين.

وقال ابن جريج : «فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ» يريدون الكيل الذي كان قد كاله لأخيهم^(٦).

«وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا» أي : تفضل علينا بما بين سغر الجياذ والرديئة. قاله سعيد بن جبیر

(١) أخرجه الطبري ٣١٨/١٣ ، والغرائر : جمع الفرارة : وهي وعاء من الخيش ونحوه يوضع فيه القمح ونحوه . المعجم الوسيط (غرر).

(٢) أخرجه الطبري ٣١٩/١٣ ، وابن أبي حاتم (١١٩٢٠).

(٣) أخرجه الطبري ٣٢٠/١٣ ، وابن أبي حاتم (١١٩٢١).

(٤) أخرجه الطبري ٣١٧/١٣ - ٣١٨ ، وابن أبي حاتم (١١٩٢٢).

(٥) عرائس المجالس ص ١٣٨ - ١٣٩ ، وزاد المسير ٢٧٧/٤ .

(٦) النكت والعيون ٧٣/٣ .

والسُدِّيُّ والحسن، لأنَّ الصَّدَقَةَ تَحْرُمُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ. وقيل المعنى: «تَصَدَّقْ عَلَيْنَا» بالزيادة على حَقِّنا؛ قاله سفيانُ بْنُ عُيَيْنَةَ. قال مجاهد: ولم تَحْرُمِ الصَّدَقَةُ إِلَّا عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ. وقال ابنُ جُرَيْجٍ: المعنى «تَصَدَّقْ عَلَيْنَا» بِرَدِّ أَخِينَا إِلَيْنَا. وقال ابنُ شَجَرَةَ: «تَصَدَّقْ عَلَيْنَا» تَجَوَّزَ عَنَّا؛ واستشهد بقولِ الشاعر:

تَصَدَّقْ عَلَيْنَا يَا ابْنَ عَفَّانَ وَاخْتَسِبْ وَأَمُرْ عَلَيْنَا الْأَشْعَرِيَّ لَيَالِيَا^(١)
 ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ يعني في الآخرة؛ يقال: هذا مِنْ مَعَارِيضِ الْكَلَامِ؛ لأنَّه لم يكن عندهم أَنَّهُ على دينهم، فلذلك لم يقولوا: إِنَّ اللَّهَ يَجْزِيكَ بِصَدَقَتِكَ، فقالوا لفظاً يُوهِّمُهُ أَنَّهُمْ أَرَادُوهُ، وهم يصحُّ لهم إخراجُهُ بالتأويل؛ قاله النِّقَاشُ^(٢)، وفي الحديث: «إِنْ فِي الْمَعَارِيضِ لَمَنْدُوحَةٌ عَنِ الْكُذْبِ»^(٣).

الثانية: استدَلَّ مالِكٌ وَغَيْرُهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّ أَجْرَةَ الْكَيْالِ عَلَى الْبَائِعِ^(٤)؛ قال ابنُ الْقَاسِمِ وابْنُ نَافِعٍ: قال مالِكٌ: قالوا ليوسف: «فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ» فكان يوسفُ هو الذي يَكِيلُ، وكذلك الْوَزَانُ وَالْعِدَادُ وَغَيْرُهُمْ؛ لأنَّ الرَّجُلَ إِذَا باعَ عِدَّةً مَعْلُومَةً مِنْ طَعَامِهِ، وَأَوْجَبَ الْعَقْدَ عَلَيْهِ، وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يُبْرِزَهَا وَيُمَيِّزَ حَقَّ الْمَشْتَرِي مِنْ حَقِّهِ، إِلَّا أَنْ يَبِيعَ مِنْهُ مُعَيَّنًا - صُبْرَةً أَوْ مَا لَا حَقَّ تَوْفِيَةٍ فِيهِ - فَخَلَّى مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، فَمَا جَرَى عَلَى الْمَبِيعِ فَهُوَ عَلَى الْمَبْتَاعِ؛ وليس كذلك ما فيه حَقُّ تَوْفِيَةٍ مِنْ كَيْلٍ أَوْ وَزْنٍ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ الْبَائِعُ الثَّمَنَ إِلَّا بَعْدَ التَّوْفِيَةِ، وَإِنْ تَلَفَ، فَهُوَ مِنْهُ قَبْلَ التَّوْفِيَةِ^(٥).

الثالثة: وأما أَجْرَةُ النِّقْدِ، فَعَلَى الْبَائِعِ أَيْضاً؛ لأنَّ الْمَبْتَاعَ الدَّافِعَ لِدِرَاهِمِهِ يَقُولُ:

(١) ذكر الشعر مع ما سبقه من أقوال الماوردي في النكت والعيون ٧٤/٣.

(٢) المحرر الوجيز ٢٧٦/٣.

(٣) أخرجه ابن عدي في الكامل ٩٦٣/٣، والبيهقي ١٩٩/١٠ عن عمران بن حصين مرفوعاً، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (٨٥٧)، والبيهقي ١٩٩/١٠ عن عمران بن حصين موقوفاً، قال البيهقي عقبه: هذا هو الصحيح الموقوف. وينظر كشف الخفاء ٢٧٠/١ - ٢٧١.

(٤) أحكام القرآن للجصاص ١٧٧/٣ وللكنيا الهراسي ص ٢٣٤، والمحرر الوجيز ٢٧٦/٣.

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٩٣/٣.

إِنَّهَا طَيِّبَةٌ، فأنْتَ الَّذِي تَدْعِي الرِّدَاءَةَ، فانظر لنفسك^(١)؛ وأيضاً فإنَّ النِّفْعَ يَقَعُ لَهُ، فصار الأجرُ عليه، وكذلك لا يجب على الَّذِي يجب عليه القصاصُ؛ لأنَّه لا يجب عليه أن يقطعَ يَدَ نفسه، إلا أن يُمكنَ من ذلك طائِعاً؛ ألا ترى أنَّ فرضاً عليه أن يَفْدي يَدَهُ، ويُصَالِحَ عليه إذا طَلَبَ المقتَصُّ ذلك منه، فأجرُ القَطَاعِ على المقتَصِّ. وقال الشافعيُّ في المشهور عنه: إِنَّهَا على المقتَصِّ منه، كالبائع^(٢).

الرابعة: يُكره للرجل أن يقول في دعائه: اللهمَّ تصدَّقْ عليَّ؛ لأنَّ الصدقةَ إنما تكون ممن يبتغي الثوابَ، والله تعالى متفضِّل بالثواب بجميع النِّعم لا ربَّ غيره؛ وسمع الحسنُ رجلاً يقول: اللهمَّ تصدَّقْ عليَّ؛ فقال الحسن: يا هذا! إِنَّ اللَّهَ لَا يَتَصَدَّقُ إِنَّمَا يَتَصَدَّقُ مَنْ يَبْتَغِي الثَّوَابَ؛ أما سمعتَ قولَ الله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ» قل: اللهمَّ أعطني وتفضَّلْ عليَّ^(٣).

قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ ٨٩ ﴿قَالُوا لَوْلَا أَوْلَئِكَ لَأَنْتَ يَوْسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجَرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ٩٠ ﴿قَالُوا نَأَلَّهُ لَقَدْ عَاتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِبِينَ﴾ ٩١ ﴿قَالَ لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ يَوْمَ تَكْفُرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ٩٢ ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَاَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ٩٣ ﴿

قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ﴾ استفهامٌ بمعنى التذكير والتوبيخ^(٤)، وهو الَّذِي قال الله: «لَتَنْبِتْنَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا» الآية. ﴿إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ دليل على أنَّهم كانوا صغاراً في وقت أخذهم ليوسف، غير أنبياء؛ لأنَّه لا يُوصف

(١) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٩٣/٣.

(٢) ينظر مغني المحتاج ٣٣٧/٢.

(٣) تفسير الرازي ٢٠٢/١٨. وذكر خبر الحسن أيضاً البغوي ٤٤٦/٢.

(٤) الوسيط ٦٣٠/٢.

بالجهل إلا مَنْ كانت هذه صفته؛ ويدلُّ على أنَّه حَسُنَتْ حالهم الآن؛ أي: فعلتم ذلك إذ أنتم صغارٌ جُهَّال؛ قال معناه ابنُ عباس والحسن^(١)؛ ويكون قولهم: «وإنَّ كُنَّا لَخَاطِئِينَ» على هذا؛ لأنَّهم كَبُرُوا ولم يُخْبِرُوا أباهم بما فعلوا؛ حياءٌ وخوفاً منه. وقيل: جاهلون بما تؤوَّل إليه العاقبة. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَوَآتَاكَ لَآئَتِ يُونُسَ﴾ لما دخلوا عليه فقالوا: «مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ فَخَضَعُوا لَهُ وَتَوَاضَعُوا رُقًى لَهُمْ، وَعَرَّفَهُمْ بِنَفْسِهِ، فَقَالَ: «هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يُونُسَ وَأَخِيهِ» فتنبها فقالوا: «أَتَيْتَكَ لَآئَتِ يُونُسَ» قاله ابنُ إسحاق^(٢).

وقيل: إنَّ يوسفَ تبسَّم، فشَبَّهوه بيوسفَ واستفهموا. قال ابنُ عباس: لما قال لهم: «هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يُونُسَ» الآية، ثم تبسَّم يوسف - وكان إذا تبسَّم كأنَّ ثنياه اللؤلؤ المنظوم - فشَبَّهوه بيوسفَ، فقالوا له على جهة الاستفهام: «أَتَيْتَكَ لَآئَتِ يُونُسَ». وعن ابنِ عباس أيضاً: أنَّ إخوته لم يَعْرِفُوهُ حتى وَضَعَ التَّاجَ عنه، وكان في قَرْنِهِ علامةٌ، وكان ليعقوبَ مثلُها، شَبَّه الشَّامَةَ، فلَمَّا قال لهم: «هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يُونُسَ» رَفَعَ التَّاجَ عنه، فَعَرَفُوهُ، فقالوا: «أَتَيْتَكَ لَآئَتِ يُونُسَ»^(٣).

وقال ابنُ عباس: كتب يعقوبُ إليه يَطْلُبُ رَدَّ ابْنِهِ، وفي الكتاب: مِنْ يَعْقُوبَ صَفِيِّ اللَّهِ ابْنِ إِسْحَاقَ ذَبِيحِ اللَّهِ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ إِلَى عَزِيزِ مِصْرَ - أَمَّا بَعْدَ -: فَإِنَّا أَهْلُ بَيْتِ بِلَاءٍ وَمِحْنٍ، ابْتَلَى اللَّهُ جَدِّي إِبْرَاهِيمَ بِنَمْرُودَ وَنَارِهِ، ثُمَّ ابْتَلَى أَبِي إِسْحَاقَ بِالذَّبْحِ، ثُمَّ ابْتَلَانِي بَوْلَدٍ كَانَ لِي أَحَبُّ أَوْلَادِي إِلَيَّ حَتَّى كُفِّتَ بِصُرِي مِنَ الْبِكَاءِ، وَإِنِّي لَمْ أُسْرِقْ وَلَمْ أُلْذِ سَارِقًا، وَالسَّلَامُ. فَلَمَّا قَرَأَ يُونُسَ الْكِتَابَ ارْتَعَدَتْ مَفَاصِلُهُ، وَاقْشَعَرَّ جِلْدُهُ، وَأَرَخَى عَيْنِيهِ بِالْبِكَاءِ، وَعَمِلَ صَبْرُهُ، فَبَاحَ بِالسُّرِّ^(٤).

(١) ذكر الخبرين الواحد في الوسيط ٦٣٠/٢، فقال: روي عن ابن عباس: إذ أنتم صبيان، وعن الحسن: شبان.

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٧٤/٣.

(٣) تفسير البغوي ٤٤٧/٢.

(٤) ذكره البغوي ٤٤٥/٢ بنحوه عن عبد الله بن زيد بن أبي فروة، ولم تقف عليه عن ابن عباس.

وقرأ ابنُ كثير: «إِنَّكَ» على الخبر^(١)، ويجوز أن تكون هذه القراءة استفهاماً كقوله: «وَتِلْكَ نِعْمَةٌ» [الشعراء: ٢٢].

﴿قَالَ أَنَا يُوسُفُ﴾ أي: أنا المظلوم والمراد قتلُه، ولم يقل: أنا هو؛ تعظيماً للقصة^(٢). ﴿قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ أي: بالنجاة والمُلك.

﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾ أي: يتَّقِ اللهَ ويَصْبِر على المصائب وعن المعاصي. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: الصابرين في بلائِه، القائمين بطاعته.

وقرأ ابنُ كثير: «إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِي» بإثبات الياء^(٣)، والقراءة بها جائزة على أن تجعل «مَنْ» بمعنى الذي، وتدخل «يَتَّقِي» في الصلّة، فتثبت الياء لا غير، وترفع «ويصبر». وقد يجوز أن تجزم «ويصبر»، على أن تجعل «يتقي» في موضع جزم، و«مَنْ» للشرط، وتثبت الياء، وتجعل علامة الجزم حذف الضمة التي كانت في الياء على الأصل^(٤)، كما قال:

ثم نادي إذا دخلت دمْشَقاً يا يزيدُ بنَ خالدِ بنِ يزيدٍ^(٥)
وقال آخر:

ألم يأتِكَ والأنباءُ تَنَمِّي بما لَأَقَتْ لَبُونُ بني زيادٍ^(٦)
وقراءة الجماعة ظاهرة، والهاء في «إِنَّهُ» كناية عن الحديث، والجملة الخبر.

(١) السبعة ص ٣٥١، والتيسير ص ١٣٠.

(٢) أي: تعظيماً لما وقع به من ظلم إخوته. الوسيط ٦٣١/٢، ونسب هذا القول إلى ابن الأنباري.

(٣) السبعة ص ٣٥١، والتيسير ص ١٣١.

(٤) ينظر الحجة لأبي علي الفارسي ٤/٤٤٨، وحجة القراءات لابن زنجلة ص ٣٦٤، والمححر الوجيز ٢٧٧/٣.

(٥) نسب قريش للزبير ص ١٣٠، ونسبه إلى موسى شهورات.

(٦) القائل قيس بن زهير، كما في النوار في اللغة لأبي زيد ص ٢٠٣، والأغاني ١٧/١٩٨، وهو في الكتاب ٣/٣١٦، والمحتسب ٦٧/١ دون نسبة، ووقع في الأغاني: ألم يبلغك.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللّٰهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللّٰهُ عَلَيْنَا﴾ الأصل همزتان، حُفِّفَت الثانية، ولا يجوز تحقيقها، واسمُ الفاعل: مُؤثِّر، والمصدر: إِثَار. ويقال: أَثَرْتُ الترابَ إثارةً، فأنا مُثِيرٌ؛ وهو أيضاً على أَفْعَل، ثم أُعِلَّ، والأصلُ أَثِير، نُقِلَت حركةُ الياء على الثاء، فانقلبت الياء ألفاً، ثم حُذِفَت لالتقاء الساكنين. وَأَثَرْتُ الحديثَ على فَعَلْتُ، فأنا أَثَرٌ^(١). والمعنى: لقد فَضَّلَكَ اللهُ علينا، واختاركَ بالعلم والحلم والحكم والعقل والملك.

﴿وَإِنْ كُنَّا لَخَطُلُوبِينَ﴾ أي مذنبين، مِنْ خَطِيئٍ يَخْطَأُ: إذا أتى الخطيئة^(٢)، وفي ضمن هذا سؤالُ العَفْو. وقيل لابن عباس: كيف قالوا: «وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ» وقد تعمَّدوا لذلك؟ قال: وإن تعمَّدوا لذلك، فما تعمَّدوا حتى أخطؤوا الحقَّ، وكذلك كلُّ مَنْ أتى ذنباً تَخَطَّى المنهاجَ الذي عليه مِنَ الحقِّ، حتى يقعَ في الشبهة والمعصية.

قوله تعالى: ﴿لَا تَنْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ أي: قال يوسف - وكان حليماً موقفاً -: «لَا تَنْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ» وتمَّ الكلام. ومعنى «اليوم»: الوقت. والتشريب: التَّعْيِير والتوبيخ، أي: لا تعيِّر ولا توبيخ ولا لَوْمَ عليكم اليوم؛ قاله سفيان الثوري وغيره^(٣)؛ ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «إذا زنت أمةً أحديكم، فليجلدها الحدَّ، لا يَتْرَبَ عليها»^(٤) أي: لا يعيِّرُها، وقال بشر^(٥):

فَعَفَوْتُ عَنْهُمْ عَفْوً غَيْرَ مُثَرَّبٍ وتركتمهم لعقابِ يومِ سَرْمَدٍ
وقال الأصمعي: ثَرَبْتُ عليه وعَرَبْتُ عليه بمعنى، إذا قَبَّحْتَ عليه فِعْلَهُ^(٦). وقال

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٤٤.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٤٤.

(٣) أخرجه الطبري ١٣/ ٣٣٠.

(٤) سلف ٢/ ٤٨٩.

(٥) هو بشر بن أبي خازم، والبيت في لسان العرب (ثرب)، وقيل: هو لُتَيْع.

(٦) الصحاح (ثرب).

الزَّجَّاج: المعنى: لا إفساد لما بيني وبينكم من الحرمة، وحقُّ الأخوة، ولكم عندي العفو والصفح؛ وأصلُّ التَّشْرِيبِ: الإفسادُ، وهي لغةُ أهلِ الحجاز^(١).

وعن ابن عباس أنَّ رسولَ الله ﷺ أَخَذَ بَعْضَادَتِي البابَ يَوْمَ فَتَحِ مَكَّةَ، وَقَدْ لَادَ النَّاسُ بِالْبَيْتِ فَقَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَّقَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَخَذَهُ» ثُمَّ قَالَ: «مَاذَا تَظُنُّونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ؟» قَالُوا: خَيْرًا، أَخُ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ، وَقَدْ قَدَّرْتَ. قَالَ: «وَأَنَا أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ: «لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ» فَقَالَ عُمَرُ ﷺ: «فَفُضِّتْ عَرَفًا مِنَ الْحَيَاءِ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ ذَلِكَ أَنِّي قَدْ كُنْتُ قُلْتُ لَهُمْ حِينَ دَخَلْنَا مَكَّةَ: الْيَوْمَ نَنْتَقِمُ مِنْكُمْ وَنَفْعَلُ، فَلَمَّا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَالَ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ قَوْلِي»^(٢).

﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ فعل^(٣) مستقبلٌ فيه معنى الدُّعَاءِ^(٤)؛ سَأَلَ اللَّهُ أَنْ يَسْتَرَ عَلَيْهِمْ وَيَرْحَمَهُمْ.

وأجاز الأخفش^(٥) الوقفَ على «عَلَيْكُمْ»، والأوَّل هو المستعمل؛ فَإِنَّ فِي الْوَقْفِ عَلَى «عَلَيْكُمْ» وَالْإِبْتِدَاءِ بِ «الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ» جَزْمٌ بِالْمَغْفِرَةِ فِي الْيَوْمِ، وَذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنْ وَحْيٍ، وَهَذَا بَيِّنٌ.

وقال عطاء الخراساني: طَلَبُ الْحَوَائِجِ مِنَ الشَّبَابِ أَسْهَلُ مِنْهُ مِنَ الشَّيْخِ؛ أَلَمْ تَرَ قَوْلَ يُوسُفَ: «لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ» وَقَالَ يَعْقُوبُ: «سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي»^(٦).

(١) ينظر معاني القرآن للزجاج ١٢٨/٣، وتفسير أبي الليث ١٧٥/٢.

(٢) نواذر الأصول ص ٩٣، وأخرجه بنحوه البيهقي في الدلائل ٥٨/٥، وفي السنن الكبرى ١١٨/٩ من حديث أبي هريرة ﷺ، دون قول عمر ﷺ.

(٣) ليست في (م).

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣٤٤/٢.

(٥) في معاني القرآن ٥٩٣/٢.

(٦) عرائس المجالس ص ١٤١، وتفسير الرازي ٢٠٥/١٨.

قوله تعالى: ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا﴾ نعتٌ للقميص، والقميص مذكّر، فأما قول الشاعر:

تَدْعُو هَوَازِنُ الْقَمِيصِ مُفَاضَةً فَوْقَ النَّطَاقِ تُشَدُّ بِالْأَزْزَارِ^(١)
فتقديره: والقميص دِرْعٌ مُفَاضَةٌ. قاله النحاس^(٢).

وقال ابنُ السُّدِّي، عن أبيه، عن مجاهد: قال لهم يوسف: «أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا» قال: كان يوسف أعلم بالله من أن يعلم أن قميصه يَرُدُّ على يعقوبَ بصره، ولكن ذلك قميصُ إبراهيم الذي ألبسه الله في النار من حرير الجنة، وكان كساه إسحاق، وكان إسحاق كساه يعقوب، وكان يعقوب أدرج ذلك القميص في قَصْبَةٍ مِنْ فُضَّةٍ، وعلّقه في عُنُقِ يوسف، لِمَا كَانَ يَخَافُ عَلَيْهِ مِنَ الْعَيْنِ، وأخبره جبريلُ بأن أرسل قميصك، فإن فيه ريحَ الجنة، وإن ريحَ الجنة لا يقع على سقيم ولا مُبْتَلَى إِلَّا غُوفِي^(٣).

وقال الحسن: لولا أن الله تعالى أعلم يوسف بذلك، لم يعلم أنه يرجع إليه بصره. وكان الذي حمل قميصه يهوذا، قال ليوسف: أنا الذي حملتُ إليه قميصك بدم كَذِبٍ فأحزنته، وأنا الذي أحمله الآن لأسره، وليعود إليه بصره، فحمله؛ حكاه السُّدِّي^(٤).

﴿وَأَتَوْفٍ بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لَتَتَّخِذُوا مِصْرَ دَارًا. قال مسروق: فكانوا ثلاثة وتسعين، ما بين رجلٍ وامرأة^(٥). وقد قيل: إنَّ القميصَ الذي بعثه هو القميصُ الذي

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣٤٤/٢، والبيت لجريز، وهو في شرح ديوانه ٨٩٧/٢ بلفظ:

تَدْعُو رِبِيعَةً وَالْقَمِيصُ مُفَاضَةٌ تَحْتَ النَّجَادِ تُشَدُّ بِالْأَزْزَارِ
وهو في لسان العرب (قمص) بنحوه.

(٢) في إعراب القرآن ٣٤٤/٢.

(٣) تفسير البغوي ٤٤٨/٢.

(٤) عرائس المجالس ص ١٤٠، والنكت والعيون ٧٦/٣.

(٥) الوسيط ٦٣٢/٢، والنكت والعيون ٧٦/٣، وتفسير الرازي ٢٠٧/١٨.

قَدْ مِنْ دُبُرِهِ^(١)؛ لِيَعْلَمَ يَعْقُوبُ أَنَّهُ عُصِمَ مِنَ الزَّنى؛ والقول الأول أصح، وقد روي مرفوعاً من حديث أنسٍ عن النبي ﷺ؛ ذكره القشيري، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ (٩٥) قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ (٩٦) فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٩٧) قَالُوا يَبْنَأُنَا أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (٩٨) قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٩٩) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبْوِيهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مَعِيَ مَصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِينَ (١٠٠) ﴿

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ أي: خرجت منطلقاً من مصر إلى الشام^(٢)، يقال: فَصَلَ فُصُولاً، وَفَصَلْتَهُ فَضْلاً، فهو لازم ومتعد^(٣). ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ أي: قال لمن حَضَرَ مِنْ قَرَابَتِهِ مِمَّنْ لَمْ يَخْرُجْ إِلَى مِصْرَ وَهُمْ وَلَدٌ وَلَدِهِ^(٤): ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾. وقد يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ خَرَجَ بَعْضُ بَنِيهِ، فَقَالَ لِمَنْ بَقِيَ: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾^(٥). قال ابن عباس: هاجت ريح فحملت ريح قميص يوسف إليه، وبينهما مسيرة ثمان ليالٍ^(٦). وقال الحسن: مسيرة عشر ليالٍ^(٧)؛ وعنه أيضاً: مسيرة شهر^(٨). وقال مالك بن أنس: ﴿إِنَّمَا أَوْصَلَ رِيحَهُ مِنْ أَوْصَلَ عَرْشَ بَلْقَيْسَ قَبْلَ

(١) ينظر النكت والعيون ٧٦/٣.

(٢) النكت والعيون ٧٦/٣.

(٣) تفسير الرازي ٢٠٧/١٨.

(٤) الوسيط للواحد ٦٣٢/٢.

(٥) المحرر الوجيز ٢٧٩/٣.

(٦) أخرجه الطبري في التفسير ٣٣٣/١٣، وفي تاريخه ٣٦٠/١، وابن أبي حاتم (١١٩٦١).

(٧) أخرجه الطبري في التفسير ٣٣٣/١٣، وفي تاريخه ٣٦٠/١.

(٨) المحرر الوجيز ٢٧٩/٣.

أن يرتدَّ إلى سليمان عليه السلام طَرَفُهُ^(١). وقال مجاهد: هَبَّتْ رِيحٌ فَصَفَقَتْ الْقَمِيصَ ، فراحَت روائحُ الجنة في الدنيا وأتصلت بـيعقوبَ ، فوجدَ رِيحَ الجنة ، فعلم أنه ليس في الدنيا من ريح الجنة إلا ما كان مِن ذلك القميص ، فعند ذلك قال : «إِنِّي لَأَجِدُ»^(٢) أي : أَشْمُ ؛ فهو وجود بحاسة الشَّم^(٣).

﴿لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ قال ابنُ عباس ومجاهد: لولا أن تُسَفِّهون^(٤) ؛ ومنه قولُ النابغة^(٥):

إِلَّا سُلَيْمَانَ إِذْ قَالَ الْمَلِكُ لَهُ قُمْ فِي الْبَرِيَّةِ فَاحْذُذْهَا عَنِ الْفَنَدِ
أي: عَنِ السَّفَةِ.

وقال سعيد بنُ جبير والضَّحَّاك: لولا أن تكذَّبون^(٦). والفَنَد: الكذب. وقد أَفَنَدَ إِفْنَادًا: كَذَبَ^(٧) ؛ ومنه قولُ الشاعر:

هل في افتخار الكريمِ مِن أَوْدٍ أَمْ هَلْ لِقَوْلِ الصَّدُوقِ مِن فَنَدٍ^(٨)
أي: مِن كذب.

وقيل: لولا أن تُفَبِّحون؛ قاله أبو عمرو؛ والتَّفْنِيدُ: التَّقْيِيقُ، قال الشاعر:
يا صاحبيِّ دعا لومي وتَفْنِيدِي فليس ما فات مِن أَمْرِي بمردودٍ^(٩)

(١) لم نقف عليه.

(٢) عرائس المجالس ص ١٤٠ ، وتفسير البغوي ٤٤٨/٢ .

(٣) تفسير الرازي ٢٠٨/١٨ .

(٤) أخرجه عن ابن عباس عبد الرزاق ٣٢٩/١ ، والطبري في التفسير ٣٣٨/١٣ ، وعن مجاهد الطبري في التفسير ٣٣٧/١٣ .

(٥) ديوانه ص ٣٣ .

(٦) أخرجه عنهما الطبري في التفسير ٣٣٩/١٣ - ٣٤٠ .

(٧) الصحاح (فند).

(٨) هكذا أورده الماوردي في النكت والعيون ٧٧/٣ ولم ينسبه.

(٩) البيت لبشار بن برد، وهو في ديوانه ٥٤٣/١ ، ونسبه في مجاز القرآن لأبي عبيدة ص ٣١٨/١ إلى =

وقال ابنُ الأعرابي: «لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونَ» لولا أن تُضَعِّفُوا رَأْيِي؛ وقاله ابنُ إسحاق. والفَنَد: ضَعَفُ الرَّأْيِ مِنْ كِبَرٍ^(١).

وقولُ رابع: تُضَلِّلُونَ، قاله أبو عبيدة^(٢).

وقال الأخفش: تَلْومُونِي. والتَفْنِيدُ: اللَّومُ وتَضْعِيفُ الرَّأْيِ^(٣).

وقال الحسن وقتادة ومجاهد أيضاً: تُهَرِّمُونَ^(٤)، وكلُّهُ متقاربُ المعنى، وهو راجعُ إلى التعجيز وتضعيفِ الرأي.

يقال: فَنَدَه تَفْنِيداً: إذا أعجزه، كما قال:

أهلكني باللوم والتفنيـد^(٥)

ويقال: أفند: إذا تكلم بالخطأ؛ والفَنَد: الخطأُ في الكلام والرأي، كما قال النابغة:

فاحذُها عن الفَنـدِ^(٦)

أي: امنعها عن الفساد في العقل، ومن ذلك قيل: اللومُ تفنيـدٌ؛ قال الشاعر:

يا عاذلي دَعَا المَلَامَ وأَقْصِرَا طَالَ الهَوَى وأَطلَمَا التَّفْنِيدَا^(٧)

= هانئ بن شكيم العدوي، وأورده الطبري في التفسير ٣٣٦/١٣، والماوردي في النكت والعيون ٧٧/٣ ولم ينسبه.

(١) ينظر تهذيب اللغة ١٤/١٣٨، والنكت والعيون ٧٧/٣.

(٢) تفسير البغوي ٢/٤٤٨، وجاء في مجاز القرآن ص ٣١٨/١: تَسْفِهُونِي، وتُعْجِزُونِي، وتَلْومُونِي.

(٣) الصحاح (فند).

(٤) أخرجه عنهم الطبري في التفسير ١٣/٣٤٠ - ٣٤١، وعن مجاهد ابن أبي حاتم (١١٩٦٨).

(٥) رجز لذي الرمة، وهو في ديوانه ١/٣٣٣، وبعده:

هل بيننا للوصل من مردود

(٦) سلف قريباً، وينظر جمهرة اللغة لابن دريد ٢/٢٩٠، ومعجم متن اللغة ٤/٤٥٣ - ٤٥٤.

(٧) قائله جرير، وهو في ديوانه ١/٣٣٧، والكلام السابق من معاني القرآن للنحاس ٣/٤٥٣، وينظر تفسير الطبري ١٣/٣٤١، والمحذر الوجيز ٣/٢٧٩.

ويقال: أَفْنَدَ فلاناً الدهرُ: إذا أفسده؛ ومنه قولُ ابنِ مُقْبِلٍ:

دَعِ الدَّهْرَ يَفْعَلْ مَا أَرَادَ فَإِنَّهُ إِذَا كُفِّ الإِفْنَادَ بِالنَّاسِ أَفْنَدَا^(١)

قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيرِ﴾ أي: لفي ذهاب عن طريق الصواب. وقال ابنُ عباس وابنُ زيد: لفي خَطْبِكَ الماضي مِنْ حَبِّ يوسف لا تنساه^(٢). وقال سعيد بن جُبَيْر: لفي جنونك القديم. قال الحسن: وهذا عقوق^(٣). وقال قَتَادَةُ وسفيان: لفي محبَّتِكَ القديمة^(٤). وقيل: إِنَّمَا قالوا هذا؛ لأنَّ يوسفَ عندهم كان قد مات^(٥). وقيل: إن الذي قال له ذلك مَنْ بقيَ معه مِنْ ولده، ولم يكن عندهم الخبر^(٦). وقيل: قال له ذلك مَنْ كان معه مِنْ أهله وقربائه. وقيل: بنو بَنِيهِ، وكانوا صغاراً^(٧) فالله أعلم.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْفَهُ عَلَى وَجْهِهِ﴾ أي: على عينيه. ﴿فَازْتَدَ بِصِغِيرًا﴾ «أَنْ» زائدة^(٨)، والبشير، قيل: هو شمعون^(٩). وقيل: يَهُودَا قال: أنا أذهبُ بالقميص اليوم كما ذهبت به مُلَطَّخاً بِالْدَّمِ؛ قاله ابنُ عباس^(١٠). وعن السُّدِّي أَنَّهُ قال

(١) ديوان ابن مقبل ص ٦٠، والبيت فيه هكذا:

دَعَا الدهرَ يفعل ما أَرَادَ فَإِنَّهُ إِذَا كُفِّ الإِفْسَادَ بِالنَّاسِ أَفْسَدَا

والكلام السابق في تفسير الطبري ٣٣٦/١٣.

(٢) أخرجه عنهما الطبري في التفسير ٣٤٢/١٣ - ٣٤٣، وأخرجه عن ابن عباس ابن أبي حاتم في التفسير ٢١٩٨/٧ (١١٩٧٠).

(٣) أخرجه عنهما ابن أبي حاتم ٢١٩٨/٧ (١١٩٧١) و(١١٩٧٢).

(٤) أخرجه عنهما الطبري في التفسير ٣٤٢/١٣، وأخرجه عن قتادة ابن أبي حاتم ٢١٩٨/٧ - ٢١٩٩ (١١٩٧٣)، والكلام السابق من النكت والعيون ٧٨/٣.

(٥) الوسيط للواحيدي ٦٣٣/٢، وعزاه إلى الحسن، وينظر تفسير البغوي ٤٤٨/٢.

(٦) ينظر تفسير أبي الليث ١٧٦/٢.

(٧) النكت والعيون ٧٨/٣.

(٨) إعراب القرآن للنحاس ٣٤٥/٢.

(٩) النكت والعيون ٧٨/٣، وزاد المسير ٢٨٦/٤ ونسباه إلى الضحاك.

(١٠) تفسير البغوي ٤٤٩/٢، وزاد المسير ٢٨٦/٤.

لإخوته: قد علمتم أنني ذهبت إليه بقميص التُّرحة، فدعوني أذهب إليه بقميص الفرحة^(١). وقال يحيى بن يمان عن سفيان: لما جاء البشيرُ إلى يعقوبَ قال له: على أيِّ دينٍ تركتَ يوسفَ؟ قال: على الإسلام؛ قال: الآن تَمَّتْ النعمةُ^(٢). وقال الحسن: لما ورد البشيرُ على يعقوبَ لم يجد عنده شيئاً يُشْبِهُ به؛ فقال: واللَّهِ ما أصبْتُ عندنا شيئاً، وما خبزنا شيئاً منذ سَنَعِ لِيَالٍ، ولكن هَوْنُ اللَّهِ عليك سكراتِ الموت^(٣).

قلت: وهذا الدعاءُ مِنْ أعظم ما يكون مِنَ الجوائز، وأفضل العطايا والذخائر. ودلَّت هذه الآيةُ على جواز البذل والهبات عند البشائر. وفي الباب حديثُ كعب بن مالك - الطويل - وفيه: فلما جاءني الذي سمعتُ صوته يبشّرني، نزعَت ثوبي فكسوتُهما إِيَّاه ببشارته، وذكر الحديث، وقد تقدّم بكماله في قصة الثلاثة الذين خَلَفُوا^(٤)، وكسوة كعبِ ثوبيه للبشير مع كونه ليس له غيرهما دليلٌ على جواز مثل ذلك إذا ارتجى حصول ما يستبشر به، وهو دليل على جواز إظهار الفرح بعد زوال الغم والتَّرح. ومن هذا الباب جواز حَذَاقَةِ الصبيان^(٥)، وإطعام الطعام فيها، وقد نَحَرَ عمرُ بعد حفظه سورة «البقرة» جَزُوراً^(٦). والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذَكَرَهُمْ قوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحَرَزَيْتَ إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٦].

(١) المحرر الوجيز ٢٨٠/٣، وأخرجه عنه الطبري في التفسير ٣٤٥/١٣، وابن أبي حاتم ٢١٩٦/٧ (١١٩٥٥).

(٢) أخرجه الواحدي في الوسيط ٦٣٤/٢.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير ٢١٩٩/٧ (١١٩٧٩) عن لقمان الحنفي.

(٤) ٤١٣/١٠.

(٥) في النسخ الخطية: حذاق الصبيان، والمثبت من (م). وحَذَقَ الصبيُّ القرآنَ والعملَ، يَخْذِقُ حَذَقاً وحَذَاقَةً وحِذَاقاً: إذا مَهَرَ فيه. ويقال لليوم الذي يختم فيه القرآن: هذا يوم حِذاقه. الصحاح (حذق)، ونقل ابن حجر في فتح الباري ٢٤١/٩ عن ابن الصباغ في كتابه «الشامل» قوله: الحِذاق: الطعام الذي يتخذ عند حذق الصبي، وعن ابن الرفعة: هو الذي يصنع عند الختم، أي: ختم القرآن. اهـ.

(٦) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٣٣١/٢، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٢٨٦/٤٤.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَتَابَانَا أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ في الكلام حذف، التقدير: فلما رَجَعُوا مِنْ مَصْرَ قالوا: يا أبانا؛ وهذا يدلُّ على أنَّ الذي قال له: ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيرِ﴾ بَنُو بَيْنِهِ أو غيرُهم من قرايبته وأهله لا ولده؛ فإنَّهم كانوا غُيَّيًّا، وكان يكون ذلك زيادةً في العقوق. والله أعلم.

وإنما سألوهُ المغفرة؛ لأنَّهم أدخلوا عليه من أَلَمِ الحُزن ما لم يَسْقُطِ المأثمُ عنه إلا بإِحلالِهِ^(١).

قلت: وهذا الحكم ثابتٌ فيمن آذى مسلماً في نفسه أو ماله أو غير ذلك، ظالماً له فإنَّه يجب عليه أن يَتَحَلَّلَ له، ويُخَيِّرَهُ بِالْمَظْلَمَةِ وَقَدْرِهَا، وهل ينفعه التَّحْلِيلُ المطلق أم لا؟ فيه خلافٌ، والصحيحُ أنَّه لا يَنفَعُ؛ فإنَّه لو أخبره بمَظْلَمَةٍ لها قَدْرٌ وبِأَلِّ رِبِّمَا لم تَطْبُ نفسُ المَظْلُومِ في التَّحَلُّلِ منها. والله أعلم.

وفي «صحيح البخاري» وغيره عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عَرَضِهِ أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أَخَذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ، أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتٍ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ»^(٢) قال المهلبُ فقوله ﷺ: «أَخَذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ» يجب أن تكون المَظْلَمَةُ معلومة القَدْر، مشاراً إليها مَبَيَّنَةً، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ قال ابنُ عباس: أَخَّرَ دعاءَهُ إلى السَّحَرِ^(٣). وقال المُثَنَّى بْنُ الصَّبَّاحِ عَنْ طَاوُسٍ قَالَ: سَحَرُ لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ، وَوَافَقَ ذَلِكَ لَيْلَةَ عَاشُورَاءَ^(٤). وفي دعاء الحَفِظِ - من كتاب الترمذي - عن ابنِ عباس أَنَّهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ جَاءَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ فَقَالَ: يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي،

(١) النكت والعيون ٧٩/٣.

(٢) صحيح البخاري (٢٤٤٩)، وأخرجه أيضاً الترمذي (٢٤١٩) بنحوه.

(٣) ينظر معاني القرآن للفراء ٥٥/٢، والوسيط للواحيدي ٦٣٤/٢، وزاد المسير ٢٨٧/٤.

(٤) تفسير البغوي ٤٤٩/٢، وزاد المسير ٢٨٧/٤، وينظر عرائس المجالس للثعلبي ص ١٤١.

تَقَلَّتْ هَذَا الْقُرْآنَ مِنْ صَدْرِي، فَمَا أَجِدُنِي أَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفَلَا أَعَلَّمَكْ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ، وَيَنْفَعُ بِهِنَّ مَنْ عَلَّمْتَهُ، وَيُثَبِّتُ مَا تَعَلَّمْتَ فِي صَدْرِكَ» قَالَ: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَعَلَّمَنِي، قَالَ: «إِذَا كَانَ لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَقُومَ فِي ثَلَاثِ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَإِنَّهَا سَاعَةٌ مَشْهُودَةٌ، وَالِدَعَاءُ فِيهَا مُسْتَجَابٌ، وَقَدْ قَالَ أَخِي يَعْقُوبُ لِبَنِيهِ: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ يَقُولُ: حَتَّى تَأْتِيَ لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ»^(١) وَذَكَرَ الْحَدِيثَ.

وَقَالَ أَيُّوبُ بْنُ أَبِي تَمِيمَةَ السَّخْتِيَانِي، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ فِي اللَّيَالِي الْبَيضِ، فِي الثَّلَاثَةِ عَشْرَةِ، وَالرَّابِعَةِ عَشْرَةِ، وَالْخَامِسَةِ عَشْرَةِ، فَإِنَّ الدَّعَاءَ فِيهَا مُسْتَجَابٌ^(٢). وَعَنْ عَامِرِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ أَي: أَسْأَلُ يَوْسُفَ إِنْ عَفَا عَنْكُمْ اسْتَغْفَرْتُ لَكُمْ رَبِّي^(٣).

وَذَكَرَ سُنَيْدُ بْنُ دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَارِبِ بْنِ دِثَارٍ، عَنْ عَمِّهِ قَالَ: كُنْتُ أَتَى الْمَسْجِدَ فِي السَّحَرِ، فَأَمُرُّ بِدَارِ ابْنِ مَسْعُودٍ فَأَسْمَعُهُ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَنِي فَأَطَعْتُ، وَدَعَوْتَنِي فَأَجَبْتُ، وَهَذَا سَحَرٌ، فَافْغِرْ لِي، فَلَقِيتُ ابْنَ مَسْعُودٍ فَقُلْتُ: كَلِمَاتٍ أَسْمَعُكَ تَقُولُهُنَّ فِي السَّحَرِ؟ فَقَالَ: إِنَّ يَعْقُوبَ أَخْرَجَ بَنِيهِ إِلَى السَّحَرِ بِقَوْلِهِ: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾^(٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ﴾ أَي: قَضَرَأ كَانَ لَهُ هُنَاكَ ﴿مَأْوًى إِلَى أَبِيهِ﴾ قِيلَ: إِنَّ يَوْسُفَ بَعَثَ مَعَ الْبَشِيرِ مَتْنِي رَاحِلَةً وَجَهَازًا، وَسَأَلَ يَعْقُوبَ أَنْ يَأْتِيَهُ

(١) سنن الترمذي (٣٥٧٠).

(٢) ينظر المحرر الوجيز ٢٨٠/٣.

(٣) تفسير البغوي ٤٤٩/٢.

(٤) أخرجه سعيد بن منصور في التفسير ٤١٠/٥ (١١٤٤)، والطبري في التفسير ٣٤٧/١٣، وابن أبي حاتم في التفسير ٢٢٠٠/٧ (١١٩٨٣)، والطبراني في الكبير ١٠٤/٩ (٨٥٤٨) من طرق، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن محارب بن دثار، عن عَمِّهِ. قَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ ١٥٥/١٠: وَفِيهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِسْحَاقَ الْكُوفِيُّ، وَهُوَ ضَعِيفٌ.

بأهله وولده جميعاً، فلما دخلوا عليه ﴿ءَاوَيْتَ إِلَيْهِ أَبُوْيَهُ﴾ أي: ضَمَّ، ويعني بأبويه أباه وخالته، وكانت أمه قد ماتت في ولادة أخيه بنيامين^(١). وقيل: أحيا الله له أمه تحقيقاً للرؤيا حتى سجدت له، قاله الحسن^(٢)، وقد تقدّم في «البقرة» أن الله تعالى أحيا لنبيه عليه الصلاة والسلام أباه وأمّه، فأما به^(٣).

قوله تعالى: ﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ قال ابن جريج: أي: سوف أستغفر لكم ربّي إن شاء الله، قال: وهذا من تقديم القرآن وتأخير^(٤). قال النحاس^(٥): يذهب ابن جريج إلى أنهم قد دخلوا مصر، فكيف يقول: ﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾. وقيل: إنّما قال: ﴿إِن شَاءَ اللَّهُ﴾ تبرّكاً وجزماً. ﴿ءَامِنِينَ﴾ من الفخط، أو من فرعون، وكانوا لا يدخلونها إلا بجوازه^(٦).

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَأْبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءُوسِي مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُمْ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ قال قتادة: يريد السرير^(٧)، وقد تقدّمت

(١) أخرجه الطبري في التفسير ٣٥٢/١٣، وابن أبي حاتم ٢٢٠٠/٧ - ٢٢٠١ (١١٩٨٦) ونسباه إلى السدي، وينظر زاد المسير ٢٨٨/٤، وتفسير الرازي ٢١٠/١٨. والأظهر أن المراد بأبويه: أبوه وأمّه، بحسب اللفظ، إلا إذا ثبت بسند أن أمه ماتت. المحرر الوجيز ٢٨١/٣.

(٢) تفسير البغوي ٤٥٠/٢، وتفسير الرازي ٢١٠/١٨ قال الآلوسي في روح المعاني ٥٧/١٣: والظاهر أنه لم يثبت، ولو ثبت مثله لاشتهر.

(٣) ٣٤٤/٢. وهذا حديث كذب، فيما نقلناه عن الذهبي ثمة.

(٤) أخرجه الطبري في التفسير ٣٥١/١٣، وينظر كلام الطبري حول هذا المعنى.

(٥) معاني القرآن ٤٥٦/٣.

(٦) ينظر تفسير البغوي ٤٥٠/٢، وزاد المسير ٢٨٩/٤، وتفسير الرازي ٢١١/١٨.

(٧) معاني القرآن للنحاس ٤٥٦/٣.

مَحَامِلُهُ^(١)، وَقَدْ يُعَبَّرُ بِالْعَرْشِ عَنِ الْمُلْكِ وَالْمَلِكِ نَفْسِهِ، وَمِنْهُ قَوْلُ النَّابِغَةِ الذُّبْيَانِي: عُرُوشٌ تَفَانُوا بَعْدَ عِزٍّ وَأَمْنَةٍ^(٢)

وَقَدْ تَقَدَّمَ^(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَحَرُّوا لَكَ سُجَّدًا﴾

فِيهِ ثَلَاثُ مَسَائِلَ:

الْأُولَى: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَحَرُّوا لَكَ سُجَّدًا﴾ الْهَاءُ فِي «حَرُّوا لَهُ» قِيلَ: إِنَّهَا تَعُودُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، الْمَعْنَى: وَحَرُّوا شُكْرًا لِلَّهِ سُجَّدًا، وَيُوسُفُ كَالْقِبْلَةِ، لِتَحْقِيقِ رُؤْيَاهُ، وَرُوي عَنْ الْحَسَنِ^(٤)، قَالَ النَّقَاشُ: وَهَذَا خَطَأٌ، وَالْهَاءُ رَاجِعَةٌ إِلَى يُوسُفَ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي أَوَّلِ السُّورَةِ: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾. وَكَانَ تَحِيَّتُهُمْ أَنْ يَسْجُدَ الْوَضِيعُ لِلشَّرِيفِ^(٥)، وَالصَّغِيرُ لِلْكَبِيرِ؛ سَجَدَ يَعْقُوبُ وَخَالَتُهُ وَإِخْوَتُهُ لِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَاقْشَعَرَ جِلْدُهُ وَقَالَ: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾^(٦).

وَكَانَ بَيْنَ رُؤْيَا يُوسُفَ وَبَيْنَ تَأْوِيلِهَا اثْنَتَانِ وَعِشْرُونَ سَنَةً^(٧). وَقَالَ سَلْمَانُ الْفَارَسِيُّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَدَّادٍ: أَرْبَعُونَ سَنَةً^(٨)؛ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَدَّادٍ: وَذَلِكَ آخِرُ مَا تُبْطِئُ

(١) ٢٤٠/٩.

(٢) لَمْ تَقَفْ عَلَيْهِ فِي دِيْوَانِهِ، وَأَوْرَدَهُ الْقُرْطُبِيُّ فِي الْأَسْنَى ص ١٨٦ وَلَمْ يَنْسِبْهُ، وَتَمَامُهُ:

هُوُوا بَعْدَمَا رَامُوا السَّلَامَةَ وَالْبَقَاءَ

(٣) لَمْ يَتَقَدَّمَ، بَلِ الْوَارِدُ سَابِقًا ٢٤٠/٩ قَوْلُ زَهِيرٍ:

تَدَارَكْتُمَا عِبْسًا وَقَدْ ثُلَّ عَرْشُهَا وَذُبْيَانٌ إِذْ زَلَّتْ بِأَقْدَامِهَا النُّعْلُ

(٤) النُّكْتُ وَالْعَيُونُ ٨٢/٣، وَالْمَحْرَرُ الْوَجِيزُ ٢٨١/٣، وَزَادَ الْمَسِيرُ ٢٩٠/٤.

(٥) تَفْسِيرُ أَبِي الْلَيْثِ ١٧٧/٢.

(٦) يَنْظُرُ تَفْسِيرُ الرَّازِيِّ ٢١٣/١٨ - ٢١٤.

(٧) تَفْسِيرُ أَبِي الْلَيْثِ ١٧٧/٢، وَزَادَ الْمَسِيرُ ٢٩٠/٤، وَنَسَبَاهُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ.

(٨) الْمَحْرَرُ الْوَجِيزُ ٢٨٢/٣، وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ ٣٥٧/١٣ - ٣٥٩ عَنْهُمَا، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي التَّفْسِيرِ ٢٢٠٢/٧ (١١٩٩٨) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الرؤيا^(١). وقال قَتَادَة: خمسٌ وثلاثون سنة^(٢). وقال السُّدِّي وسعيدُ بْنُ جُبَيْر وعِكرمة: ستٌ وثلاثون سنة^(٣). وقال الحسن وجسرُ بْنُ فَرْقَدٍ وفُضَيْلُ بْنُ عِيَّاض: ثمانون سنة^(٤).

وقال وهبُ بْنُ مُنَبِّه: أَلْقَى يوسفُ في الجُبِّ وهو ابنُ سبعِ عَشْرَة سنةً، وغاب عن أبيه ثمانينَ سنةً، وعاش بعد أن التقى بأبيه ثلاثاً وعشرينَ سنةً، ومات وهو ابنُ مئة وعشرينَ سنةً. وفي التوراة مئةٌ وستٌ وعشرون سنةً. وولد ليوسفَ مِنْ امرأةِ العزيز: إفرائيم، ومنشا، ورحمة امرأةِ أيوب^(٥). وبين يوسف وموسى أربعُ مئة سنة^(٦).

وقيل: إنَّ يعقوبَ بَقِيَ عند يوسفَ عشرينَ سنةً، ثم توفِّي ﷺ. وقيل: أقام عنده ثمانينَ عَشْرَة سنةً^(٧). وقال بعضُ المحدثين: بضعا وأربعينَ سنةً. وكان بين يعقوبَ ويوسفَ ثلاثٌ وثلاثونَ سنةً حتى جمعهم الله. وقال ابنُ إسحاق: ثمانينَ عَشْرَة سنةً، والله أعلم^(٨).

الثانية: قال سعيدُ بْنُ جُبَيْر، عن قَتَادَة، عن الحسن، في قوله: ﴿وَحَرُّوا لَهُ سُجْدًا﴾ قال: لم يكن سجوداً، لكنَّه سُنَّة كانت فيهم، يُؤمِّنون برؤوسهم إيماءً، كذلك كانت تحيَّتهم^(٩). وقال الثَّوْرِيُّ والضَّحَّاك وغيرُهما: كان سجوداً كالسجود المعهود عندنا، وهو كان تحيَّتهم. وقيل: كان انحناءً كالركوع، ولم يكن خُرواً على الأرض، وهكذا

(١) المحرر الوجيز ٢٨٢/٣.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٢٠٢/٧ (١١٩٩٩).

(٣) زاد المسير ٢٩٠/٤ - ٢٩١.

(٤) المحرر الوجيز ٢٨٢/٣، وأخرجه عنهم الطبري في التفسير ٣٥٩/١٣ - ٣٦٠.

(٥) تفسير البغوي ٤٥١/٢ ولكن عزاه إلى الحسن، وفيه وفي المعارف لابن قتيبة ص ٤١ أن في التوراة أنه عاش مئة وعشر سنين.

(٦) المعارف لابن قتيبة ص ٤١.

(٧) ينظر المحرر الوجيز ٢٨٢/٣، وتفسير أبي الليث ١٧٨/٢، وتفسير البغوي ٤٥١/٢.

(٨) أخرجه الطبري في التفسير ٣٦١/١٣.

(٩) ينظر الوسيط للواحدي ٦٣٥/٢، والمحرر الوجيز ٢٨١/٣.

كان سلامهم بالتَّكْفِي والانحناء، وقد نَسَخَ اللهُ ذلك كله في شرعنا، وجعل الكلام بدلاً عن الانحناء.

وأجمع المفسرون أنَّ ذلك السجود على أيِّ وجهٍ كان، فإنَّما كان تحيةً لا عبادةً. قال قتادة: هذه كانت تحية الملوك عندهم، وأعطى الله هذه الأُمَّة السلام تحيةً أهل الجنة^(١).

قلت: هذا الانحناء والتَّكْفِي الذي نُسِخَ عَنْهُ، قد صار عادةً بالديار المصرية، وعند العَجَم، وكذلك قيام بعضهم إلى بعض، حتى إنَّ أحدهم إذا لم يُقَمِّ له، وَجَدَ في نفسه كأنه لا يُؤْبَهُ به، وأنَّه لا قَدَرَ له، وكذلك إذا التقوا، انحنى بعضهم لبعض، عادةً مستمرة، ووراثَةً مستقرَّة، لا سيما عند التقاء الأمراء والرؤساء. نَكَّبُوا عن السَّنَنِ، وأعرضوا عن السَّنَنِ. وروى أنسُ بْنُ مالِكٍ قال: قلنا يا رسول الله، أينحنى بعضنا إلى بعض إذا التقينا؟ قال: «لا»، قلنا: أفيعتَبِقُ بعضنا بعضاً؟ قال: «لا»، قلنا: أفيصافح بعضنا بعضاً؟ قال: «نعم». خرَّجه أبو عمر في «التمهيد»^(٢).

فإن قيل: فقد قال رسولُ الله ﷺ: «قوموا إلى سيِّدكم وخيرِكم»^(٣) - يعني: سعدَ ابنَ معاذٍ - قلنا: ذلك مخصوصٌ بسعدٍ؛ لما تقتضيه الحالُ المعينة. وقد قيل: إنَّما كان قيامهم لينزلوه عن الحمار. وأيضاً فإنَّه يجوز للرجل الكبير إذا لم يؤثر ذلك في نفسه، فإن أثر فيه، وأعجب به، ورأى لنفسه حظاً، لم يَجْزُ عَوْنُهُ على ذلك؛ لقوله ﷺ: «مَنْ سرَّه أن يتمثَّلَ له الناسُ قياماً، فليتبوأ مقعده من النار»^(٤). وجاء عن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أنَّه لم يكن وجهٌ أكرمَ عليهم من وَجهِ رسولِ الله ﷺ، وما كانوا يقومون له إذا رَأَوْه؛ لما يعرفون من كراهته لذلك.

(١) أخرجه الطبري في التفسير ٣٥٥/١٣، وابن أبي حاتم في التفسير ٢٢٠٢/٧ (١١٩٩٦).

(٢) ١٥/٢١، وأخرجه أيضاً البيهقي في السنن الكبرى ١٠٠/٧.

(٣) أخرجه أحمد (٢٥٠٩٧) من حديث عائشة، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١١٢٠) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٤) أخرجه أبو داود (٥٢٢٩)، والترمذي (٢٧٥٥) من حديث معاوية. قال الترمذي: هذا حديث حسن.

الثالثة: فإن قيل: فما تقول في الإشارة بالإصبع؟ قيل له: ذلك جائز إذا بُعد عنك؛ لتعين له به وقت السلام، فإن كان دانياً، فلا^(١). وقد قيل بالمنع في القرب والبعد؛ لما جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من تشبه بغيرنا، فليس منا». وقال: «لا تُسلموا تسليم اليهود والنصارى، فإن تسليم اليهود بالأكُف، والنصارى بالإشارة»^(٢). وإذا سلم فإنه لا ينحني، ولا أن يُقبل مع السلام يده، ولأن الانحناء على معنى التواضع لا ينبغي إلا لله.

وأما تقبيل اليد فإنه من فعل الأعاجم، ولا يتبعون على أفعالهم التي أحدثوها؛ تعظيماً منهم لكبرائهم؛ قال النبي ﷺ: «لا تقوموا عند رأسي، كما تقوم الأعاجم عند رؤوس أكاسرتها»^(٣) فهذا مثله.

ولا بأس بالمصافحة؛ فقد صافح النبي ﷺ جعفر بن أبي طالب حين قدم من الحبشة، وأمر بها، ونذّب إليها^(٤)، وقال: «تصافحوا يذهب الغل»^(٥) وروى غالب التَّمَار عن الشعبي أن أصحاب النبي ﷺ كانوا إذا التقوا تصافحوا، وإذا قدموا من سفر، تعانقوا^(٦).

فإن قيل: فقد كره مالك المصافحة؟ قلنا^(٧): روى ابن وهب عن مالك أنه كره المصافحة والمعانقة، وذهب إلى هذا سُخْنُون وغيره من أصحابنا. وقد روي عن

(١) في أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٠٩٥. والكلام منه: فلا بأس بالمصافحة. وسيذكر المصنف المصافحة فيما يأتي.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٩٥) والنسائي في الكبرى (١٠١٠٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٨٩١١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. قال الترمذي: هذا حديث إسناده ضعيف. اهـ.

(٣) أخرجه أبو داود (٥٢٣٠)، وابن ماجه (٢٨٣٦) عن أبي أمامة رضي الله عنه بنحوه.

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٠٩٥، والحديث أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار ٤/ ٢٨١.

(٥) أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٩٠٨ عن عطاء مرسلاً.

(٦) أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار ٤/ ٢٨١.

(٧) القائل ابن عبد البر في التمهيد ٢١/ ١٧.

مالكٍ خلاف ذلك من جواز المصافحة، وهو الذي يدلُّ عليه معنى ما في «الموطأ»، وعلى جواز المصافحة جماعة العلماء من السلف والخلف.

قال ابن العربي^(١): «إنما كره مالك المصافحة؛ لأنه لم يرها أمراً عاماً في الدين، ولا منقولاً نقل السلام، ولو كانت منه لاستوى معه.

قلت: قد جاء في المصافحة حديث يدلُّ على الترغيب فيها، والدأب عليها والمحافظة، وهو ما رواه البراء بن عازب قال: لقيتُ رسولَ الله ﷺ، فأخذ بيدي فقلت: يا رسولَ الله، إن كنتُ لأحسب أنَّ المصافحةَ للأعاجم؟ فقال: «نحن أحقُّ بالمصافحة منهم، ما من مسلمين يلتقيان فيأخذ أحدهما بيد صاحبه مودةً بينهما ونصيحةً، إلا ألقيت ذنوبهما بينهما»^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ ولم يقل: من الجُب؛ استعمالاً للكرم؛ لئلا يُذكر إخوته صنيعهم بعد عفوهم عنه بقوله: ﴿لَا تَغْرِبَ عَلَيْكُمْ﴾^(٣) [يوسف: ٩٢].

قلت: وهذا هو الأصل عند مشايخ الصوفية: ذكُر الجَفَا في وقت الصَّفَا جَفَا^(٤)، وهو قولٌ صحيحٌ دلَّ عليه الكتابُ.

وقيل: لأنَّ في دخوله السجن كان باختياره بقوله: ﴿رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ وَمَا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ وكان في الجُبِّ بإرادة الله تعالى له. وقيل: لأنه كان في السجن مع اللصوص والعصاة، وفي الجُبِّ مع الله تعالى؛ وأيضاً فإنَّ المِنَّةَ في النِّجاةِ مِنَ السِّجْنِ كانت أكبر؛ لأنه دخله بسبب أمرٍ همَّ به، وأيضاً دخله باختياره إذ قال: ﴿رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ فكان الكربُ فيه أكثر، وقال فيه أيضاً: ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾

(١) أحكام القرآن ٣/ ١٠٩٥.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٨٣٣٥)، وابن عبد البر في التمهيد ١٣/ ٢١.

(٣) الوسيط للواحد ٢/ ٦٣٥، وزاد المسير ٤/ ٢٩١.

(٤) هذا من كلام الجنيد للسري السَّقَطِي، وهو في الرسالة القشيرية ١١٨/ ٢.

[يوسف: ٤٢] فَعُوقِبَ فِيهِ^(١).

﴿وَجَلَّ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ يُرَوَى أَنَّ مَسْكَنَ يَعْقُوبَ كَانَ بِأَرْضِ كِنْعَانَ، وَكَانُوا أَهْلَ مَوَاشٍ وَبَرِيَّةٍ^(٢). وَقِيلَ: كَانَ يَعْقُوبُ تَحَوَّلَ إِلَى بَادِيَةِ وَسَكَنَهَا، وَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ. وَقِيلَ: إِنَّهُ كَانَ خَرَجَ إِلَى بَدَا، وَهُوَ مَوْضِعٌ؛ وَإِبَاهُ عَنْ جَمِيلٍ بِقَوْلِهِ: وَأَنْتِ الَّتِي حَبَّبْتَ شَعْبًا إِلَى بَدَا إِلَيَّ وَأَوْطَانِي بِلَادَ سِوَاهُمَا^(٣) وَلِيَعْقُوبَ بِهَذَا الْمَوْضِعِ مَسْجِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ. يُقَالُ: بَدَا الْقَوْمُ بَدْوًا: إِذَا أَتَوْا بَدَا، كَمَا يُقَالُ: غَارُوا غَوْرًا، أَي: أَتَوْا الْغَوْرَ، وَالْمَعْنَى: وَجَاءَ بِكُمْ مِنْ مَكَانٍ بَدَا؛ ذَكَرَهُ الْقَشِيرِيُّ، وَحَكَاهُ الْمَاوَزْدِيُّ عَنِ الضَّحَّاكِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٤).

﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ بِإِيقَاعِ الْحَسَدِ؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٥). وَقِيلَ: أَفْسَدَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي^(٦)؛ أَحَالَ ذَنْبَهُمْ عَلَى الشَّيْطَانِ؛ تَكْرُمًا مِنْهُ. ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ﴾ أَي: رَفِيقٌ بِعِبَادِهِ. وَقَالَ الْحَطَّابِيُّ: اللَّطِيفُ هُوَ الْبَرُّ بِعِبَادِهِ، الَّذِي يَلْطَفُ بِهِمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ، وَيَسَبِّبُ لَهُمْ مَصَالِحَهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الشورى: ١٩]. وَقِيلَ: اللَّطِيفُ: الْعَالِمُ بِدَقَائِقِ الْأُمُورِ؛ وَالْمَرَادُ هُنَا الْإِكْرَامُ وَالرَّفَقُ.

قَالَ قَتَادَةُ: لَطَفَ يَوْسُفَ بِإِخْرَاجِهِ مِنَ السَّجْنِ، وَجَاءَهُ بِأَهْلِهِ مِنَ الْبَدْوِ، وَنَزَعَ عَنْ قَلْبِهِ نَزْعَ الشَّيْطَانِ^(٧).

(١) ينظر النكت والعيون ٨٣/٣، وتفسير البغوي ٤٥١/٢، وزاد المسير ٢٩١/٤.

(٢) الوسيط للواحد ٦٣٦/٢ ونسبه إلى قتادة، وأخرجه عنه الطبري في التفسير ٣٦٢/١٣.

(٣) ديوان جميل ص ٢٠٠.

(٤) النكت والعيون ٨٤/٣، وينظر تفسير الرازي ٢١٥/١٨.

(٥) النكت والعيون ٨٤/٣.

(٦) مجاز القرآن لأبي عبيدة ص ٣١٩/١، وتفسير الطبري ٣٦٣/١٣.

(٧) أخرجه الطبري في التفسير ٣٦٤/١٣، وابن أبي حاتم في التفسير ٢٢٠٣/٧ (١٢٠٠٣).

وَيُرَوَّى أَنَّ يَعْقُوبَ لَمَّا قَدِمَ بِأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ، وَشَارَفَ أَرْضَ مِصْرَ، وَبَلَغَ ذَلِكَ يَوْسُفَ، اسْتَأْذَنَ فِرْعَوْنَ - وَاسْمُهُ الرَّيَّانُ - أَنْ يَأْذَنَ لَهُ فِي تَلْقَايِهِ يَعْقُوبَ، وَأَخْبَرَهُ بِقُدُومِهِ، فَأْذَنَ لَهُ، وَأَمَرَ الْمَلَأَ مِنْ أَصْحَابِهِ بِالرُّكُوبِ مَعَهُ، فَخَرَجَ يَوْسُفُ وَالْمَلِكُ مَعَهُ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ مِنَ الْأَمْراءِ مَعَ كُلِّ أَمِيرٍ خَلَقَ اللَّهُ أَعْلَمَ بِهِمْ، وَرَكِبَ أَهْلُ مِصْرَ مَعَهُمْ يَتَلَقَّوْنَ يَعْقُوبَ، فَكَانَ يَعْقُوبُ يَمْشِي مُتَكِنًا عَلَى يَدِ يَهُوذَا، فَنَظَرَ يَعْقُوبُ إِلَى الْخَيْلِ وَالنَّاسِ وَالْعَسَاكِرِ فَقَالَ: يَا يَهُوذَا، هَذَا فِرْعَوْنُ مِصْرَ؟ قَالَ: لَا، بَلْ هَذَا ابْنُكَ يَوْسُفَ، فَلَمَّا دَنَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ، ذَهَبَ يَوْسُفُ لِيَبْدَأَهُ بِالسَّلَامِ، فَمُنِعَ مِنْ ذَلِكَ، وَكَانَ يَعْقُوبُ أَحَقَّ بِذَلِكَ مِنْهُ وَأَفْضَلَ، فَابْتَدَأَ يَعْقُوبُ بِالسَّلَامِ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُذْهَبَ الْأَحْزَانِ^(١)، وَيَكِي وَيَكِي مَعَهُ يَوْسُفُ، فَبَكَى يَعْقُوبُ فَرَحًا، وَيَكِي يَوْسُفُ، لَمَّا رَأَى بِأَبِيهِ مِنَ الْحُزَنِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٢): فَالْبُكَاءُ أَرْبَعَةٌ، بُكَاءٌ مِنَ الْخَوْفِ، وَبُكَاءٌ مِنَ الْجَزَعِ، وَبُكَاءٌ مِنَ الْفَرَحِ، وَبُكَاءٌ رِيَاءً. ثُمَّ قَالَ يَعْقُوبُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَقَرَّ عَيْنِي بَعْدَ الْهَمُومِ وَالْأَحْزَانِ.

وَدَخَلَ مِصْرَ فِي اثْنَيْنِ وَثَمَانِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، فَلَمْ يَخْرُجُوا مِنْ مِصْرَ حَتَّى بَلَّغُوا سِتِّ مِائَةِ أَلْفٍ وَنِيفِ أَلْفٍ، وَقَطَعُوا الْبَحْرَ مَعَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، رَوَاهُ عِكْرِمَةُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٣). وَحَكَى ابْنُ مَسْعُودٍ أَنَّهُمْ دَخَلُوا مِصْرَ وَهُمْ ثَلَاثَةٌ وَتَسْعُونَ إِنْسَانًا مَا بَيْنَ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ، وَخَرَجُوا مَعَ مُوسَى وَهُمْ سِتُّ مِائَةِ أَلْفٍ وَسَبْعُونَ أَلْفًا^(٤). وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ خَثِيمٍ: دَخَلُوهَا وَهُمْ اثْنَانِ وَسَبْعُونَ أَلْفًا، وَخَرَجُوا مَعَ مُوسَى وَهُمْ سِتُّ مِائَةِ أَلْفٍ. وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مَنْبَةَ: دَخَلَ يَعْقُوبُ وَوَلَدُهُ مِصْرَ وَهُمْ تَسْعُونَ إِنْسَانًا مَا بَيْنَ رَجُلٍ

(١) تفسير الطبري ١٣/٣٥٠، وتاريخ الطبري ١/٣٦٢، وعرائس المجالس ص ١٤١ - ١٤٢، والنكت والعيون ٣/٨١.

(٢) لم تقف عليه.

(٣) لم تقف عليه.

(٤) النكت والعيون ٣/٨٢، وأخرجه الطبري في التفسير ١٣/٣٦٣ بنحوه، وينظر تفسير أبي الليث ٢/١٧٦، وفيه أنهم كانوا حين دخولهم ثلاثة وسبعين إنساناً.

وامرأةً وصغير، وخرجوا منها مع موسى فراراً من فرعون وهم ست مئة ألف وخمسة مئة وبضع وسبعون رجلاً مقاتلين، سوى الذرية والهَرَمَى والزَّمْنَى؛ وكانت الذرية ألف ألف ومئتي ألف سوى المقاتلة^(١).

وقال أهل التواريخ: أقام يعقوب بمصر أربعاً وعشرين سنةً في أغبط حال ونعمة، ومات بمصر، وأوصى إلى ابنه يوسف أن يحمل جسده حتى يدفنه عند أبيه إسحاق بالشام، ففعل، ثم انصرف إلى مصر^(٢). قال سعيد بن جبیر: نُقل يعقوب ﷺ في تابوت من ساج إلى بيت المقدس، ووافق ذلك يوم مات عيصو، فدفنا في قبر واحد؛ فمن ثم تُنقل اليهود موتاهم إلى بيت المقدس، مَنْ فَعَلَ ذلك منهم؛ وولد يعقوب وعيصو في بطن واحد، ودفنا في قبر واحد، وكان عمرهما جميعاً مئة وسبعاً وأربعين سنة^(٣).

قوله تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَالْحَقِّي بِالْبَطْلِينِ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ قال قتادة: لم يتمن الموت أحد، نبي ولا غيره إلا يوسف عليه السلام؛ حين تكاملت عليه النعم، وجميع له الشمل اشتاق إلى لقاء ربه عز وجل^(٤). وقيل: إن يوسف لم يتمن الموت، وإنما تمنى الوفاة على الإسلام، أي: إذا جاء أجلي توفني مسلماً^(٥)، وهذا قول الجمهور.

وقال سهل بن عبد الله التستري: لا يتمنى الموت إلا ثلاث: رجل جاهل بما بعد الموت، أو رجل يورث من أقدار الله تعالى عليه، أو مشتاق محب للقاء الله عز وجل.

(١) ينظر عرائس المجالس ص ١٤٢، والكشاف ٢/ ٣٤٤.

(٢) تفسير البغوي ٢/ ٤٥١، وينظر تاريخ الطبري ١/ ٣٦٤، والوسيط ٢/ ٦٣٦، والكشاف ٢/ ٣٤٥.

(٣) تفسير البغوي ٢/ ٤٥١. وينظر عرائس المجالس ص ١٤٣، والمعارف لابن قتيبة ص ٣٩ وهذه الأخبار من الإسرائيليات.

(٤) أخرجه الطبري في التفسير ١٣/ ٣٦٥ - ٣٦٦.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٢٨٣، والكشاف ٢/ ٣٤٥.

وَبُتِّ فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ لَضُرِّ نَزَلٍ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا بَدَ مُتَمَنَّيًّا، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي». رواه مسلم^(١) وفيه^(٢): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَتَمَنَّيُ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ، وَلَا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ، إِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمرَهُ إِلَّا خَيْرًا». وإذا ثبتَ هذا، فكيفَ يقال: إِنَّ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَمَنَّى الْمَوْتَ، وَالْخُرُوجَ مِنَ الدُّنْيَا، وَقَطَعَ الْعَمَلَ؟ هَذَا بَعِيدٌ! إِلَّا أَنْ يُقَالَ: إِنَّ ذَلِكَ كَانَ جَائِزًا فِي شَرْعِهِ، أَمَّا إِنَّهُ يَجُوزُ تَمَنِّي الْمَوْتَ وَالِدَعَاءُ بِهِ عِنْدَ ظُهُورِ الْفِتَنِ وَغَلَبَتِهَا وَخُوفِ ذَهَابِ الدِّينِ، عَلَى مَا بَيَّنَّاهُ فِي كِتَابِ «التَّذَكُّرَةِ»^(٣). و«مِنْ» مِنْ^(٤) قَوْلِهِ: ﴿مِنْ أَلْمَلِكِ﴾ لِلتَّبَعِيضِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَعَلَّمَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ لِأَنَّ مُلْكَ مِصْرَ مَا كَانَ كُلُّ الْمُلْكِ، وَعَلَّمَ التَّعْبِيرَ مَا كَانَ كُلُّ الْعُلُومِ. وَقِيلَ: «مِنْ» لِلْجِنْسِ كَقَوْلِهِ: ﴿فَأَجْتَبَيْنَا مِنَ الْأَوْتُنِ﴾ [الحج: ٣٠]. وَقِيلَ: لِلتَّأْكِيدِ. أَيْ: آتَيْتَنِي الْمُلْكَ، وَعَلَّمْتَنِي تَأْوِيلَ الْأَحَادِيثِ^(٥).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاطْرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ نُصِبَ عَلَى النَّعْتِ لِلنَّدَاءِ، وَهُوَ «رَبٌّ»، وَهُوَ نَدَاءٌ مُضَافٌ، وَالتَّقْدِيرُ: يَا رَبِّ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نَدَاءً ثَانِيًا^(٦). وَالْفَاطِرُ الْخَالِقُ، فَهُوَ سَبْحَانَهُ فَاطِرُ الْمَوْجُودَاتِ، أَيْ: خَالَقُهَا وَمُبْدِئُهَا، وَمُنْشِئُهَا وَمَخْتَرِعُهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ^(٧)، وَلَا مِثَالٍ سَبَقَ؛ وَقَدْ تَقَدَّمَ هَذَا الْمَعْنَى فِي «الْبَقَرَةِ»^(٨)

(١) فِي صَحِيحِهِ (٢٦٨٠)، وَهُوَ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ (٦٣٥١).

(٢) فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (٢٦٨٢).

(٣) ص ٦.

(٤) فِي (ظ): فِي.

(٥) مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلزَّجَّاجِ ١٢٩/٣، وَالْكَشَافُ ٣٤٥/٢، وَالْمَحَرَّرُ الْوَجِيزُ ٢٨٤/٣.

(٦) إِعْرَابُ الْقُرْآنِ لِلنَّحَّاسِ ٣٤٥/٢، وَمَعَانِي الْقُرْآنِ لِلزَّجَّاجِ ١٣٠/٣، وَالْكَشَافُ ٣٤٥/٢.

(٧) فِي (ظ): شَبَهَ.

(٨) ٣٣٥/٢.

مستوفى عند قوله: ﴿يَدْبِغُ السَّمَكُونَ وَالْأَرْضُ﴾ [آية: ١١٧] وزدناه بياناً في الكتابِ
«الأسنى في شرح أسماء الله الحسنی»^(١).

﴿أَنْتَ وَلِيُّ﴾ أي: ناصري ومتولي أموري في الدنيا والآخرة. ﴿تَوْفَّقِي مُسْلِمًا
وَالْحَقِّقِي بِالصَّلَاحِ﴾ يريدُ آبَاءَهُ الثلاثة: إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فتوفاه الله طاهراً
طيباً ﷺ، بمصر، ودُفِنَ في النيل في صندوق من رخام؛ وذلك أنه لما مات تشاحَّ
الناسُ عليه، كلُّ يحبُّ أن يُدْفَنَ في محلَّتْهم، لما يرجون من بركته؛ واجتمعوا على
ذلك حتى همُّوا بالقتال، فرأوا أن يدفنوه في النيل من حيث مَفَرَّقُ الماءِ بمصر، فيمُرَّ
عليه الماء، ثم يتفرَّق في جميع مصر، فيكونوا فيه شرعاً^(٢)، ففعلوا، فلمَّا خرجَ
موسى ببني إسرائيلَ أخرجَه من النيل، ونقلَ تابوته بعد أربع مئة سنةٍ إلى بيت
المقدس، فدفنوه مع آبائه لدعوته: ﴿وَالْحَقِّقِي بِالصَّلَاحِ﴾ وكان عُمره مائة عامٍ وسبعة
أعوام^(٣).

وعن الحسن قال: أُلقي يوسفُ في الجبِّ وهو ابنُ سبعِ عشرة سنة، وكان في
العبودية والسَّجْنِ والملك ثمانين سنة، ثم جُمِعَ له شملُه فعاشَ بعد ذلك ثلاثاً
وعشرين سنة؛ وكان له من الولدِ إفرائيمُ، ومنشا، ورحمة زوجةُ أيوب؛ في قولِ ابنِ
لهيعة.

قال الزُّهري: ووُلد لإفرائيم بن يوسف نونُ بنُ إفرائيم، ووُلد لنون يوشعُ، فهو
يُوشعُ بنُ نون^(٤)، وهو فتى موسى الذي كانَ معه صاحبُ أمره، ونَبَّأَ الله في زمنِ
موسى عليه السلام، فكان بعده نبياً، وهو الذي افتتحَ أريحا، وقتلَ مَنْ كانَ بها من

(١) ص ٣٢٦ - ٣٢٨.

(٢) أي: سواء. الصحاح (شرع)، وفي (ظ): شركاء، وهما بمعنى.

(٣) النكت والعيون ٨٥/٣، والوسيط ٦٣٦/٢، وتفسير السمرقندي ١٧٨/٢، وزاد المسير ٢٩٢/٤،
وتفسير الرازي ٢١٦/١٨، وعرائس المجالس ص ١٤٤.

(٤) تفسير البغوي ٤٥١/٢، وزاد المسير ٢٩٢/٤، وتفسير الرازي ٢١٦/١٨. وينظر عرائس المجالس
ص ١٤٥.

الجبابرة، واستوفقت له الشمس حسب ما تقدّم في «المائدة»^(١). وُولد لمنشا بن يوسف موسى بن منشأ، قبل موسى بن عمران، وأهل التوراة يزعمون أنه هو الذي طلب العالم ليتعلم منه حتى أدركه، والعالم هو الذي خرق السفينة، وقتل الغلام، وبنى الجدار، وموسى بن منشأ معه حتى بلغ معه حيث بلغ، وكان ابن عباس يُنكر ذلك^(٢)؛ والحق الذي قاله ابن عباس، وكذلك في القرآن، ثم كان بين يوسف وموسى أمم وقرون، وكان فيما بينهما شعيب صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ (١٠١) وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا تَنْتَلِهْمُ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٣﴾

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ ابتداءً وخبرٌ. ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ خبر ثانٍ. قال الزجاج^(٣): ويجوز أن يكون «ذَلِكَ» بمعنى الذي، و«نُوحِيهِ إِلَيْكَ» خبره، أي: الذي من أنباء الغيب نوحيه إليك. يعني: هو الذي قصصنا عليك يا محمد من أمر يوسف من أخبار الغيب «نُوحِيهِ إِلَيْكَ» أي: نُعلمك بوحى هذا إليك.

﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾ أي: مع إخوة يوسف ﴿إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ﴾ في إلقاء يوسف في الجب. ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ أي: بيوسف في إلقاءه في الجب. وقيل: «يَمْكُرُونَ» بيعقوب حين جاؤوه بالقميص ملطّخاً بالدم^(٤)، أي: ما شاهدت تلك الأحوال، ولكن الله أطلعك عليها.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ظن أن العرب لما سألته عن هذه القصة وأخبرهم يؤمنون، فلم يؤمنوا، فنزلت الآية تسلية للنبي ﷺ^(٥). أي:

(١) ٤٠٤/٧.

(٢) أخرجه الطبري في التفسير ٣٢٦/١٥ - ٣٢٩، وينظر عرائس المجالس ص ١٤٥.

(٣) معاني القرآن ١٣٠/٣، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٣٤٥/٢.

(٤) النكت والعيون ٨٧/٣.

(٥) المحرر الوجيز ٢٨٤/٣، وزاد المسير ٢٩٣/٤.

ليس تقدرُ على هدايةٍ مَنْ أردتَ هدايته^(١)، تقول: حَرَصَ يَحْرِصُ، مثل: ضَرَبَ يَضْرِبُ. وفي لغةٍ ضعيفةٍ: حَرَصَ يَحْرِصُ، مثل حَمِدَ يَحْمَدُ^(٢). والجَرَصُ طلبُ الشيءِ باجتهاد^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ «مِنْ» صلةٌ، أي: ما تَسْأَلُهُمْ جُغَلًا. ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: ما هو، يعني: القرآن والوحي. ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ أي: عِظَةٌ وتذكرةٌ ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ ءَايَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ ﴿١٥٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُونَ ﴿١٥٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتِي وَسُبْحَنَ ٱللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٥٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ ءَايَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قال الخليل وسيبويه^(٥): هي «أيُّ» دخلَ عليها كافُ التشبيه^(٦)، فصار في الكلام معنى كَمْ. وقد مضى في «آل عمران»^(٧) القولُ فيها مستوفى. ومضى القولُ في آية «السَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ» في «البقرة»^(٨).

(١) معاني القرآن للنحاس ٤٥٩/٣.

(٢) تهذيب اللغة ٢٣٩/٤.

(٣) في النسخ: باختيار، ولم نقف على هذا المعنى، والمثبت من تفسير الرازي ٢٢٣/١٨، ولسان العرب (حرص).

(٤) تفسير الطبري ٣٧١/١٣.

(٥) في الكتاب ١٧٠/٢ - ١٧١. ونقله المصنف بواسطة النحاس في إعراب القرآن ١/٤١٠ و ٢/٣٤٦، والكلام منه.

(٦) بعدها في (م): وُثِّيت معها.

(٧) ٣٤٩/٥ وما بعدها.

(٨) ٤٩٠/٢.

وقيل: الآيات آثار عقوبات الأمم السالفة، أي: هم غافلون مُعرضون عن تأملها.

وقرأ عكرمة وعمر بن فائد: «وَالْأَرْضُ» رفعاً ابتداءً، وخبره: «يَمْرُوتَ عَلَيْهَا». وقرأ السُّدِّي «وَالْأَرْضُ» نصباً بإضمار فعل، والوقف على هاتين القراءتين على «السموات». وقرأ ابن مسعود: «يمشون عليها»^(١).

قوله تعالى: «وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ» نزلت في قوم أقرؤا بالله خالقهم وخالق الأشياء كلها، وهم يعبدون الأوثان؛ قاله الحسن ومجاهد، وعامر الشعبي^(٢) وأكثر المفسرين. وقال عكرمة: هو قوله: «وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ يَقُولُنَّ اللَّهُ» [الزخرف: ٨٧] ثم يصفونه بغير صفته، ويجعلون له أنداداً. وعن الحسن أيضاً: أنهم أهل كتاب معهم شرك وإيمان، آمنوا بالله وكفروا بمحمد ﷺ، فلا يصح إيمانهم؛ حكاه ابن الأنباري.

وقال ابن عباس: نزلت في تلبية مشركي العرب: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك. وعنه أيضاً: أنهم النصارى. وعنه أيضاً: أنهم المشبهة، آمنوا مجملًا، وأشركوا مفضلًا. وقيل: نزلت في المنافقين؛ المعنى: «وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ» أي: باللسان إلا وهو كافر بقلبه؛ ذكره الماوردي^(٣) عن الحسن أيضاً. وقال عطاء: هذا في الدعاء، وذلك أن الكفار ينسبون ربهم في الرِّخاء، فإذا أصابهم البلاء أخلصوا في الدعاء؛ بيانه^(٤): «وَلَمَّا أَتَتْهُمْ أُجِيطَ بِهِمْ» [يونس: ٢٢] الآية. وقوله: «وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَا كَإِنِّي لَجَنِيَّةٌ» [يونس: ١٢] الآية. وفي آية أخرى: «وَإِذَا مَسَّهُ

(١) المحتسب ٣٤٩/١ - ٣٥٠، ومختصر في شواذ القرآن ص ٦٥، والمححر الوجيز ٢٨٥/٣، وتفسير الرازي ٢٢٤/١٨.

(٢) في (م): والشعبي.

(٣) في النكت والعيون ٨٧/٣، وتظهر هذه الأقوال في تفسير الطبري ٣٧٢/١٣ - ٣٧٦، والنكت والعيون ٨٧/٣، والمححر الوجيز ٢٨٥/٣، وزاد المسير ٢٩٤/٤، وتفسير الرازي ٢٢٤/١٨.

(٤) في (ط): نياتهم، وقول عطاء في تفسير البغوي ٤٥٢/٢.

الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ [فصلت: ٥١]. وقيل: معناها: أنهم يدعون الله ينجيهم من الهلكة، فإذا أنجاهم قال قائلهم: لولا فلان ما نجونا، ولولا الكلب لدخل علينا اللص، ونحو هذا، فيجعلون نعمة الله منسوبة إلى فلان، ووقايته منسوبة إلى الكلب^(١).

قلت: وقد يقع في هذا القول والذي قبله كثير من عوام المسلمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقيل: نزلت هذه الآية في قصة الدخان؛ وذلك أن أهل مكة لما غشيهم الدخان في سني القحط قالوا: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الدخان: ١٢] فذلك إيمانهم، وشركهم عودهم إلى الكفر بعد كشف العذاب؛ بيانه قوله: ﴿إِنكُم عَائِدُونَ﴾ [الدخان: ١٥]، والعود لا يكون إلا بعد ابتداء، فيكون معنى: ﴿إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ أي: إلا وهم عائدون إلى الشرك، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس: مجللة. وقال مجاهد: عذاب يغشاهم. نظيره: ﴿يَوْمَ يَفْشَهُمُ الْعَذَابُ مِّنْ قَوْفِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمُ﴾ [العنكبوت: ٥٥] وقال قتادة: وقية تقع لهم. وقال الضحاك: يعني الصواعق والقوارع^(٢). ﴿أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ﴾ يعني: القيامة. ﴿بَغْتَةً﴾ نُصِبَ على الحال، وأصله المصدر. وقال المبرد: جاء عن العرب حال بعد نكرة، وهو قولهم: وقع أمر بغتة وفجأة. قال النحاس^(٣): ومعنى: بَغْتَةً: أصابه^(٤) من حيث لم يتوقع.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ وهو توكيد^(٥). وقوله: ﴿بَغْتَةً﴾ قال ابن عباس: تصيح الصيحة بالناس وهم في أسواقهم ومواضعهم^(٦)، كما قال: ﴿تَأْخُذْهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾

(١) التكت والعيون ٨٧/٣.

(٢) تفسير الطبري ٣٧٧/١٣ - ٣٧٨، وتفسير البغوي ٤٥٣/٢.

(٣) في إعراب القرآن ٣٤٦/٢ - ٣٤٧، وما قبله منه، وينظر معاني القرآن للزجاج ١٣١/٣.

(٤) في النسخ: بغتة: إصابة، والمثبت من إعراب القرآن للنحاس.

(٥) تفسير الرازي ٢٢٤/١٨.

(٦) تفسير البغوي ٤٥٣/٢.

[يس: ٤٩] على ما يأتي.

قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي﴾ ابتداءً وخبر^(١)، أي: قل يا محمد، هذه طريقي وسُتِّي ومنهاجي؛ قاله ابنُ زيد. وقال الربيع: دعوتي. مقاتل: ديني^(٢)، والمعنى واحد، أي: الذي أنا عليه وأدعو إليه يُؤدِّي إلى الجنة^(٣). ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ أي: على يقين وحق؛ ومنه: فلانٌ مستبصرٌ بهذا. ﴿أَنَا﴾ توكيد. ﴿وَمَنْ اتَّبَعَنِي﴾ عطف على المضمَر^(٤). ﴿وَسَبِّحْ لِلَّهِ﴾ أي: قل يا محمد: وسبحان الله. ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ الذين يتخذون من دون الله أنداداً^(٥).

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُحْيِي مَنْ نَشَاءُ وَلَا يَرُدُّ بِأُسْنَا عَنِ الْقَوَمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿١١٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾ هذا ردٌّ على القائلين: ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٨]، أي: أرسلنا رجالاً ليس فيهم امرأة ولا جنِّي ولا ملك؛ وهذا يردُّ ما يُروى عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ فِي النِّسَاءِ أَرْبَعَ نَبَيَّاتٍ: حَوَّاءَ وَآسِيَةَ، وَأُمَّ مُوسَى وَمَرْيَمَ»^(٦). وقد تقدَّم في «آل عمران»^(٧) شيء من هذا.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣٤٧/٢.

(٢) تفسير الطبري ٣٧٩/١٣، والنكت والعيون ٨٨/٣، وتفسير البغوي ٤٥٣/٢، والوسيط ٦٣٧/٢، والمححر الوجيز ٢٨٥/٣.

(٣) ينظر تفسير الرازي ٢٢٥/١٨.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣٤٧/٢.

(٥) تفسير الرازي ٢٢٥/١٨.

(٦) لم نقف عليه.

(٧) ١٢٦/٥ - ١٢٩.

﴿يَنْ أَهْلَ الْقُرَى﴾ يريد المدائن، ولم يبعث الله نبياً من أهل البادية؛ لغلبة الجفاء والقسوة على أهل البدو؛ ولأن أهل الأمصار أ عقل وأحلم، وأفضل وأعلم. قال الحسن: لم يبعث الله نبياً من أهل البادية قط، ولا من النساء، ولا من الجن. وقال قتادة: «مِنْ أَهْلِ الْقُرَى» أي: من أهل الأمصار؛ لأنهم أعلم وأحلم^(١).

وقال العلماء: من شرط الرسول أن يكون رجلاً آدمياً مدنياً^(٢)؛ وإنما قالوا: آدمياً تحريزاً من قوله: ﴿يُؤَدُّونَ لِرَبَّائِهِم مِّنَ الْجَنِّ﴾ [الجن: ٦٦]. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا﴾ إلى مصارع الأمم المكذبة لأنبيائهم فيعتبروا. ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ ابتداءً وخبره. وزعم الفراء^(٣) أن الدار هي الآخرة، وأضيف الشيء إلى نفسه لاختلاف اللفظ، كيوم الخميس، وبارحة الأولى؛ قال الشاعر:

ولو أقفوت عليك ديار عنبس عرفت الذل عرقان اليقين^(٤)

أي: عرقاناً وبقيناً، واحتج الكسائي بقولهم: صلاة الأولى، واحتج الأخفش بـ: مسجد الجامع. قال النحاس: إضافة الشيء إلى نفسه مُحال؛ لأنه إنما يُضاف الشيء إلى غيره ليتعرف به، والأجود الصلاة الأولى، ومن قال: صلاة الأولى فمعناه: عند صلاة الفريضة الأولى، وإنما سُميت الأولى؛ لأنها أول ما صَلَّي حين فرضت الصلاة، وأول ما أظهر، فلذلك قيل لها أيضاً: الظهر. والتقدير: ولدَارُ الحال الآخرة خير. وهذا قول البصريين^(٥)، والمراد بهذه الدار الجنة؛ أي: هي خير للمتقين.

(١) ينظر تفسير الطبري ٣٨٠/١٣، وتفسير البغوي ٤٥٣/٢، والوسيط ٦٣٨/٢، والنكت والعيون ٨٨/٣، والمحزر الوجيز ٢٨٦/٣، وزاد المسير ٢٩٥/٤.

(٢) ينظر تفسير الرازي ٢٢٦/١٨.

(٣) في معاني القرآن ٥٥/٢ - ٥٦. ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٣٤٧/٢، وما قبله منه.

(٤) البيت في تفسير الطبري ٣٨٢/١٣، ومعاني القرآن للفراء ٥٦/٢، دون نسبة لقائل.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣٤٧/٢، والمحزر الوجيز ٢٨٧/٣، وينظر البحر المحيط ٣٥٣/٥.

وَقُرْئ: «وَلَلْدَارُ الْآخِرَةُ»^(١). وقرأ نافع وعاصم ويعقوب وغيرهم ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بالتاء على الخطاب. الباقر بالياء على الخبر^(٢).

قوله تعالى: ﴿حَقَّ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ﴾ تقدّم القراءة فيه ومعناه^(٣). ﴿وَلَطَّنَا أَيُّهَا الْمَلَأَىٰ أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ﴾ وهذه الآية فيها تنزيه الأنبياء وعصمتهم عمّا لا يليق بهم. وهذا الباب عظيم، وخطره جسيم، ينبغي الوقوف عليه؛ لثلاث يزل الإنسان فيكون في سواء الجحيم. المعنى: وما أرسلنا قبلك يا محمد إلا رجالاً، ثم لم نعاقب أممهم بالعذاب.

﴿حَقَّ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ﴾ أي: يتيسر من إيمان قومهم، ﴿وَلَطَّنَا أَنَّهُمْ قَدْ كَاذَبُوا﴾ بالتشديد؛ أي: أيقنوا أن قومهم كذّبواهم^(٤). وقيل: المعنى: حَسِبُوا أَنَّ مَنْ آمَنَ بِهِمْ مِنْ قَوْمِهِمْ كَاذِبُهُمْ^(٥)، لا أَنَّ الْقَوْمَ كَاذَبُوا، ولكنَّ الْأَنْبِيَاءَ ظَنُّوا وَحَسِبُوا أَنَّهُمْ يُكَذِّبُونَهُمْ؛ أي: خافوا أن يدخل قلوب أتباعهم شك، فيكون «وَلَطَّنَا» على بابهِ في هذا التأويل^(٦).

وقرأ ابنُ عباس وابنُ مسعود، وأبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ وأبو جعفر بن القَعْقَاع، والحسن وقتادة، وأبو رَجَاء العُطَارِدِيُّ وعاصم، وحمزة والكسائي، ويحيى بن وثَّاب والأعمش وخلف: «كَذَّبُوا» بالتخفيف^(٧)؛ أي: ظنَّ الْقَوْمُ أَنَّ الرُّسُلَ كَاذِبُونَ فيما

(١) قال البنا في إتحاف فضلاء البشر ص ٢٦٢: ولا خلاف في حرف يوسف أنه بلام واحدة لاتفاق الرسوم عليه.

(٢) السبعة ص ٢٥٦، والتيسير ص ١٣٠.

(٣) عند الآية ٨٠ في هذه السورة.

(٤) معاني القرآن للزجاج ١٣٢/٣، والوسيط للواحدي ٦٣٨/٢، والمححر الوجيز ٢٨٧/٣ - ٢٨٨، وتفسير البغوي ٤٥٤/٢.

(٥) تفسير أبي الليث ١٨٠/٢.

(٦) المححر الوجيز ٢٨٨/٣.

(٧) ينظر السبعة ص ٣٥٢، والتيسير ص ١٣٠، وتفسير الطبري ٣٨٣/١٣ - ٣٩٢، والمححر الوجيز ٢٨٧/٣ - ٢٨٨، والبغوي ٤٥٤/٢، والوسيط ٦٣٨/٢.

أخبروا به من العذاب، ولم يصدقوا.

وقيل: المعنى ظنَّ الأمم أنَّ الرسلَ قد كَذَبُوا فيما وعدوا به مِن نصرهم^(١). وفي رواية عن ابنِ عباس: ظنَّ الرسلُ أنَّ الله أخلف ما وعدهم. وقيل: لم تصحَّ هذه الرواية؛ لأنه لا يُظنُّ بالرسلِ هذا الظنُّ، ومن ظنَّ هذا الظنَّ لا يَسْتَحِقُّ النَّصر، فكيف قال: ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾^(٢) ١٩.

قال القُشَيْرِيُّ أبو نصر: ولا يبعدُ إن صحَّت الروايةُ أنَّ المرادَ خَطَرَ بقلوبِ الرسلِ هذا من غير أن يتحقَّقه في نفوسهم؛ وفي الخبر: «إنَّ الله تعالى تجاوزَ لأمتي عمَّا حدَّثت به أنفسها ما لم ينطق به لسانٌ أو تعمل به»^(٣). ويجوزُ أن يُقال: قُربوا من ذلك الظنُّ؛ كقولك: بلغتُ المنزلَ، أي قُربتُ منه^(٤).

وذكر الثعلبيُّ والنحاس^(٥) عن ابنِ عباس قال: كانوا بشرًا فضعُفوا من طولِ البلاء، ونسوا وظنُّوا أنَّهم أخلفوا، ثم تلا: ﴿حَقَّ يَقُولُ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٤]^(٦). وقال الترمذيُّ الحكيم: وجهه عندنا أنَّ الرسلَ كانت تخافُ بعد ما وعدَ الله النصرَ، لا من تهمةٍ لوعدِ الله، ولكن لتهمةِ النفوس أن تكونَ قد أحدثت حَدَثًا يَنْقُضُ ذلك الشرطَ والعهدَ الذي عهدَ إليهم، فكانت إذا طالت عليهم المدةُ دخلهم الإياس والظنونُ من هذا الوجه.

وقال المهدويُّ، عن ابنِ عباس: ظنَّت الرُّسلُ أنهم قد أخلفوا، على ما يلحقُ البشرَ، واستشهدَ بقولِ إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُعْطِي الْمَوْتِ﴾

(١) ينظر معاني القرآن للفراء ٥٦/٢، وإعراب القرآن للنحاس ٣٤٧/٢، والنكت والعيون ٨٩/٣، وبحر العلوم ١٨٠/٢، ومعاني القرآن للزجاج ١٣٢/٣.

(٢) تفسير الطبري ٣٩٣/١٣ - ٣٩٤، ومعاني القرآن للزجاج ١٣٢/٣، والكشاف ٣٤٧/٢.

(٣) سلف ٣٠٩/١٠.

(٤) قال مثل قول القشيري أبو منصور الأزهرى في تهذيب اللغة ١٦٨/١٠ - ١٦٩.

(٥) في معاني القرآن ٤٦٣/٣.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ٣٩٣/١٣، وفيه: «يشوا» بدل «نسا».

[البقرة: ٢٦٠] الآية. والقراءة الأولى أولى.

وقرأ مجاهد وحמיד: «قَدْ كَذَبُوا» بفتح الكاف والذال مُخَفَّفًا^(١)، على معنى: وظنَّ قومُ الرسلِ أنَّ الرسلَ قد كَذَبُوا، لِمَا رَأَوْا من تفضُّلِ الله عزَّ وجلَّ في تأخيرِ العذاب^(٢).

ويجوزُ أن يكونَ المعنى: وَلَمَّا أُيقِنَ الرسلُ أن قومَهُم قد كَذَبُوا على الله بكفرِهِم، جاءَ الرسلَ نصرُنا. وفي البخاري^(٣)، عن عروة، عن عائشة قالت له وهو يسألُها عن قولِ الله عزَّ وجلَّ: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ﴾ قال: قلت: أَكُذِّبُوا أم كُذِّبُوا؟ قالت عائشة: كُذِّبُوا. قلت: فَقَدْ اسْتَيْقَنُوا أَنَّ قومَهُم كَذَّبُوهُم فما هو بالظن؟ قالت: أَجَلُ لعمري لقد استيقنوا بذلك، فقلت لها: وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا، قالت: معاذَ الله! لم تكنِ الرسلُ تظُنُّ ذلكَ برِها. قلت: فما هذه الآية؟ قالت: هم أتباعُ الرسلِ [الذين آمنوا بربهم وصدَّقوهم، فطالَ عليهم البلاءُ، واستأخَرَ عنهم النصرُ حتى إذا استيأسَ الرسلُ] ممن كَذَّبَهُم من قومِهِم، وظنَّتِ الرسلُ أن أتباعَهُم قد كَذَّبُوهُم جاءَهُم نصرُ الله^(٤) عندَ ذلك.

وفي قوله تعالى: «جَاءَهُمْ نَصْرُنَا» قولان: أحدهما: جاءَ الرسلَ نصرُ الله؛ قاله مجاهد^(٥). الثاني: جاءَ قومَهُم عذابُ الله؛ قاله ابنُ عباس^(٦). ﴿فَنُنَجِّي مَن نَّشَاءُ﴾ قيل: الأنبياءُ وَمَن آمَنَ معهم^(٧). وَرُوي عن عاصم ﴿فَنُنَجِّي مَن نَّشَاءُ﴾ بنونٍ واحدةٍ

(١) القراءات الشاذة ص ٦٥، والمحتسب ٣٥٠/١.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣٤٧/٢، ومعاني القرآن له ٤٦٤/٣، والمحزر الوجيز ٢٨٨/٣، والوسيط ٦٣٨/٢.

(٣) برقم (٤٦٩٥)، وما سيأتي بين حاصرتين منه.

(٤) في النسخ: نصرنا، والمثبت من صحيح البخاري.

(٥) تفسير الطبري ٣٩٨/١٣ - ٣٩٩.

(٦) التكت العيون ٨٩/٣.

(٧) تفسير الطبري ٤٠١/١٣.

مفتوحة الياء، و«مَنْ» في موضع رفع اسم ما لم يُسم فاعله؛ واختار أبو عبيد هذه القراءة؛ لأنها في مصحف عثمان، وسائر مصاحف البلدان بنون واحدة^(١). وقرأ ابن مُحَيِّص: «فَنَجَّا» فعل ماض. و«مَنْ» في موضع رفع؛ لأنه الفاعل^(٢)، وعلى قراءة الباقي نصباً على المفعول. ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا﴾ أي: عذابنا. ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: الكافرين المشركين^(٣).

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنَّا فِي فَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنَّا فِي فَصَصِهِمْ﴾ أي: في قصة يوسف وأبيه وإخوته^(٤)، أو في قصص الأمم^(٥). ﴿عِبْرَةً﴾ أي: فكرة وتذكرة وعظة. ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أي: العقول.

وقال محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي: إن يعقوب عاش مئة سنة وسبعاً وأربعين سنة، وتوفي أخوه عيصو معه في يوم واحد، وقبرا في قبر واحد^(٦)؛ فذلك قوله: ﴿لَقَدْ كُنَّا فِي فَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ إلى آخر السورة. ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ أي ما كان القرآن حديثاً يُفْتَرَى، أو ما كانت هذه القصة حديثاً يُفْتَرَى^(٧). ﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: ولكن كان تصديقاً،

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣٤٧/٢، ومعاني القرآن للفراء ٥٦/٢، ومعاني القرآن للزجاج ١٣٢/٣، والوسيط للواحدي ٦٣٨/٢، والمحزر الوجيز ٢٨٨/٣ - ٢٨٩.

(٢) القراءات الشاذة ص ٦٥، وتفسير الطبري ٤٠٠/١٣.

(٣) تفسير الطبري ٤٠١/١٣.

(٤) النكت والعيون ٨٩/٣ - ٩٠، والكشاف ٣٤٨/٢.

(٥) المحزر الوجيز ٢٨٩/٣، وتفسير الرازي ٢٢٨/١٨.

(٦) ينظر تاريخ الطبري ٣٣٠/١، والمعارف ص ٣٩ - ٤٠. وسلف هذا الكلام ص ٤٦٠ من هذا الجزء.

(٧) النكت والعيون ٩٠/٣، والوسيط للواحدي ٦٣٩/٢، والكشاف ٣٤٨/٢، وزاد المسير ٢٩٧/٤.

ويجوزُ الرفعُ بمعنى: لكن هو تصديقُ الذي بين يديه^(١) أي: ما كان قبله من التوراة والإنجيل وسائر كتبِ الله تعالى، وهذا تأويلُ مَنْ زعم أنه القرآن^(٢). ﴿وَنَقْصِيْلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ممَّا يحتاجُ العبادُ إليه من الحلالِ والحرامِ، والشرائعِ والأحكامِ^(٣). ﴿وَهْدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

تم الجزء الحادي عشر من تفسير القرطبي، ويليه الجزء الثاني عشر
ويبدأ بسورة الرعد

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣٤٨/٢.

(٢) تفسير الطبري ٤٠٣/١٣، والنكت والعيون ٩٠/٣، ومعاني القرآن للزجاج ١٣٣/٣، ومعاني القرآن للقرطبي ٥٦/٢ - ٥٧.

(٣) تفسير أبي الليث ١٨٠/٢، والوسيط للواحدي ٦٣٩/٢، وتفسير البغوي ٤٥٤/٢.